

دِرَاسَاتُ وَأُبْحَاثُ

- * اللّغة الام
الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- * تخيل ام ائيل
الاستاذ عبد الحق فاضل
- * القرائن النحوية واطراح العامل والامرابين
التقديري والمطى
النكتور تمام حسان
- * تطور الحرف العربى
النكتور مسدوح حقى
- * الحروف السبعة والظايح
الامة لا خير الدين حقى
- * تطوير الكتابة العربية
الاستاذ جبوت نور الدين
- * تعليق على الصور المقترحة لتطوير الحرف العربى
الاستاذ مهدي الظالمى
- * متاعب اللغة العربية فى العصر الراهن
النكتور عبد الله الصوى
- * التراث العربى وعناصره المألحة لنهضة عربية
حديثه
الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- * فى القياس اللغوى
- * مينة فعلنون فى غير اللغة العربية من اللغات
السامية
الاستاذ حامد عبد القادر
- * تمحيضان
الاستاذ محمد بهجة الاتوى
- * مينة افعل وفعلى
الاستاذ التريس العلمى

اللغة الأم

لغة نافع بن عبد الرحمن بن عبد الله

ويرى المؤرخون العرب ان الاراميين من اصل واحد مع العرب البائدة او العرب العاربة ويؤكد ذلك ما ورد من ان الملك الاشوري اسرحدون (668 — 625 ق م) يشير في كتاباته الى ان حزائيل ملك العريبي اى العرب جاء خاضعا الى نينوى (1) وحزائيل اسم ارامى كما ذكر الدكتور هوميل ان الاراميين والعرب من عنصر واحد (2)

وقد تفلظت اللغة الارامية فيما بين النهرين وفارس ووادي النيل وآسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت اللغة الرسبية

ان الجزيرة العربية هي منبع الحضارات السامية التى كينت اقالييم الهلال الخصيب وما وراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بان العرب البائدة الارامية التى ترجع الى ارم بن سام بن نوح ومنهم قبائل ابراهيم الخليل هم العرب الاصليون الذين وضعوا لجميع الشعوب السامية لغتهم العربية الام وقد نزحوا حوالى اوائل الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق واستقروا فى مناطق بابل وارتباط الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز (اى بيت الله العتيق) لم يرد فى القرآن وحده بل ابرزته الكشوف الاثرية واللغويات المقارنة حول الهجرات السامية .

1) Rogers, Cuneiform Parallels etc... p. 353

2) F. Hommel, «The Ancient Hebrew Tradition p 202

كتاب التقاليد العبرية القديمة

ولاحظ كروهمان ايضا فى بحثه عن تاريخ العرب ان الاراميين هم اسلاف العرب .

Encyclopedia of Islam N.E. p. 524

(دائرة المعارف الاسلامية — الطبعة الجديدة ص 524)

الشرقية (الاكدية البابلية والاشورية) واخيرا لهجات جنوبى الجزيرة العربية وهى المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والامهرية والذي يدل دلالة واضحة فى نظر الكثير من خبراء اللغة واللغويات على ان العربية هى اللغة الاصلية اى لغة بدو الجزيرة العربية ما زالت الى الآن اقرب كل اللهجات المذكورة الى اللغة السامية الام .

وتعتبر هجرة الاكديين نحو الفرات فى العراق اقدم هجرة من هجرات الساميين العرب الذين انتقلوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات وقد نزحت - كما قلنا - جماعات اخرى من جزيرة العرب الى وادى النيل فى حدود الالف الرابعة قبل الميلاد ويقال بانها حملت معها حضارة ارقى من حضارة مصر وهى التى جاءت بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية (6) التى يكون اصلها ايضا عربيا مثل الكتابة الكتعمانية وعمموا لغتهم مطبوعة بالطابع العربى كما يتجلى ذلك من النقوش المصرية القديمة (7) منها صورة ملونة لاسرة عربية مهاجرة من جزيرة العرب والعموريون العمالقة هم الذين اسسوا الانباطورية البابلية القديمة (وهى ثانى امبراطورية سامية وقبلها الاكدية) بعد ان نزحوا من جزيره العرب منتشرين فى الشام ومن بينهم ملوكهم وفى طليعتهم حمورابى وهو الملك السادس الذى حكم 42 سنة بين 1792 و 1750 ق . م . وهو صاحب التشريع المشهور الذى يقال بانّه وضع اصالة باللغة العربية .

وقد اتلم الاشوريون ثانى امبراطورية سامية وبينما اتجه الكتعمانيون والعموريون والاراميون والاكديون والهكسوس نحو الشام والعراق ومصر مستهدفا بعضهم الفرات - اتجهت الى دجلة قبائل اخرى حوالى اواخر الالف الرابعة او اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد شمالى العراق على يمين دجلة فاسست مدينة اشور وهى عاصمة اماره صغيره على نسق دويلات المدن الاكدية جنوبى العراق وقد تكلم الاشوريون بلغة سامية قريبه من لغة الاكديين جنوبا وكتبوا بالخط

طوال قرون قبل الميلاد فى بابل وآشور وفارس ومصر والشام وبها كتب الانجيل على الأرجح وقد قامت الاراميه محل الكتعمانية وظلت اللغة السائدة فى القرن السابع ق . م . حيث اخذت العربية تحل محلها وعزز الاستاذ دايرنجر (3) هذه النظرية مؤكدا سيادة اللغة الاراميه من مصر الى آسيا الصغرى الى الهند وقد ابرز كروهمان علاقة الاراميين وقبائل « العبيرو » بالعرب قائلا :

« ومن المؤكد ان العنصر البدوى فى شبه جزيرة العرب وهو على الأرجح مصطلح مرادف مع تسمية آرام وعبيرو وخيرو وجد فى الاصل فى المنطقة التى تمتد بين سورية وبلاد ما بين النهرين والتى تعد اقدم مركز للساميين (4)

وكانت القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة العربية تتكلم كلها لغة واحدة هى العربية الاصلية التى تفرعت الى لهجات احتفظت بخصائصها وسميت باللهجات او اللغات السامية تمييزا لها عن اللغات الآرية والطورانية ومن مميزات اللغة السامية اصولها الثلاثية الاحرف واشتقاقها الناتج عن مجرد تغيير الحركات .

ولم يعد هنالك ريب بعد الحفريات والكشوف الاثرية ان عصر ابراهيم الخليل وهو بداية الالف الرابعة قبل العصر الحاضر (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) هو عصر عربى لغته هى السامية العربية الام فقد اثبت الجفاف الشديد الذى اكتسح شبه جزيرة العرب عن سلسلة من الهجرات نقلت الكتعمانيين والفينيقيين والعموريين العمالقة منذ ازيد من الف عام قبل عصر الخليل وقد لخص الدكتور احمد سوسة (5) فى هذه المعطيات مبرزا تفرعات اللغة السامية العربية الام الى لهجات قسمها للسنيون الى مجموعات هى السامية الغربية بعناصرها الكتعمانية والفينيقيّة والمؤابية والعبرانية والسامية الغربية الشمالية (العمورية والاراميه) والسامية

3) D. Diringier the Alphabet 1948 p. 253

وقد اثار الدكتور احمد سوسة الذى ننقل عنه الى عشرات المصادر الاخرى

4) A. Grohmann, «The Arabs», the encyclopedia of Islam, New Ed. p. 525

(5) فى كتابه «العرب واليهود فى التاريخ» طبعة وزارة الاعلام العراقية 1972 .

(6) الدكتور محمد عزة دروزة « تاريخ الجنس العربى » ج 1 ص 26 .

(7) تاريخ مصر لبريستد والحضارة المصرية لغوستاف لوبون وتاريخ المدنية المصرية لغوستاف بيكى الخ .

السينائية وهذه الابجدية هي التي تفرعت عنها ابجديات منها الفينيقية والقرطاجية واليونانية والليبية والارامية والنبطية والعبرية ويندرج الشمال الافريقي في هذه المجموعة العربية لان اللغة البونية *Langue punique* هي اللهجة الدارجة الى اليوم في المغرب العربي وقد عثر على رخلة في البرازيل تحمل تاريخ 125 ق م . اشار اليها الدكتور البرازيلي اديلونيتو وضمنها كتابه الانتروبولوجية (9) وهي مكتوبة باللغة البونية التي قورنت مع ترجمتها العربية فلاحظ انها لا تختلف عن لهجة تونس خاصة ودارجة افريقيا الشمالية عامة وعند ما دخل الموسويون ارض كنعان وجدوا قبيلة كنعانية يتزعمها نبي كنعاني يدعى بلعام ينشر فكرة التوحيد ويتمتع بمكانة روحية سامية (10) .

وقد الف مارينوس الصوري *Morinus of Tyre* كتابا في الجغرافيا ووضع خارطة للعالم عام 120 للميلاد كانت تستند الى معلومات جغرافية فينيقية ويرى رولنسون (11) انه كان اول كاتب في الجغرافيا اتخذ الطريقة العلمية الرياضية في صنع الخرائط المستندة الى خطوط الطول والعرض وعليه ارتكز بطليموس :

وكان القرطاجيون مثل الفينقيين يتسمون بالكنعانيين (12) .

واخر من هاجر من الجزيرة العربية الالتباط وهم قبائل بدوية انتشرت منذ القرن السادس قبل الميلاد شرقى مملكة الاردن الحالية واقتبسوا من الاراميين ثقافتهم وتأثروا بلغتهم حتى غلبت الارامية عليهم ولهجتهم هي التي تطورت منها لغة القرآن كما ان خطهم هو خط كتبة الوحى وهو القلم النبطى المقتبس من القلم الارامى القديم .

وهكذا يمكن القول بان الساميين عرب ولفتهم التي هي اللغة الام هي اللغة العربية والنصوص كلها

المسامرى لفتهم الاشورية وينتهى حكم اشور القديمة في نهاية مملكة بابل القديمة عام 1595 ق م . وامتد العهد الاشورى الوسيط من 1595 الى 911 ق م . والمهد الحديث من 911 الى 612 ق م . (تكونت خلال هذه الفترة انبراطورية سامية ضمت مجموع الشرق الاوسط ومن ضمنه آسيا الصغرى وسواحل ايجة ومصر والخليج العربي وعيلام وقد سقطت نينوى عام 612 ق م . وقد اهتم الاشوريون بالفنون الجيلة والادب وتركوا في خزانة الكتب السواح الطين التي انشأها الملك اشور باتيال (669 — 626 ق م .) الذى اخضع مصر كلها لحكمه ، وقد عثر على نحو 25 الف رقيم حضارى في الحفائر حفظت في المتحف البريطانى .

اما الكلدانيون (الاراميون) فيرجع اصلهم الى شواطئ الخليج العربى جنوبى العراق وقد اسسوا رابع انبراطورية سامية دامت 73 سنة بعد سقوط نينوى وسميت سلالة بابل الحادية عشرة وكان لهم ضلع في تقوية علم الفلك وهم اول من جزا الواحد الصحيح الى ستين وقسموا اليوم الى 24 ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية ووضعوا اول التقاويم الفلكية العالمية وعينهم اخذ فيثاغورس كما برعوا في فن التطريز ورسم الصور عليه

واعظم ملوكهم بنو خنصر (605 — 562 ق م .) الذى قضى على مملكة يهوذا وسبى اليهود الى بابل وفي هذا العصر بالذات بدا التأثير العربى على بابل وما وراءها (8)

والكنعانيون العرب هم مخترعو الحروف الهجائية الالفبائية وعنهم نقلها الفينيقيون ثم اقتبسها من هؤلاء منذ منتصف القرن التاسع الميلادى الاغريقيون واللاتين وكتابات اللهجة الكنعانية القديمة هي حلقة الوصل بين الهيروغليفية (المكونة من خمسمائة صورة تكتب من الجهات الاربع) وبين السامرية والابجدية

- (8) راجع بحثنا « الفكر الصوفى واصوله » في العدد الثالث من « اللسان العربى » (1385 هـ 1965 م)
(9) اشار اليها الاخ الاستاذ توفيق المدنى في مجلة « تقويم المنصور » (العدد الثالث عام 1348 هـ) راجع بحثنا في مجلة اللسان العربى عدد 3 — 1384 ص — 1965 م

(10) الاصحاح 22

Rawlinson - Phoenicia p. 404, 548 (11)

Univ. Jewish Encyclopedia - vol. II p. 651 (12)

مجسمة على هذه الحقيقة ، اما العبرية فهي لهجة سامية متأخرة .

وقد تأكد من جهة أخرى ان اليهود هم بقايا يهوذا الذين نقلهم نبوختنصر الى بابل قبل الميلاد بستة قرون وقد تكلم الموسويون في الاصل الهيروغليفية التي دونت بها شريعة موسى ووصاياه العشر لانها كانت لغة بلاط فرعون حيث تربى موسى ولم يعثر لحد الآن على اى اثر لهذه الشريعة الموسوية الاصلية لان التوراة المتداولة اليوم ليست سوى ترجمة عبرية مشوهة مقتبسة من الارامية يرجع تاريخ هذه التوراة اليهودية التي لا علاقة لها بتوراة موسى الى عهد الاسر البابلي بعد ظهور موسى بثمانمائة سنة على ان يونس ارسل الى مائة الف او يزيدون من اهل نينوى في القرن التاسع قبل الميلاد فكان ذلك انطلاقة اولى للموسوية في ارض الاشوريين .

ويرى العالم اليهودى سيلفر (13) في كتابه « موسى والتوراة الاطية » ان التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى وحتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء انها الشيء الوحيد المتبقى من التوراة الاصلية لم يكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى اتى بها موسى

وظاهرة التشويه في هذه التوراة المزيفة اشتغالها على شرائع وتقاليده وطقوس دينية مقتبسة من الشرائع الكنعانية والبابلية وخاصة شريعة حمورابى كما ابرز ذلك البروفسور ووتر من استنادا الى تحقيقات اركيولوجية على ان مزامير داود نفسها مشوهة وكذلك كل ما ورد في العهد القديم لغلظة الطابع الكنعانى العربى عليه حتى من حيث اللغة اذ لم تترجم الى العبرية مدرجة في التوراة الا في عصور لاحقة فاللغة العبرية لم تكن اذن من اصول اللهجات السامية بل ليست هي نفسها سوى اقتباس من الارامية حفظت لنا كثيرا من مظاهر الحضارة الكنعانية العربية .

وقد اكد الكاتب الفرنسى جان لوى برنارد I. L. Bernard ان الاحبار عبرنوا كل ما اقتبسوه من توارىخ الانتار

التي جاسوا خلالها ومنها سليمان الذى لم يكن يهوديا وانما كان اشوريا وهو شلما نصر ولو كان سليمان يهوديا لاستحالت - كما يؤكد برنار - الصداقة مع ملكة سبأ العربية بل اكد بروكلمن ان هؤلاء اليهود قد تعدوا اقضاء الكنعانيين من جدول انساب سام اى من السلالة السامية .

ويرى بعضهم ان اسم يهوه اله اليهود نفسه هو اسم احد آلهة البدو الشماليين في جزيرة العرب وكان الكاهن الكنعانى ملك اورشليم يدين بالتوحيد كما كانت لغة داود وسليمان هي الكنعانية العربية التى اقتبسها الموسويون من بنى كنعان بعد دخولهم ارض فلسطين فكانت هذه المعطيات الكنعانية لغة وحضارة هي قوام التراث العربى وفي ضمنه التوراة الجديدة وقد سقى النبو اشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد اللثة كلها وفي ضمنها العبرية شفة كنعان اى لسان كنعان كما يقول منذهول استاذ جامعة ميسيسفان الامريكية بنقل الدكتور سوسة على ان كلمة « عبرى » نفسها ومثلها « عبرو » او « خيرو » قد وردت في الكتابات القديمة وكان يراد بالعبريين القبائل البدوية العربية وبذلك يوجه وصف ابراهيم الخليل في التوراة بالعبرانى ويؤكد هذه الحقيقة ما ورد في دائرة المعارف البريطانية (14) من ان استعمال كلمة عبرى بمعنى يهودى يرجع الى الحاخامين بفلسطين في عهد متأخر على انه تم العثور على كتابة من عهد رعمسيس الثانى وهو فرعون الذى وقع الخروج Exode في عهده سميت فيها بقايا الهكسوس بـ « العبرو » والمقصود هنا القبائل العربية البدوية وهى التسمية التى عرف بها الهكسوس عند المصريين واسرائيل نفسها كلمة كنعانية عربية اطلقت على موضع في فلسطين واشتارت اليها في هذا السياق كتابات مصرية قبل بعثة سيدنا ارض فلسطين الكنعانية العربية هي مهجر لحفدة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اغتربوا اليها نازحين من حاران او حران الحالية .

وكثير من التعابير والاسماء التى يظن انها عبرية الاصل هي في الحقيقة عربية تذكر منها على سبيل

(13) A. H. Silver «Moses and the original Torath N.V, 1961

وقد اشار الدكتور احمد سوسة ايضا الى مرجع آخر هو « الاسس التاريخية للمعتقد اليهودية » 1969 ص 8 .

(14) طبعة 1965 ج 11 ص 279

منها جميع هذه اللغات هي على اغلب الاحتمالات اقدم لغة في العالم ما زالت حية حتى يومنا هذا .

وقد لاحظ الدكتور جواد على في كتابه « الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » (ج 1 ص 255) ان جماعة من المستشرقين ترى ان اللغة العربية على حدائث مهددا بالنسبة الى اللغات السامية الاخرى هي انسب اللغات السامية الباقية للدراسة لانها لغة لم تختلط كثيرا باللغات الاخرى فبقيت في مواطنها المعزولة اصنى من غيرها محافظة على خواص السامية القديمة

وقال فيليب في كتابه « تاريخ العرب قبيل الاسلام » (الاستكثارية 1947 ص 9) : « اننى اعتبر بلاد العرب الجنوبية (ومن ضمنها اليمن) هي الوطن الاصلى لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة العربية » ثم لاحظ انهم هاجروا بسبب الجفاف الذى ظهرت بوادره بعد العصر الباليوليثى وهو العصر الحجري القديم الذى يبدأ قبل 35 الف سنة نحو الشمال الى اطراف الهلال الخصيب .

وايد الاستاذ فيليب خير انثروبولوجى آخر هو الدكتور هنرى فيلد ملاحظا « ان اليمن وعدن كانتا مأهولين بالسكان في العصر النيولوثى (وهو العصر الحجري الحديث المحدد بين 7000 و 5000 ق م) . هاجر منهم الى عمان والخليج وآخر الى الصومال وكنيا وتنجانيقا وفريق ثالث الى نجران وسيناء وفلسطين .

وقد لاحظ الرحالة الالماني شوينفرت ان القمح والشعير والجاوس والمعز والضأن والماشية وجدت في حالتها لابتدة في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل ان تستانس في مصر والعراق (18) .

المثال فقط تسمية اورشليم (اى القدس) التى وردت في الكتابات الكتعانية اى رسائل العمارنة في القرن الخامس عشر قبل الميلاد (اى قبل عصر موسى بنحو مائتى سنة) وقبل ظهور العبرية ومدوناتها ومنها تورااة اليهود (لا تورااة موسى) بأزيد من الف عام وقد ورد ذكرها عبر الشعر الجاهلى في شبل اورشليم كما اعترفت التورااة نفسها في نص صريح بعدم وجود اية صلة بين اليهود وهذه المدينة (15)

و « موسى » اسم مضرى قديم لا صلة له بالعبرية ولا بالعبريين وقد ورد ذلك احد فراغة مصر باسم « آح - موسى » وهو مؤسس السلالة الثانية عشرة (1580 - 1546 ق م) كما ان الكاهن الاعلى لحينة ممفيس عاصمة مصر المشهورة في عهد تحوتمس الثالث (1479 - 1447 ق م) كان يدعى « بتاج موسى » (16)

وننشر فيما يلى بعض النصوص التى تشهد بعروبة الساميين :

فقد اكد سبرنجر Sprenger ان جميع الساميين عرب (17) :

وقال الاستاذ اولستيد في كتابه « تاريخ فلسطين » (ص 36) : « ان البدو العرب كانوا اول من تكلم باللغة السامية واذا اردنا ان نتفهم الخصائص الاصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعلينا ان نتجه الى العربى ابن البادية السورية الذى يجوب شمال جزيرة العرب لان هؤلاء وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون ان يطرا عليها اى تغيير » وقد ايد المستشرق عبد الله فلبى في كتابه « تاريخ العرب قبيل الاسلام » حيث قال : « ان اللغة العربية التى يعترف الخبراء في كونها اقرب من جميع اللغات السامية الى اللغة الام الاصلية التى اشتقت

(15) الدكتور احمد سوسة (مقدمة كتابه المذكور)

(16) ادولف ارمان « ديانة مصر القديمة » الترجمة العربية ص 29 - 314 (نقلا عن كتاب العرب واليهود في التاريخ) « المقدمة »

(17) الدكتور على حسنى الخربوطى « العرب والحضارة » ص 13 .

(18) العقاد - « اثر العرب في الحضارة الاوربية » القاهرة 1960 ص 11 .

دخيل أم أثيل؟

الأستاذ عبدالحق فاخيل

- 5 -

ساعور :

يكنى في تعريف (الساعور) بالقول انه : النار والتور ، على الرغم من اهتمام هذا المعجم بالمفردات والتعابير النصرانية .

واية كانت الحال فان اثلها بتلك المعانى الدينية المختلفة هو (الزائر) الذى ينطبق فى الاربمية «سوعورو» كالذى تقدم .

اما (الساعور) بمعنى النار والتور فمن مادة « سمر » التى منها (السمر) .

السعفة :

« جريدة النخلة ، اى غصنها المجرد عن الورق » .
ار : (سرغتو — Sar'efto) غصن .

« من اسماء السيد المسيح فى الطقس المارونى ، من يزور القرى ويطلع على احوالها من قبل الاستقف »
ار (= ارمى) : (سوعورو — So'ouro) : زائر .

الذى يبدو أن اثل المادة اللغوية لكلمة (الساعور) هو « زائر » كما يشهد المعنى الارمى . والواضح أن اطلاق الكلمة بهذا المعنى الدينى ، او بالاحرى بهذين المعنيين الدينين فى النصرانية قد كان من فعل الاربمية ، لكننا نلاحظ أن « القاموس » يعرف الساعور بأنه : النار ، والتور ، ومقدم النصارى فى معرفة الطب « مما يدل على اختلاف العرب فى فهم معناها ، ولئن كان القاموس مخطئا وهو ما هو فجهله بالكلمة ادل على انها قاصرة على الاستعمال الكنيسى وانها لم تدخل العربية او لم تكد تدخلها ، ولا سيما ان المعجم المسيحى (المنجد) لا يعطى اى معنى دينى للكلمة بل

اثل الكلمة (عصف) الريح اى شدة هبوبها ، ومنها (العصفوف) — كالمجوز — و « العصفية » : الريح الشديدة . ومنها كذلك (العاصفة) . ومن ثم انتقل معنى (العصفية) الى ما عصف به الريح ، ثم الى الورق الذى ينفث عن الثمر ، والورق المجتمع الذى يكون فيه السنبل ، كالتبن ، وعصف التبن : حطامه . ويقلب الكلمة ظهر (العفص) : الحب المعروف المستعمل فى الدباغة ، جاء اسمه من سقوطه عن شجرته حين تعصف الريح بها .

ويقلب وابدال وتغير حركة ظهر (السعف) — زنة الخرف — الذى اطلق على جريد النخل ، اى اغصان النخل التى انجرد ورقها ، وعلى خوصها اى ورقها المنجرد ، والظاهر ان الكلمة اطلقت اولا على الغصن كله وهو على النخلة من معنى (عصف) الريح به وتحريكه ، بدليل ان الكلمة ما زالت تعنى ذلك فى العراق ومنه قولهم « يرفف مثل السعفة » لدوام اهتزاز السعف فى ادنى هبة ريح . اما السعفة المجرد ورقها فيسمونها الجريدة وجمعها الجريد .

على ان مادة (سرعف) الارمية قد ظهرت فى العربية اولا ، ومنها (السرعة) و (السرف) ، ولناخذ (السرعة) بالفتح او الكسر — لانه ما زال فيه معنى الفصن ، فهو قضيب الكرم ، او كل قضيب رطب ، ثم (سرفت) — كصمرت — (السرفة) الشجرة : اكلت ورقها ، اى جعلتها مجرودة كجريدة النخل . و (السرفة) — بالضم — دويبة تعيش على ورق الشجر كما هو واضح . ثم نأتى الى السرعوف — كالمصنور — وهو من اسماء الجرادة لانها تجرد اعواد النبات كذلك ، ثم اطلقت الكلمة استعارة على « دابة تأكل الثياب » . ومن الاكل انتقل المعنى الى الغذاء فقالوا سرعفت الصبى : احسنت غذاءه ، فتسرعف !

هذه التشعبات تدل على ان مهد الكلمة هو العربية . ومنها انتقلت بالوراثة الى بنتها الارمية .

السعوة :

الشمعة ، ار : (شعوتو — Ch'ouito)
مادة الشمع .

ساب وساج (= جاء وذهب) وساح وسار

(ومنها : سرى) وسال وسام وساع (ومنها : سعى) . كلها من اسرة لغوية واحدة . وتهمنا منها (ساع) فقد قالوا ساءت الابل : سرحت وتخلت بلا راع ، ومن ثم ساع الشيء : ضاع وزال . ومن اخواتها : ضاع وشاع وذاع . ومن معنى الضياع والزوال صار السوع والسواع يعنيان : الطائفة من الليل . وكذلك السمو (زنة الصحو) والسعو (كالصنو) والسعوة (كالسندوه) والسعوة (كالنسوة) والسعواء (كالانشاء) والشعواء (كالقريان) كلها تعنى الساعة من الليل . ومنها (السعوة) ايضا تعنى الساعة من الليل ومن ثم الشمعة كذلك لانها توقد فى ساعات الليل ولم يكتفوا بتوليد معنى الشمعة من هذه المادة بل ولدوا معنى السهر ايضا حين استعمالوا (السعوى) — زنة الفلانى — بمعنى الصبور على السهر . ومن ثم ظهرت فى الارمية حيث دخلت طورا آخر فصارت تعنى مادة الشمع ، لا الشمعة التى يستضاء بها فى ساعات الليل عند السهر . كلمة خضارية اخرى .

السفوف (زنة الصبور) :

(دواء يؤخذ غير ملتوت اى غير مبلول بالماء) . ار :
(سوفوف — Soufoûf)

هذه الكلمة من المفارقات التطورية ، فاصل المعنى مائى ، ذلك ان اثل الكلمة هو اشتقفاً ما فى الاتواء واستشفه : شرب كل ما فيه . والمعنى ناشئ من صوت الارتشاف ، ثم ظهر منه الاشتفاف والشفة والشفر

ثم هم نطقوا الكلمة بالسین فقالوا سف الرجل الماء اكثر من شربه ولم يرو . ومن عدم الارتواء انعكس المعنى فصار يدل على الجفاف حيث قالوا مسف (بتشديد الفاء) الرجل البعير : علفه اليبیس ! ومعنى هذا العلف اليبیس انتقل الى ما يتناوله الانسان من انواع الدقيق منذ قالوا مسفت الدواء او السوق او نحوها : اخذته غير ملتوت . وسمى الشيء المسفوف (السفوف) .

السفود (زنة البلوط) :

« حديدة يشوى عليها اللحم » . والاصح ما ذكره القاموس : يشوى (بها) . ار : (سفودو Chofouido)

هذه الكلمة العربية تقلبت في اطوار شتى . ولا حاجة بنا الى الرجوع بها الى رسها الاول بل نكتفى بأن نمسكها في مرحلة (التسوية) . ومنها نشأت صيغ مختلفة ندرج منها لاعطاء فكرة عنها هذا المقدار :

سبوى (تسوية) . صفى « تصفية » . سفى (سفيا) ، سف ، صف ، سفن ، سفت ، سبط ، سبطا ، سيد ، سغد ...

فالمكان (السوى) — زنة القوى — هو (المستوى) ، ومنه (تسوية) الارض . ومن ثم صارت (التسوية) : الارض المستوية البعيدة ، على قول المعجم . ثم (الصفصاف) : المستوى من الارض ، ومنها الآية : « قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امنا » . ثم ظهرت — او لعلها ظهرت قبل ذلك — صيغة (صف) الطائر : بسط جناحيه في طيرانه فلا يحركهما . ثم (صف) المرء الشيء : نظمه طولاً مستويا ، وصفت القوم : اقمته صفوفا في الحرب او الصلاة او نحو ذلك .. و (الصفيف) : ما صف في الشمس ليحجف او على النار ليشوى . ثم قيل سفد اللحم تسفيدا : نظمه في (السفود) للاشتواء . اي ان (السفود) سمى بذلك من معنى تسفيد اللحم فيه . وقد ظهرت صيغ كثيرة اخرى اختلفت معانيها ، نذكر اشبهها بالسفود وارقاها وهو سبط اللؤلؤ . و (السبط) — بالكسر : الخيط ما دام الخرز او اللؤلؤ منتظما فيه .

السفر (زنة الفكر) :

الكتاب الكبير . الجزء الكامل من التوراة . ار : (سفرو — Sefro) : كتاب .

قبل الكلام عليها ندرج هذه الاخوات من الكلمات :

ربيع ، ريث ، ريد ، ريز ، ريس ، ريش ، ربط .. الخ واصل معناها الاقامة بالمكان . ومن ثم ظهر في بعضها معنى القيد مثل ربط وربد وربق وربك .

ومن القيد ظهر معنى الحبس والمنع ثم انتهى كقولهم ريثه وربده : منعه وحبسه . ويبقى من معنى المنع في (ريس) قولهم اربسه ارباسا : راغبه . وكل من (ريس) وينتها « زير » تعنى الشدة والضخامة

والضرب ، بسبب تطور المعنى . لكن (زير) تحتفظ بمعنى المنع ومنه معنى العقل ، كشأن (النهاية) — بالضم — التى نشأت من النهى باعتبار العقل ينهى عن الخطأ وسوء التصرف ، وشبيه بهذا معنى الوازع والبرادع . فمن هذا قالوا ان (الزير) — زنة الصبر — هو العقل الذى (يزير) وينهى . ثم صار الزير يغنى الكتاب تطورا ، ثم الكلام كذلك . ثم نشأ (الزير) — زنة البئر — بمعنى الكتاب ، ومن ثم قيل (زيرت) الكتاب : كتبه ، و (الزيرة) : الخط والكتابة ، ثم صيغ (الزبور) بمعنى ذلك الزير اى الكتاب ، واستعمل لزامير داود فظبط استعماله عليها . وقد كان (الزبور) اول الامر فيها نظن مرادفا (للزير) — كالصغير : الشيء المكتوب . ومعلوم ان صيغتي الفعل والفعليل جاءتا في العربية كلتاها بمعنى المفعول (كما جاءتا بمعنى الفاعل) .

ومن (الزير) نشأ « السفر » — وكلاهما بالكس — بمعنى الكتاب الكبير . ومنه بالارمية (سفرو) . والظاهر ان دور الارمية هنا هو اطلاقه علاوة على ذلك على الجزء الكامل من التوراة .

ويبدو كذلك ان الزير هو اثل الفسر والتفسير والسبورة التى يكتب عليها ويحى .

السافر :

الكتاب . ار : (سوفرو — Sofro)

بعد كل هذا العناء الذى اثبت لنا ان كلمة (السفر) عربية النجار ، واضح ان (السافر) ما هو الا صيغة الفاعل التى اثلها الزاير اى الكاتب ايضا .

السفسير :

السفسار . ار : (سفسيرو — Safsiro)

من (سفسر — Safsar) : يساوم .

السفسير والسفسار اثلها السفسير ، وهذا من السفسر . فقد كانوا ينتدبون شخصا يطلبون اليه ان يسفر اى يسافر ليقنع خصوما لهم في حل مشكلة ، ومن هنا قيل سفر فلان بين القوم : اصلح — وسمى الشخص المنتدب السفسير بمعنى الرسول المصلح بين

طائفتين من القوم . ومن الطبيعي ان يختاروا لمثل هذه المهمات والمهمات سفيرهم من قوى الكياسة والحذاقة. ومن السفير صيغ (المفسر) الذى يقول المجد الفيروز ابادى انه : القيم بالامر المصلح له ، والرجل الظريف، والمعتزى الحائق بصناعته ، الخ ... بالاضافة الى الخادم والتابع والسفير الذى يسفر بين البائع والمشتري ، اى يتوسط .

ومن السفير اشتقت صيغة السفار (بمعنى الجهيد على رأى صاحب القاموس) .

واذا غفرنا لمجد الدين عدم تطفنه الى ان السفير والسفار متطورتان من السفير ومن ثم توهمه كغيره من اللغويين انها دخيلتان ، فليس من السهل ان نعره اذ لم ينتبه الى انها كلمة واحدة فقل عن السفير انها من الفارسية وعند ما جاء دور الكلام عن السفار قال انها رومية ! .. مع انه يدرجهما كليهما تحت مادة لغوية واحدة .

وقد ظن آخرون ان اللفظتين من الارمية ومنهم اللغوى الفاضل مؤلف الكتاب الذى ناقشه : « غرائب اللغة العربية » . ويلاحظ ان معنى السفارة بين البائع والمشتري اى السفرة والسفرة : قد نشأ منه فى الارمية فعل (سفير) بمعنى المساومة . اى ان اسم (سفسرو) لم ينشأ من فعل « سفسر » كالذى يذهبون اليه ، بل العكس الصحيح .

السفط (زنة الشفق) :

وعاء كالقفة . ار : (سفوطو — Sfuto)

راينا كيف نشأ (الصف) ثم « السفود » من معنى صف اللحم فيه و (السفط) من معنى نظم الخرز واللؤلؤ . وقد نشأ (السافل) — زنة الساق — بمعنى الصف من اللبن او الطين فى بناء الجدار . ومن ثم نشأت (السفرة) — زنة السرة : ما ينسج من الخوص ، وحزام الرجل ، والهودج . نظنهم قالوا ذلك ذلك لان الحوض ينسج سافات كالحزام تدور حول نفسها مثل القوتمة لتكون وعاء كالجوالق او القفة . وكما نشأ (سفد) من « سف » ، نشأ منها « سفط » . ومن هنا جاءت تسمية (السفط) : الوعاء الذى ما يزال موجودا فى العراق يوضع فيه التمر ويسمى

(الحلاطة) او « الحصافة » — كلتاها بالتشديد . وقدنيا اطلقوا السفط كذلك على وعاء يعبا فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء .

اما فى الموصل فان (السبت) — بفتحتين — يطلق على وعاء صغير بيضى الشكل مصنوع من اصواد السنابل وله غطاء من جنسه ، توضع فيه بعض اللوازم ككدوات الخياطة من مبثر وخيوط وازرار وما اليها من صفار ادوات النساء .

وتظهر الكلمة فى الفارسية بصورة (سيد) — بفتحتين : سلة . وبينما يذهب بعض اللغويين الى ان (السفط) العربى ائله « سفوطو » الارمى يتوهم آخرون انه من (سيد) الفارسى .. على حين ان كلتا اللفظتين منحدرتان من (السفط) العربى على زعم التائيل اللغوى .

سفلة الناس :

ار : (شفل — Chfel) : سافل ، حقير .

اثل الكلمة (الصف) . نشأوا سف او اسف (كلاهما بالتشديد) الطائر او السحاب : مر على وجه الارض . ومن هذا نشأ قولهم سففت الريح (زنة ذهبت) : هبت على وجه الارض . ومن الاسفاف قالوا اسف الرجل : تتبع الامور الدنيئة . ثم نجمت صيغة (سفل) وتنطق بمختلف الحركات بكلا المعنيين الآتئين ، المادى والمعنوى ، فقل سفل الشيء سفولا وسفالا : تقيض علا علوا ، وسفل الرجل : كان ندلا فهو (سافل) و (سفيل) . وجمع السافل : سافلون ، وسفلة (زنة قتلة) ، وسفل « بضم فثدة مفتوحة » ، وسفلال (زنة عذال) ، وسفلان « زنة ركبان » .

اما سفلة القوم (بكسر ففتح) وسفلتهم (بكسر فسكون) : نفوغاؤهم وسقاطهم . ولا نعرف لماذا اختاروا هذه الصيغة الاخيرة من كل الصيغ فى المعجم العربى مما ذكرنا آنفا ، وما لم نذكر ، ليقولوا انها مقتبسة من الارمية (شفل) مع ان هذه تعنى الفرد والكلمة العربية تعنى الجماعة ، وكان اجدر بهم ان ينتقوا صيغة (السفيل) لمطابقتها لفظا ومعنى . والذى

يبدو لنا ان الصيغة الارمية من صيغة (السفيل) هذه بالذات .

السفينة :

ار : (سفيتو — Sfito) من (سفن — Sfan) بنى بالواح .

نحسب ان هاتين الصيغتين الارميتين ليستا كلمة واحدة بل كلمتين لكل منهما اثله في العربية . اى ان (سفيتو) ليست من « سفن » بل من « السفط » ، كما ان « سفن » من « السفينة » .

والسقط الذى قلنا انه ينطق بالدارجة الموصلية (سبت) وانه وعاء بيضى الشكل يذكرنا بشكل السفينة فقاعدته مثل قاعدتها اى ضيقة طويلة ، ولا يستبعد ان يكون العرب قد سموها السفينة (سقطا) او « سبتا » (سقطا) او شيئا من هذا القبيل تشبيها لها بالسبت الزورقى الشكل . وبعض الدارجات العربية كالسورية تسمى السفينة (ماعون) اى اناء ، مثلا . ويشجعنا على مثل هذا الاستنتاج ان السقط فى المعجم : وعاء كالثقة — زنة القوة — او الجوالق ، وان الثقة : وعاء من الخوص كالزنبيل ونحوه ، وان الدارجة العراقية تطلق (الثقة) ايضا على نوع من القوارب مستدير منسوج من الخوص ومطلّى بالقار .

اما السفينة فائل لفظها هو (السف) من قولهم سف الطائر : دنا من الارض فى طيرانه ، ثم (المسففة) : الريح التى تثير ما دق من التراب وتجرى فوق الارض . دليلنا على ذلك قولهم سففت الريح : هبت على وجه الارض . ثم قيل سفنت الشيء : قشرته ، استعاره من تلك الريح التى تقشر ما دق من التراب عن وجه الارض . ويرى الفيروز ابادى ان (السفينة) سميت بذلك لقشرها وجه الماء ، لكننا نرجح انها انما سميت بذا تشبيها لها بالريح الهابة على وجه الارض التى تسمى (الباسفة) و « السفون » كذلك . ومثل هذا تسميتهم السفينة (جارية) ايضا لانها تجرى على سطح الماء . ويبدو لنا ان (السفين) كانت مرادفة لهذه (السفون) كترادف فطين وفطبون ، ثم فلسطين وفلسطين .

ولما كانت السفينة تبنى بالواح من الخشب ظهرت فى الارمية صيغة (سفن — Sfan) بمعنى : بنى بالواح .

ولنتطرق بالمناسبة الى هذا (السفين) الذى صار المحدثون يسمونه (الاسفين) والذى يظنه اللغويون دخيلا ايضا . فقولهم سفنت الشيء (بالتشديد) يعنى قشرته ، ثم صار يعنى كذلك : نحته ولينته ، ومن ثم صار « المسفن » و (السفن) — زنة الوثن : ما ينحت به ، اى المنحت والازميل . ثم صار (السفين) حديدة او خشبة — على شكل رأس الازميل او نحوه — تستعمل لفلق الحطب او غيره . ولا ندري لماذا يظن اللغويون ان هذا (السفين) وتلك « السفينة » من دون جميع الصيغ الاخرى من مادة (س ف ن) دخيلان ، وقد ذكر الاب نخلة (السفين) ضمن المقتبسات من الاغريقية (Sfin) لكن هذا التأثيل الطويل يدل على العكس .

سقر (بفتح) :

(متنوعة من الصرف) : جهنم . ار : (شكورو — Chgoro) احراق ، من (شكر Chgar) : احرق بالنار .

شعنت الشمس (بتشديد العين) : نشرت اشعتها ، وشعشت : انتشر ضوءها . ومن هذا نجم قولهم شعيت الشيء بالنار : احرقته ، ثم شعيت النار واشعلتها : الهبتها . ومن ثم سعرت النار (بالتخفيف او التشديد) : اشعلتها ، و « السعير » : لهيب النار ، وهو ايضا من اسماء جهنم . ثم قيل سجرت التنوير : ملأته وقودا واحببته . ثم سقرته الشمس : لاحتها ، والسقرة (زنة الصخرة) : شدة وقع الشمس . والساقور : الحر ، وحديدة تحمى وتكون بها البهيمة .

وواضح ان (السقر) من نفس مادة : السعير والسجر والشعل .. فلا غرابة ان تعنى (سقر) — بفتح — نفس ما تعنيه (السعير) اى جهنم .

اما الصيغتان الارميتان الآتيتان فائلهما العربى المباشر فيما يظهر (سجر) .

الساقية :

نهر صغير . ار : (شوقيتو — Choqito) : نهر صغير جدا ، ترعة لرى الارض .

سكة المحراث تحدثنا عنها كافيا ضمن تأثيل (السك : المسمار) توا . اما سكة النقد فيبدو لنا انها من اثل آخر وهو (الصك) . فقد قالوا صك الرجل : ضربه شديدا او لطمه ، واصطكت ركبته : اضطربنا فضربت احداها الاخرى . ونظن ان سك النقد قد تأتي من معنى الضرب .

لهذا كانوا يكتبون على الدرهم والدينار « ضرب في بغداد » مثلا بمعنى (سك) — بضم السين واستمر ذلك في العهد العثماني حيث ظلوا يطبعون بالعربية على النقود « ضرب في القسطنطينية » .

السكر (زنة السهر) :

الخمرة كل ما يسكر . أر : (شكرو — Chakro) كل مسكر غير الخمر .

اثل الكلمة من (السك) بمعنى السد والاغلاق . فذلك حيث قالوا سك الباب او سكره (بفتحتين) : سده . ومجازا قيل سكر البصر : حبس عن النظر وتحير . وسكره (بالتشديد) : حبسه . ومن ذلك الآية « سكرت ابصارنا : حبست نص القاموس . ولما كانت غطيت وغشيت » حسب نص القاموس . ولما كانت الخمر تصنع بالبصر — العقل — مثل هذا الصنيع بالبصر ، صار (السكر) — وينطق على اربعة اوجه — و (السكران) — زنة الخفتان — تعنيان ما تحدثه الخمر في شاربها من ذهول العقل وما يصيبه من حيرة وغشيان . ثم اطلقت كلمة (السكر) — بفتحتين — على الخمر وكل ما يسكر ، كما اطلقت على الخل استعارة ، وعلى الغضب والغيظ لانهما يذهبان بالصواب ، وعلى الامتلاء والطعام ربما لان الاكثار منه يسبب كلال الذهن — تغطيته !

فبعد ان عرفنا كيف نبنت الكلمة وتطور معناها من الاغلاق الى ذهوب العقل لا داعي الى الظن بانها مستعارة من لغة اخرى .

السكر (زنة الفكر) :

ما سد به النهر . أر : (سكورو — Skoro)

هذه الكلمة من معنى السد والاغلاق ايضا ، فقد قالوا سكرت النهر : جعلت له سدا ، مثل قولهم سكرت

(السقي) في العربية يعنى اعطاء الماء للشرب . وسقيت الارض : رويتها . لها مشتقات كثيرة كالسقية والسقيا والسقى (زنة الشقى) والاستسقاء والسقاء (كالنجار) والمسقاة .. الخ ، ومن جملة هذه المشتقات (الساقية) بمعنى النهر الصغير ، وتعنى في العراق الجدول الصغير في الحديقة او المزرعة يساق فيه الماء للرى ، وهى صيغة اسم فاعل ومن امثلتها : الدالية والجارية (السفينة والطفلة لانهما تجريان) . وهى في العربية قياسية جدا واشتقاقها طبيعي لانها تسقى الزرع فعلا . ولا ندري لماذا يظنونها من دون الصيغ الاخرى مقتبسة من الارمية ، الا على اعتقادهم بأن المصطلحات الزراعية دخيلة في العربية ، كالذى تقدم التحدث عنه وتفنيد في عدد من الالفاظ الحضارية من صنافية وزراعية وطبية ثبت لنا على نحو قاطع لا يتسرب اليه شك انها اثيلة في العربية وان الارمية لا بد من ثم ان تكون هى التى اقتبستها .

السك :

المسمار . أر : (سيكو — Seko) : وتد . (سكك — Sakek : سمر (بالتشديد) .

السك في العربية اثل الشق ، ومن هنا سميت حديدة المحراث (سكة) لانها الجزء الذى يشق الارض من مجموعة جسم المحراث وتطلق السكة بالدارجة الموصلية كذلك على وتد من حديد يدمق في الارض وله في راسه حلقة يربط بها رسن الدابة ، ومن هنا تطور المعنى فاطلق (السك) على المسمار . وله في العربية مرادف من لفظه ومعناه وهو (السكى) — بفتحة فكسرة مشددة . اما (سيكو) الارمية فتعنى الوتد كالسكة في الموصلية وقد جاءها معنى المسمار من (السك) الذى صيغ منه في الارمية فعل (سكك) بمعنى التسمير

ومما يؤيد عروبة الكلمة وتاثلها من (الشق) هو ان (Seko) باللاتينية : يقطع ، و (Sica) سكين او خنجر ، وواضح ان هذه الصيغة من (السكة) التى تشق الارض .

سكة المحراث :

وكذلك : سكة النقد وهى حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم . أر : (سكتو — Sekto)

الباب : سدده . وتديلا على اثالة الكلمة نعيد القول انها من (السك) وهذه من « الصك » وكلها تعنى السد ، وكانت فيما نرى تعنى صفق الباب اى سده بشدة تحدث صوتا ، و (الصك) من « الصبح » اى صوت وقع الحديد على الحديد .

سكر الباب :

اغلقه . ار : (سكر — Skar) : اغلق

فعل (سكر) يجوز هنا نطقه بالتخفيف والتشديد . وكنا تحدثنا عن الصك والسك والسكر ومنه التسكر وهذه مادة لغوية واحدة (سكر) استخرجوا منها اربع صيغ اعتبروها دخيلة في العربية .

تسكن :

صار مسكينا . ار : (اتمسكن — Etmasken)

لماذا ياترى لم يلاحظوا ان فعل (تمسكن) في العربية اقرب الى الصيغة الاربعة من (تسكن) — بتشديد الكاف — فذكروا البعيد واهملوا القريب ؟ مهما يكن فان المعنى جاء من المسكون والهدوء فعلا . واقترانا معنى المسكون بمعنى الفقر يتضح طريقنا من لهجتين عراقيتين . فبالوصلية يقولون ان الولد (مسكين) بمعنى هادى مسالم ، وكذلك يطلقون الكلمة على القط الهادى وكل حيوان مسالم ، واما بالدارجة البغدادية فيستعملون كلمة (فقير) بنفس هذا المعنى وبمعنى المعوز ايضا ، فالكلمة عندهم مشتركة المعنى . على ان المعجم قد كفانا مؤونة الاستقراء والاستنباط فأوضح لنا كيف انتقل معنى السكون الى المسكنة والفقر حيث قال اسكن الفقر فلانا : قلل من حركته ! وقد فطن المعجميون الى اثل نشوء الكلمة فأدرجوا التمسكن والمسكنة والمسكين في مادة (سكن) .

وان كان القائلون باقتباس الكلمة من الاربعة قد اختاروا من العربية صيغة واحدة تعنى (صار مسكينا) فقد ورد فيها بهذا المعنى خمس صيغ هى : سكن (بفتح الكاف) سكونا ، وسكن « بضمه » سكونة ، وتسكن (بالتشديد) تسكنا ، وتمسكن تمسكنا ، واسكن اسكنا .

ومما يدل على سوء حال المعلم منذ الازل انهم كانوا يسمونه بالبابلية : مسكينو !

استكان :

خضع ، ذل . ار : (سكن — Saken) : افتقر .

الواقع ان كلا الفعلين (استكان استكانة) و (استكن استكانا) يعنى الذل والخضوع . واستعمال (سكن) في الاربعة بمعنى الافتقار ناجم من تشابك المعنيين على النحو الذى راينا .

سكان السفينة :

ار : (سوكونو — Sawkono)

الذى يبدو لنا ان الاثل هو (المسكين) — بتشديد كسرة الكاف — اى المدية ، وهذه من (السكة) لان دفة السكان تتصل بالعمود الذى يديرها على نحو اتصال سكة المحراث بعموده .

السكين (زنة السكير) :

ار : (سكينو — Sakino)

انها كالذى قلنا من (السك) الذى اثلته (الششق) ، وتسمى باللاتينية Sica) كما قلنا مما يدل على ان السكين والسكة كانتا مترادفتين في العربية ثم اختلف معناهما . وكنا ذكرنا كذلك في بحث سابق — وفي كتابنا « مفاهير لغوية » — ان (السكين) تسمى بالسكونية (Seaxa) و (Seaxon) ومن هذه الثانية انبثق اسم السكسون — Saxon) فلا جرم ان تظهر في الاربعة اقرب الى الصورة العربية (سكينو) .

السل (زنة التل) :

يحلينا المؤلف على (النسله) فيما يلى . فلنرجى الكلام عنها الى حينئذ .

السلاء (زنة التفاح) :

شوك النخل . ار : (سلوو — Salwo) : شوك

(الاس) — بفتح الهمزة او كسرهما او ضمهما :
الاساس ومبتدا الشيء . ومنه نشأ (الاسل) —
بفتحتين — الذى اطلق على نبات دقيق الاغصان
طويلها وعلى الرماح . وواحدة الاسل (الاسلة) تعنى
كذلك رأس اللسان على قول المعجم ، الا انها فى
الواقع رأس كل شئ حاد من رمح وغيره . ومهما يكن
فقد نشأ منها (السلاء) موضوع كلامنا الذى اطلق
على الشوك عامة اول الامر ، وقد دخل الارمية بهذا
المعنى ، ثم تخصصت بشوك النخل فى العربية ،
وواحداته (السلاء) — كالرمانه — التى تعنى كذلك
« اى نصل كشوك النخل » .

السلة :

أر : (سلتو — Salto)

السل (كالتل) والسلة « كالحبة » مترادفتان ،
شاء المؤلف ان يعتبرهما كلمتين فذكرهما منفصلتين ،
بينما هما كلمة واحدة تذكر وتؤنث مثل النجم والنجمة
والضفدع والضفدعة . ومهما يكن فان هاتين الصيغتين
يبدو انهما قد نجستا من (الاسل) — زنة العسل —
وهو عيدان تنبت بلا ورق تنسج منه الحصر —
بضمتين — جمع الحصر . ومعلوم ان السلة ليست
الا حصيرا مقعرا على شكل وعاء .

السلة (زنة المظلة) :

هى الابرة الضخمة تخاط بها الجوالق ونحوها .
سميت بهذا لانها (تسل) من النسيج بعد ادخالها
فيه عند الخياطة ، او لعل الكلمة مشتقة من (سلاء)
النخل آتفا .

سلخ :

الخروف ونحوه : نزع جلده . أر : (شلخ
Chlah نزع ثوبه .

هذه اثلها من قولك سئل الشئ واستله : انتزعه
برفق . وقد نشأ منها : سلب وسلت وسلخ وسلخ
وسلغ وسلف وسلك .. ومنها كذلك شلحه تشليحا

(عراه) ومما يؤيد ان « السلخ » من « السل » قول
المعجم « سلخ الله الليل من النهار : استله » .

السلخ :

جلد الحية . وينطق بفتح السين او كسره . أر :
(شلوحو — Chloho)

هو من نفس المادة اللغوية ، بمعنى نزع الثوب
او الجلد . فقد قالوا سلخت المرأة درعها : نزعته ،
وسلخت الحية : نزعت ستلخها . والاثل (السل)
كما راينا .

السلسلة :

أر : (شيشلتو — Chichalto)

نظن التسمية قد تثبتت من السلسلة — بالفتح —
وهى نزول الماء قطرات . والماء الشلشل (زنة
المرمر) والشلشل : المتتابع القطر ، والشليل :
مجرى الماء فى الوادى ، او وسطه . ومنها انشل
(بتشديد اللام) السيل : ابتدا فى الارتفاع قبل ان
يشد . والشلال (بالتشديد ايضا) معروف .

ثم ظهر من ذلك قولهم تسلسل الماء : جرى فى حدور
(بضمتين) ، ثم صار التسلسل والسلسال والسلاسل
(زنة تماضر) : الماء العذب ، ثم السلسبييل : الماء
العذب السهل المستساغ .

ومن تسلسل امواج الماء الجارى نشأ اسم
(السلسلة) فيما نرجح ، تشبيها لحلقاتها بالامواج .
ومن امثلة اقتران الموج بالتسلسل قول شوقى :

حلو التسلسل موجه ، وخريره
كأمايل ممرت على اوتار

ومن بقايا تطورات السلسلة نجد فى الدارجة
السورية (سفسفيل : الاجداد) : سلسلة نسب الاجداد
وتقابلها بالدارجة الموصلية (سفسلة النسب) . وفيها
ايضا (السفسول) : فقرات العجز .

ومن هذه الصيغة الاخيرة او نحوها نشأت فى
الدارجة المراقية صيغة (الزنجيل) بمعنى السلسلة .

سلق المرؤ :

صعد على حائط . ار : (سلق — Sleg)

أما هذا المعنى فقد جاء غيباً يخيل لنا من الزلج والزلق . ولا يسعنا تعقيب تطور المعنى في كلمة واحدة أو كلمتين لفتياع الكثير من معاني الالفاظ في اطواء الماضي كما هو معلوم ، وبقاء اثاره منها في بعضها . ونجد بزوغ معنى الصعود وتكامله في اسرة الكلمة مجتمعة : زلج ، زلخ ، زلع ، زلغ ، زلق ، سلع ، ثم سلق .

فالزلج (زنة اليسر) : الصخور الملس ، ثم المكان **الزلج** (بالفتح) والزلخ « بفتح فكسر » : املس يتزحلق منه ، والزلخة (بضم ففتح مشددة) : المكان الذي يتزحلق منه الصبيان . ثم **الزلق** (بالفتح) والزلقة (بتشديد اللام) : موضع الزلق لا تثبت عليه قدم . ثم **زلعت** الشمس : طلعت ، و**زلغ** النجم أو الشمس : طلع ، والنار : ارتفعت . و**السلطوع** (كالصفور) : الجبل الاملس .

فها هنا نرى كيف ينشأ معنى السلوع والارتفاع تدريجياً من مختلف الالفاظ الناجم بعضها من بعض .

ومن مادة (**الزلف**) نجد المزالف : المراتى . وطبيعى ان المراتة اى الدرجة انما تستعمل للصعود . ومن معانى الارتفاع كذلك **سلع** : جبل بالمدينة ، وجبل لهذيل ، وسليح (بالتصغير) : جبل بالمدينة يقال له عثث ، والسلق (كالطلب) جبل عال بالوصل والسلع (كالصقع) في الجبل : الشق .

فمن مجموع هذه المعانى يتضح كيف تكون معنى الارتفاع والصعود اى تسلق الحائط ونحوه .

تسلق الحائط :

صعد عليه . ار : (اتسلق — Etsalaq) صعد .

هذه نفس الكلمة السابقة (سلق) بصيغة التفعيل مثلها صعد وتصعد ، حذر وتحذر ، نزل وتنزل ..

السلاق (زنة السماق) :

« عيد صعود السيد المسيح » . ار : (سولوقو — Souloqo) : صعود .

وهى على كل حال تظهر في الفارسية بصورة (**زنجير**) وهى مستعملة في بعض الدارجات العربية ايضا مما يجعلنا نتساءل هل هى الاثل ام الفارسية ؟! وينطقها بعض العرب (جنزير) .

السلطة (زنة السلعة) :

سهم طويل دقيق . ار : (شولتو — Cholto) سهم يرمى باليد أو بآلة .

يبدو من استقراء افراد اسرة الكلمة — وكثير عديدها — انها من **التزلج والتزلق والتزلم** .. التى تعددت وتباينت معانيها . ونشأت علاقتها بالسهم من مثل قولهم **تزلج** السهم عن القوس : تزلق ، وسهم زلوج : يتزلج عن القوس . ثم **الزلم** (كالقلم) : السهم لا ريش عليه ، والزلزم (كالمظفر) والزلزم من السهم الذى اجيدت صنعة .

واذا انتقلنا الى مادة (**سلط**) نجد ان « السلط » — بفتح فكسر : النصل لا تتوء في وسطه . ولعل هذا منشأ تسميتهم السهم الطويل الدقيق (سلطة) .

السلطان :

السلطة، حاكم دولة . ار : (شولطونو — Choltono)

السلطان والسلطة من (**السيطرة**) وهذه من (**السطر**) اى القطع ، فقد قالوا سطرة بالسيف : قطعه ثم سطرت الرجل : صرعه ، ومن ثم صارت المسطار (بضم الميم أو فتحه ، وكلاهما يؤنث) : الخمرة الصارعة لشاربها . ومن اخواتها سلقت الرجل : صرعه وبسطته على ظهره . ومن هذا او ما يشبهه قالوا **سيطر** عليهم **وسوطر** وتسيطر بمعنى تسلط . وقد اتفق للفيروز ابادى ان يجمع (السطر والسيطرة والتسلط) في عبارة واحدة حيث قال (**المسيطر** : **المتسلط** ، **كالسطر**) — بتشديد الطار . ويفهم من هذا ضمنا ان قولك سطرته تسطيرا بمعنى سيطرت عليه سيطرة وتسلطت تسلطا ، ولو انه لم يصرح بذلك في الكلام عن (سطر) . ومن نفس الاسرة (السطو) : الهجوم والتهر .

وسطرك الشيء بمعنى قطعك اياه قد جاء من سطرته فعلى هذا يبدو ان (**شولطونو**) الارمية هى المقتبسة من (**السلطان**) العربية .

وهذه ايضا نفس الكلمة . لكن بما ان المعنى هنا دينى نصرانى فالصفة سريانية ، من مادة عربية .

السلوقية :

« مقعد الربان فى السفينة » . أر : (سولقتو - Souloqto) : « ارتفاع . السلوقية مرتفعة » .

هذه ايضا من نفس المادة والمعنى . وتوجد معان اخرى فى هذه المادة العربية لم يذكروها لانهم لم يجدوا لها مقابلا فى الارمية .

السم :

« مادة تسبب الموت بدخولها الجسم » . أر : (سم Sam) تدخل تحت مادة (س م) فى المعجم العربى معان كثيرة عجيبة متباينة ترجع الى اثنول لغوية مختلفة . ولعل اثل (السم) بالمعنى الطبى هو (الشم) لانهم كانوا وما زال بعض العامة ولا سيما القرويين يعتقدون ان شم بعض الروائح يسبب المرض او الموت للوليد الرضيع انسانا كان او حيوانا . بل انهم يظنون ان بعض الروائح تضير المريض حتى من الكبار . لهذا لا نستبعد ان يكون الشم هو اثل السم ، مع تغيير طفيف فى المعنى . ومن امثلة تسرب الشم الى مادة (السم) اللغوية قولهم فلان « اسم الانف » - بالسين المهمل - بمعنى ضيق المنخرين ، من قولهم (اسم الانف) : المرتفع اعلى انفه ، مع هذا التحريف غير الطفيف فى المعنى .

اسمال (زنة اشمال) :

هزل . أر : (سمعلو - Sam'elo) : اهزله بتكشف حياة نسكية .

يبدو ان اثلها **السل** ، فقد قالوا (سل) - بالفتح : هزل وابتل بقاء السل . و (السل) يعنى الهزال بدون داء ، كما يعنى الداء الرئوى المعروف . ومنه (سمل) الثوب : اخلق وبلى . وكما صاغوا « ازبار » من « زبر » مثلا صاغوا (اسمال) من « سمل » وقد صاغوا منها كذلك (صمل) الشيء : يبس ، و (الصمير) : الرجل اليابس اللحم على العظام .

و (المسور) القليل اللحم الشديد العصب . وربما كان من هذا القبيل (صمر) : هزل ودق وقتل لحمه .

وتبدو الكلمة عربية مبنى ومعنى بالرغم من استعمالها فى الارمية بمعنى دينى .

السامور :

الماس . أر : (شومورو - Chomoûro)

ويسمى بالعربية كذلك (**الشمور**) - كالتنور - ولعله الاثل ، وكان اولى بهم ان يظنوها الصيفة المتقبسة ، بدلا من (السامور) - وربما كان الاثل البعيد لكليهما (**الجمر**) وواحدته الجمرة : النار المتقدة او الحصة . والجمرة بالعراقية تعنى القطعة من الحطب المشتعل التى اذا اطفئت صارت فحمة . ويظهر ان هذا سبب اطلاقها على الحصة .

ومن (الجمر) اشتق (**الجرم**) : الجسم ، وزنا ومعنى . وجرم لون الشيء : صفا . وربما سى الماس (جرما) اول الامر لصفاء لونه . وربما نشأت كلمة (ماس) ايضا من نطق (سامور) مقلوبة ومحرفة .

واية كانت الحال لا نجد ما يدل على ان العربية هى المتقبسة .

السمور (زنة القنور) :

« حيوان يشبه ابن عرس » . أر : (سمورو -

Samoûro

اذا لاحظنا ان لون هذه الدابة احمر مائل الى السواد سهل علينا ان نبصر ان اسمها جاء من لونها اى (**السمرة**) وهى معجبا : يبايض مائل الى السواد ، وتأثليا : (**الحمرة**) . وقد كانت الحمرة اصلا تعنى الحرارة اولا ثم لما كانت الحرارة تسبب احمرار الحطب اى الجمر ، ثم اسوداد الفحم ، نشأت منها السمرة : وكما اجتمعت الحمرة بالسواد هنا وفى لون السمور يحق لنا ان نندهش قليلا اذ نجد الدارجة المغربية تحتفظ بالعلاقة بين هذين اللونين لانها ما زالت تسمى الانسان الشديد السمرة (احمر) ! .. وهى من عهد ما قبل الفصحى ..

سمك الشيء : ارتفع ، وسمكه : رفعته ،
والسماك — بالكسر : ما يسبك به الشيء أى يرفع .
ومن ذلك سميت السماوات : المسوكات . ولو سألنا
القارئ بعد هذا عن معنى (**المسماك**) لقال انه
صفة قياسية لاسم آلة السمك أى الرفع . فلا جرم
ان يكون الاعريون قد اطلقوها على العود الذى
يسمكون به الخباء او نحوه . ومن هذا وامثاله صارت
(سمك) تعنى الدعم بالارمية .

السنان :

نصل الرمح . ار : (شنونو — Shnono)

اصل الحكاية من (**اللسع**) ! ولتناول اولاً علاقته
(**باللسان**) للوصول الى (**السن**) . قالوا لسننته
المقرب : لسعته ، ولسع فلانا بلسانه : عابه وآذاه
بالكلام . واذا استصعب القارئ ادعائنا بابدال العين
نونا بين (لسع) و (لسن) قلنا ان الاقمنين قالوا
ايضا لسبته الحية ، ولسب فلانا بلسانه ..

وقد نبطت من اللسع الفاظ اخرى لا حاجة الى
التوسع فى عرضها . فمما تقدم نشأ (**اللسان**) ، ومنه
نشأت (**السن**) حيث قالوا سن فلانا : عضه بأسنانه ،
او طعنه بالرمح . واسن الصبى : نبتت أسنانه . ويبدو
ان اول عضه يمارسها الانسان الناصر الجميل هى
عض الثدي الذى ارضعه حالما نبتت أسنانه .. وكأنيما
سموها (**السن**) رجوعا بالمعنى الى لدغ العقرب
والحية . وما زالوا بالدارجة البغدادية يقولون عن
الصبى العضاض : يلدغ ! ومن السن نشأ (**السنان**)
فقد قيل سن فلان الرمح : ركب فيه السنان .

حتى لو لم يكن هذا تأثيل الكلمة فعلا لا نجد مبررا
لاعتبارها سريانية المنبت لمجرد وجودها فى السريانية

سنبِل الحنطة ونحوها :

ار : (سبلو — Seblo) من (سبل — Sbal)
حمل .

قالوا (زب) المرء يذب زبا (من باب صب) بمعنى
كثر شعر وجهه واظنيه . و (الازب) — زنة الاصح :
الاشعر ، ويؤنثه : الزباء .

ومن اسم (**السمور**) نشأ اسم (**السنور**) فيما
نعتقد وهو من اسماء القط ... التشبيه حجما وشكلا
بالسمور .

السمسار :

ار : (سمسورو — Semsoûro)

الاثر هو (**السمسار**) و (**السفير**) اللذين سبق
الكلام عنهما ، بدليل ان السمسار الذى هو المتوسط
بين البائع والمشتري يطلق كذلك على « **السفير** بين
المحيين » — على تعبير مجد الدين .

السمسرة :

اجرة السمسار . ار : (سومسورو — Soûmsoro)
السمسرة فى العربية حرفة السمسار او اجرته .
يقال فى تأثيلها ما قلنا فى السمسار .

السماق (زنة التفاح) :

شجر . ار : (سوموقو — Sawmoqo)

الكلمة عربية يبدو انها لا ريب فيها . **سَمَق** — زنة
سبق — الثبات : علا وطال فهو (**سامق**) و (**سَمَق**)
— بفتح فكسر .

ويسمى (**السماق**) بالعربية كذلك (**المسوق**) —
زنة الرسول — وهذه الصيغة تعنى الفاعل أى
السامق ، ما يشير بوضوح الى علة التسمية . ويجوز
ان تكون الكلمة اطلقت اولاً على شجر بانسق ما ثم
انتقلت الى شجر السماق ذى الثمر الدقيق الحامض .

ومن اخوات سَمَق : **سمك** فهو سامك : ارتفع ،
والسميك والسموك : الطويل ، وكلتا اللفظتين اثلها
سما يسبو ، من شما يشمو ، من شم ... وكلها
يعنى : ارتفع .

المسماك :

« خشبة تدعم خيمة » . ار : (**سمك** — Smak)
دعم .

وكانت صيغة (زيل) بمعنى الحمل تنطق بالسين (سبل) في اكبر الظن ثم انقرض هذا النطق بهذا انها ظلت تنطق بالسين في الآرامية بمعنى الحمل المعنى وتخصصت به صيغة (زيل) . يؤيد هذا ايضا والسنبلة معا ، كما رأينا .

لكن لا بد لنا ان نلفت نظرهم الى ان هذا التأثيل يبنىء ان صيغة سبيلو (السنبلة) بالآرامية ليس اثلها سبيل (حمل) لاختلاف معناها . وانما جرى التأثيل وتطور المعنى في العربية على النحو الذى رأينا ثم دخلت الصيغتان جاهزتين الى الآرامية كل منهما بمعناها النهائية .

السنبيل :

نبات طيب الرائحة . ار : (سنبول — Sanboûl)

بعض الازهار تكون منقودية متجمعة على عودها ، ومتدرجة مثل حبات سنبيل القمح ، ونخمن ان الاسم اطلق من اجل ذلك على نبات من هذه الطائفة . واختلاف صيغتها الآرامية (سنبول) عن (سبلو) اى السنبلة التى تقدم ذكرها يدل على اقتباسها جاهزة من (السنبيل) بعد تطورها في العربية .

السنة :

ار : (شاتو — Chato) من (شتو — Chno) تحرك .

اثلها (السن) . ولما كانت اعمار بعض الدواب تمكن معرفتها من فحص اسناتها صارت (السن) تعنى العمر ايضا . ثم لما كانت الاعمار تقدر بالسنين نشأت صيغة (السنة) بمعنى الحول الذى سبى بذلك من دوران السنة (حول) نفسها ، والحجة من عودة موسم (الحج) كل سنة .

السندان :

المؤلف يحيل القارئ على (السدان) آتفا — الذى سلف الكلام عن تأثيله في العدد الماضى — ونحن نؤيد هذه الاحالة .

— يتبع —

عبد الحق فاضل

وانتقل معنى الشعر الى مادة (سب ب) حيث تكونت (السببية) و (السبب) بمعنى الخصلة من الشعر ، وهما من الفرس : شعر الناصية والعرف والذنب . ثم ظهرت مادة (سب ب ل) التى نجد الشعر من صيغها في (السبلة) — بفتحتين : شعر الشارب وهى تنطق في الفارسية (سبييل) و (سبل) — بفتحتين — بنفس المعنى .

ويسبب الشعر في سنبال القمح شبهوها بالشارب فاطلقوا (السبلة) على سنبلة القمح ايضا ، ومنها ظهرت في الآرامية . ومن الغريب ان اللغويين الآراميين خالوا (السنبلة) هى المقتبسة من (سبلو) الآرامية بدلا من ان يظنوا ان المقتبسة هى (السبلة) لانها اشبه بها مبنى .

والسبلة نطقها العرب كذلك : (السبولة) — بالفتح — و (السبولة) — بضميتين وربما من هذه الاخيرة نجمت صيغة (السنبلة) — زنة لأولؤة .

وبعد هذا ظهرت صيغة زيل بمعنى الحمل عن طريق النمل فيها يخيل لنا منذ قالوا (الزبال) — بالكسر او الضم : ما تحمله النملة بفمها . ولعل هذا قد نشأ مما يسرقه النمل من قمح الحصاد ، وعجيب ان هذا المعنى البدائى الاقدم قد عاشى حتى التقطته المعاجم قبل ان يضيع . ومن ثم قالوا زيلت الشيء — بالفتح : احتملته ، اى حملته وذهبت به كما تفعل النملة اللصة . وكثيرا ما تكون القمح حين تزبلها — زنة تحملها — او تزبلها النملة عند الحصاد ما تزال داخل غلافها ، قبل التفريغ ، بل قد تزبل النملة كسرة من السنبلة . نرجح هذا لان الهنة المزبولة تكون عندئذ كبيرة الحجم بيضاء اللون يراها المرء من مسافة بعيدة نسبيا وهى تسير مترنحة على الارض المضرسة ، فيعلم ان ثمة غلة لا يراها هى التى تحمل هذا الحمل الثقيل الذى يفوقها حجما ووزنا . ومن هذا اطلق (الزيل) اول الامر على ما يشبه هذا الزبال من نفايات القش والتبن ونحو ذلك حتى يشمل كل النفايات التى تظهر في المعجم في صيغة (المزيلة) التى تلتى فيها اصناف النفايات . اما معنى الحمل فنجدده في صيغة (الزنبيل) — بالفتح او الكسر — التى نطقنا اولا (الزبيل) — زنة السعيد او الكسير — وكتناهما تعنى القنعة او الوعاء او الجراب . والزنبيل بمعنى بالعراقية وبعض الدارجات الاخرى السلة ذات العروتين تحمل بهما .

القرائن النحوية

وطراح العامل والإعراب والتقدير والمجالي

الدكتور تمام حسّان

أجرى المكتب الدائم مسابقة بين الطلبة العرب في موضوع لغوي فحاز الدرجة الأولى الدكتور تمام حسّان الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وهذه المسابقة هي الثانية من سلسلة مسابقات المكتب عادة كل عام تقريباً وقد مولتها هذا العام دولة الكويت وصرف للفائزين الأول والثاني والثالث المكافآت المنصوص عنها في الإعلان الذي دعا الطلبة إلى خوض غمارها وقد اشترت لنا فيها في الإصدار الثاني عشر ونحن نشكر فيها على الرسالة الفاضلة الدرجة الأولى وبسلسلة الرسائل التالية بعدها إن شاء الله وبهذه الرسالة العامل الدكتور تمام حسّان الذي لم يكن عربياً من قبل كما نرى في الإشادة التي سجلها عنه في الدرجة الثانية والثالثة وقد كان له أثر مهم في هذه المسابقة فلهذا نأشركه في هذه المسابقة الجليلية الصادرة عن المكتب الدائم ونأمل أن يكون هذا على القدر مع سائر اللغات في حقله التعميم الحضاري والإنساني.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

جهاز أكبر مكون من أجهزة فرعية . والمعروف ان الجسم الانساني جهاز حيوي واحد ذو وظيفة معينة هي تحقيق الوجود البيولوجي للانسان ولكن هذا الجهاز الحيوي الواحد مركب من أجهزة فرعية كالجهاز الهضمي والجهاز العصبي والجهاز الانفرازي والدورة الدموية والجهاز التنفسي وهلم جرا . ولكل واحد من هذه

الذي يرتضيه طلاب الدراسات اللغوية المعاصرة ان اللغة منظمة عرفية رمزية ترمز الى نشاط المجتمع وتوجد لتجاربه الكلمات الدالة على هذه التجارب كما توجد الانظمة التي تنسق العلاقات بين الكلمات حين تنتظمها الجمل . واذا كانت اللغة منظمة تشتمل على انظمة فما اشبهها اذن بالجسم الانساني الذي نعرف انه

الاجهزة وظيفية معينة يمكن لطلاب وظائف الاعضاء ان يوضحوها ويحللوا كما لو كانت مستقلة عن بقية الوظائف التي تؤديها الاجهزة الاخرى في الجسم وذلك امر تسمح به طبيعة الرغبة في تنظيم المعلومات وتنسيقها في ابواب وفصول وعلى الرغم من ان هذه الاجهزة الفرعية في جسم الانسان يتوقف عمل كل واحد منها على عمل الاجهزة الاخرى فلا يعقل ان يؤدي اى جهاز مفرد منها عمله مستقلا عن بقيتها . ومعنى هذا ان هناك تنسيقا في العمل يتم بين هذه الاجهزة التي يتكون منها الجهاز الحيوى الاكبر وهو جسم الانسان ويمكن ان نسمى هذا التنسيق في العمل تنسيقا في اداء الوظيفة .

وكما راينا جسم الانسان جهازا مركبا من اجهزة متعددة نرى اللغة منظمة مركبة من انظمة اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى . والفارق الاساسى بين جسم الانسان واللغة ان هذا جهاز حيوى وهذه جهاز رمزى عرقى وان الاول يتم به تحقيق الوجود البيولوجى للانسان والثانى يتحقق به وجوده الاجتماعى وكما ان الضرورات العملية تفرض على طلاب وظائف الاعضاء ان يتناولوا اجهزة الجسم الانسانى بالدراسة مستقلا بعضها عن بعض يتعين على طلاب اللغة ان يفترضوا استقلالا في الذهن لا في الحقيقة لكل نظام من انظمة اللغة يسهل به تناوله . ذلك بان التقسيم والتبويب هما ملاك النشاط العلمى في كل المجالات وليس مجال اللغة بدعا في ذلك . ولولا التقسيم والتبويب لظلت الحقائق المفردة مستعصية على الدرس لكثرتها وتشعبها ، ولاستحالة الاستقراء التام في مجال العلم حتى لقد عدل العلماء عنه الى الاستقراء الناقص وجعلوه اساس المناهج الحديثة .

النظام الصوتى :

قلت ان الانظمة اللغوية اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى واضيف هنا ان لكل واحد من هذه الانظمة ابعاده ومكوناته التى لا بد للباحث ان يذكرها دائما عند تناوله لنظام منها بعينه . فلما النظام الصوتى فقومه ما دلت عليه الدراسة الصوتية Phonetics الحسية من تحديد مخارج الاصوات وصفاتها بواسطة الملاحظة والتجربة ثم ما يقوم من

اوجه المخالفة المتعلقة بتحديد المعنى وهى القيم الخلافية Differential Values بين كل مخرج ومخرج وكذلك بين كل صفة وصفة حتى يستطيع ان يتصدى لتحديد النظام الصوتى Phonological System للغة او يقيم هذا النظام على القيم الخلافية بين الاصوات وفهم كل صوت منها باعتباره جزءا من نظام كلى يمكن تقسيمه الى وحدات يضم كل منها عددا من الاصوات المترابطة من حيث اتحادها في المخرج او الصفة وكونها متخالفة من ناحية اخرى على احد هذين الاساسين . ويحسن هنا ان نضرب مثلا بالاصوات النونية في الكلمات الآتية :

ينفع — ينظر — انت — انا — ينشأ — من كان —
ينفذ — من وجد . فهذه الاصوات وان اتفقت جميعا في صفة النونية التى تتمثل في الفة الاننية تختلف من حيث مخرجها فصوت النون في « ينفع » اسنانى شغوى وفي « ينظر » اسنانى فقط يخرج في نطقه اللسان كما يخرج في نطق الغاء تماما وفي « انت » اسنانى لا يخرج اللسان في نطقه اذ مخرجه داخل الثنايا وفي « انا » لثوى ينطق في مفارز الاسنان وفي « ينشأ » غارى ينطق في نطق الغار وفي « من كان » طبقي ينطق في مخرج الطبق وهو الحنك الرخو الذى في مؤخر سقف الفم وفي « ينفذ » لهوى ينطق في اللهاة وهى مخرج القاف وفي « من وجد » لا ينطق في واحد من هذه المخارج وانما يصير كالواو مع خروج الهواء في النطق من الانف والفم جميعا . ولكن هذه الاصوات النونية جميعا تنتظمها وحدة بعينها من وحدات النظام الصوتى للغة هى « حرف النون » وبذلك نفهم الفرق بين الصوت والحرف فالصوت عملية نطقية والحرف وحدة ذهنية من وحدات النظام الصوتى اى ان الحرف يفهم ولا ينطق على حين ينطق الصوت الذى هو فرع الحرف .

بقى ان ننظر كيف يستطيع طالب اللغة ان ينشئ النظام الصوتى من مجموع الاصوات التى عرفها بالملاحظة والتجربة . هنا يأتى دور القيم الخلافية او الفروق بين الحروف من حيث المخارج والصفات . فالقاعدة الذهبية هنا هى انه لا بد ان يكون هناك فارق في المخرج او في الصفة او فيهما جميعا بين كل صوت وصوت آخر فلو اتفقا في كل شئ لصارا صوتا

النظام الصرفى :

اما النظام الصرفى للغة فانه يبنى على ثلاث دعائم هى : المعانى الصرفية والمباني الصرفية والفروق (القيم الخلافية) التى تكون بين المعنى والمعنى كما تكون بين المبنى والمبنى - وتنقسم المعانى الصرفية الى قسمين هما : معانى التقسيم ومعانى التصريف ولكل منهما مبانيه التى يعرف بها . فأما معانى التقسيم فهى معانى اقسام الكلم التى يتألف منها الكلام وهذه المعانى (كالاسمية والفعلية الخ) تعتبر حجر الزاوية فى النظام الصرفى للغة لان المباني التى تدل عليها (كالاسم والفعل الخ) هى كبرى الاجزاء التحليلية فى هذا النظام وهى الاجزاء التى يمكن لامثلتها ان تحمل معنى مستقلا عند افرادها وعزلها عن سياق الكلام . اما ما اسميه معانى التصريف فهى المعانى التى يجرى بحسبها التفريق بين الصور المختلفة التى يتشكل بها قسم معين من اقسام الكلم كالتكلم الخ . والافراد الخ . والتذكير الخ والتعريف الخ . ولكل من هذه المعانى مبنى واحد او اكثر تدل عليه كالتكلم الخ والمفرد الخ . والمذكر الخ والمعرف الخ . ومن الواضح ان هذه المباني التصريفية لا يمكن افراد امثلتها عن الكلام على نحو تستقل معه بمعانيها كما يستقل الاسم او الفعل او الحرف بمعناه اى ان امثلة هذه المباني التصريفية لا تحسب فى عداد المفردات كما تحسب امثلة الاسم والفعل والحرف .

وعند النظر فى الاسس التى يتم بها تقسيم الكلم نلاحظ ان هذا التقسيم لا يبنى على اساس واحد وانما تتعدد جهات التفريق بين قسم وقسم وتتفرع الى فروق تتعلق بالمعنى . واخرى تتعلق بالمبنى . وحين قسم النحاة العرب الكلم الى ثلاثة اقسام حاولوا راشدين ان يبنوا هذا التقسيم على الاعتبارين السابقين (المعنى والمبنى) فأما محاولة البناء على المعنى فتبدو فى قولهم : « الاسم ما دل على معنى والفعل ما دل على حدث وزمن والحرف ما دل على معنى فى غيره » . واما محاولة بناء التقسيم على المبنى فتبدو مثلا فى قول ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وال

بتا فعلت . وابتت ويا افعلتى

ونون اقبلن فعل ينجلى

واحدا ولم يعد هناك وجه لاعتبارها صوتين مختلفين . فاذا استقر ذلك فى ذهن الطالب فعليه بعد ذلك ان يربط هذا التفريق بالمعنى ربطا محكما . فاذا فعل فسيجد ان من الحالات التى تصادفه ما يتعذر فيه على صوت ما ان يحل فى الكلام محل صوت آخر وان من الحالات ما يمكن معها لصوت معين ان يحل محل صوت آخر فى كلمة بعينها فيتغير معنى الكلمة تبعا لهذا « الاستبدال » . والقاعدة الاساسية فى ذلك ان الصوتين اذا لم يحل احدهما محل الآخر يعتبران اخوين فى نطاق وحدة من وحدات النظام الصوتى . اما اذا حل احدهما محل الآخر مع تغير فى معنى الكلمة فهما من حرفين مختلفين والمثال الذى نضربه لايضاح ذلك يعود بنا مرة اخرى الى الاصوات النونية التى اشرنا اليها من قبل حيث نلاحظ ان اى صوت من هذه الاصوات النونية التى وردت فى غير كلمة « انا » من الكلمات السابقة لا يمكن ان يتم نقطه فى كلمة « انا » بمعنى ان صوت النون فى « انا » لا ينطق بالشفة مع الانسان مثلا ولا يخرج فيه اللسان ولا ينطق فى اللهاة الخ . ومعنى ذلك ان بين صوت النون فى « انا » وبين بقية اصوات النون الاخرى تخارجا من حيث الموقع الواحد فلا يحل احد اصوات النون فى كلمة محل واحد آخر من اصواتها وبذلك نفهم من هذا « التخارج » ان جميع هذه الاصوات النونية تندرج تحت عنوان واحد هو « حرف النون » . اما اذا حاولنا ان نضع فى موضع صوت النون فى « انا » صوتا آخر كأحد اصوات اللام او الميم مثلا فاننا سنجد هذا الامر ممكنا مع تغير فى المعنى بحيث تصير الكلمة « الا » او « اما » وبذلك « الاستبدال » يصير صوت النون « مقابلا استبداليا » لصوتى اللام والميم ويمكن باختيار امثلة اخرى ان نفهم انه « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من « الحروف » .

وباستخدام طريقة الاستبدال التى تعتمد على الاختلاف فى المعنى كما تعتمد على القيم الخلافية بين المخارج بعضها وبعض وبين الصفات كذلك يستطيع الطالب ان يحدد الوحدات التى يتكون منها النظام الصوتى فى اللغة وهذه الوحدات هى الحروف فكل حرف فى النظام الصوتى للغة « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من الحروف وشرط كونه وحدة بعينها فى هذا النظام ان يكون كذلك .

سواهما الحرف كملوفى ولم

فى هذا التقسيم فعلا فوصلت الى ان الكلم العربى
ينقسم الى سبعة اقسام هى :

فاذا اردنا ان نحدد المعانى والمباني التى يتم تقسيم
الكلام بها وجدناها كما يلى :

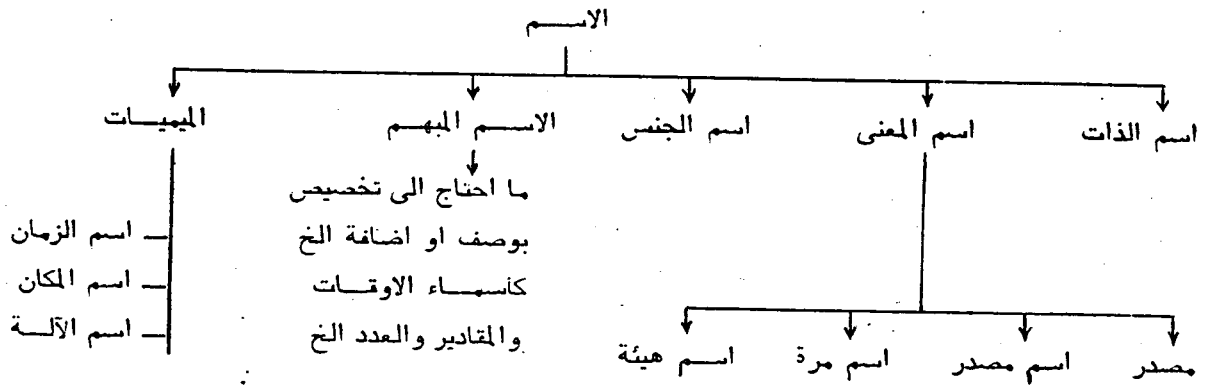
١ - المعانى : ب - المباني :

المسمى	البنية
الحدث	الصورة الاعرابية
الزمن	التضام
التعليق	الرتبة
معنى الجملة	الالصاق
	الجدول
	الرسم الاملائى

الاسم - الصفة - الفعل - الخالفة - الضمير -
الظرف - الاداة . وسأحاول فيما يلى ان افرق بين كل
واحد من هذه الاقسام وبين ما سواه مشيرا الى حقيقة
هامة جدا هى ان المبنى الدال على معنى اى على
قسم من هذه الاقسام ربما نقل من الدلالة على معناه
الذى يدل عليه بحسب التقسيم الى معنى آخر بحسب
العرف الاستعمالى للغة كان ينقل الفعل من الفعلية
الى الاسمية كما فى « يزيد » و « يشكر » وكما ينقل
الاسم المبهم الى الظرفية كما فى « يوم الجمعة »
و « ثلاث ساعات » وكما ينقل حرف الجر الى الظرفية
كما فى « مذ » و « منذ » والموصول الى معنى اداة
الشرط او الاستفهام كما فى « من » و « ما » و « اى »
الخ .

وفى رأى ان التقسيم الذى ورثناه عن النحاة العرب
بحاجة الى اعادة نظر بل الى محاولة جديدة لتقسيم
جديد مبنى على الاسس المذكورة . ولقد أعدت النظر

الاسم : يمكن فهم المقصود بالاسم من التخطيط
التالى :



على مطلق الحاضر والغائب الخ (تسمية) .

3 - الاسم يكون مضافا ومضافا اليه وموصوفا
وهذا يخرج الضمائر لانها تقع موقع المضاف اليه ولا
تقع موقع المضاف ولا موقع الموصوف ابدا (تضام) .

4 - الاسم يكون مسندا اليه
ولا يكون مسندا وهذا يخرج الصفة
لانها تكون مسندا كما تكون مسندا اليه وربما تم لها
ذلك فى موقع واحد من مواقعها كما فى قولك : جاء
الباسم وجهه . اذ وقع « الباسم » مسندا اليه باعتبار
« جاء » ومسندا باعتبار « وجهه » (تعليق) .

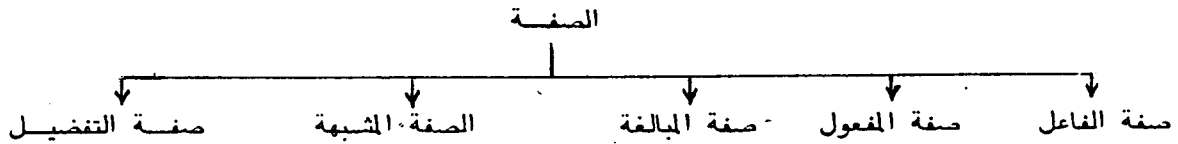
ويمتاز الاسم بما يلى :

1 - قبول الجر لفظا وهذا القيد ان ادخل معه
الصفات فانه يخرج الضمائر والظروف لانها لا تجر
ولو كان الجر محلا هو الدليل على الاسمية لاصبحت
الجملة التى فى محل جر فى عداد الاسماء (علامة
اعرابية) .

2 - الدلالة على مسمى وهذا يخرج الفعل اولا
لانه يدخل على حدث وزمن كما يخرج الصفة لانها
تدل على موصوف بالحدث ويخرج الضمير لانه يدل

والتأويل وسنرى هذا واضحا في الكلام عن ذكر خصائص
الاقسام الاخرى للكلم العربي وبخاصة عند الكلام عن
الصفات والضمائر والظروف .
الصفة : والمقصود بالصفات يتضح مما يأتي :

وهكذا نجد الاسم يتميز بخصائص معينة توضح لنا
ان النحاة العرب حين اعتبروا الصفات والضمائر
من الاسماء وقعوا في مزلق التعميم وقد جرهم هذا في
كثير من الاحيان الى التورط في مطالب التبرير والتخريج



وتمتاز الصفات بما يأتي :

ووضع اللفظ المعرب في صورة يقبلها الذوق والعرف
العربيان اذ يلاحظ طلاب اللغة ان حرية صياغة الاسماء
عند تعربها اكبر من حرية صياغة الصفات من الناحية
الصرفية . اصف الى ذلك ان بعض الصيغ تستعمل
للأسماء ولا تستعمل للصفات ولعل الاشموني قد فطن
للفرق بين الاسم والصفة حين تعرض لشرح باب
التصريف من الفية ابن مالك اذ اشار الى هذه الحقيقة
السابقة (بنية) .

1 — تقع مسندا ومسندا اليه كما سبق فتمتاز
بذلك عن الافعال التي لا تقع الا موقع المسند والاسماء
التي لا تقع الا موقع المسند اليه . وهذه الخاصة من
خواص الصفات تبرر القول بوجود جملة وصفية في
اللغة العربية تقف جنبا الى جنب مع الجملتين الاسمية
والفعلية ويتضح ذلك في اعراب « اقامم زيد » فالنحاة
يروون ان كلمة « قائم » مبتدا وان كلمة « زيد » فاعل
ويلاحظ على ذلك امور :

3 — وتمتاز الصفات عن بقية الاقسام السبعة ايضا
من حيث الجداول الصرفية . والجداول الصرفية ثلاثة
انواع اولها الجدول الالصاقى الذى نحاول به ان نرى
ما تتقبله الكلمة من اللواحق الدالة على المعانى
الصرفية كاداة التعريف تلحق الاسماء والصفات وتكون
التوكيد تلحق الافعال وتكون الوقاية تلحق الانفعال
وبعض الادوات . وثانيها الجدول التصريفى الذى يبدو
حين ننظر في احد الافعال لنرى ما اذا كان مستكملا
صوره الثلاث او ان الماضى او المضارع مثلا لا يأتیان
منه وحين ننظر في اسم فاعل مثلا لنرى هل تأتى من
مادته بقية الصفات اولا وثالثها الجدول الاسنادى
الذى يسند فيه الفعل بصوره المختلفة الى الضمائر ليرى
وجه التغير فيه بالاعتماد على ابدال الضمائر

الاول : ان المبتدا والفاعل كليهما من قبيل المسند
اليه وفي قول النحاة انكار لبناء الجملة لان الاسناد
لا يتم بين مسند اليهما بل يتم بين مسند اليه ومسند .

الثانى : ان في قولهم ان زيدا فاعل اعترافا بان
الصفات ليست اسماء لان الاسم عندهم لا يرفع فاعلا
ولا ينصب مفعولا .

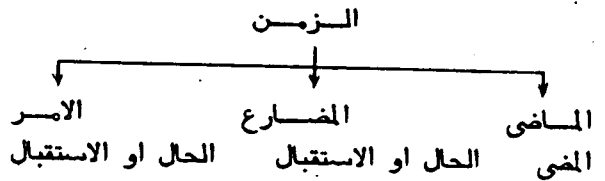
الثالث : ان في اشتراطهم اعتماد الوصف مع الفاعل
والمفعول على نفى او استفهام او مخبر عنه او موصوف
اعترافا بان « يوسف زهير » او « يوسف مؤيدان »
جملة النفى او جملة الاستفهام وهما اصليتان او جملة
الخبر او جملة الصفة وهما فرعيتان ومعنى ذلك ان
الجملة الوصفية تصلح جملة اصلية وفرعية . والوجه
في رأى ان اعراب الوصف لا ينبغى ان يكون بدعوى
انه مبتدا وانما يكون بانه صفة فاعل او مفعول الخ
كما نصف الفعل في الاعراب بانه فعل ماض او مضارع
الخ (تضام — وكذلك معنى الجملة) .

فالاسماء تدخل جداول الالصاق فقط والصفات تدخل
جداول الالصاق والتصريف والافعال تدخل هذين
النوعين كما تدخل جداول الاسناد . وانما قلت ان
الصفات لا تدخل جداول الاسناد لان هذا النوع من
الجداول لا تتغير فيه بنية الصفات باعلال او ابدال
الخ . كما تتغير بنية الافعال ومن ثم لا يفيدنا وضع
الصفة في جدول اسنادى اية فائدة لاغراض التحليل
اللغوى . (جدول) .

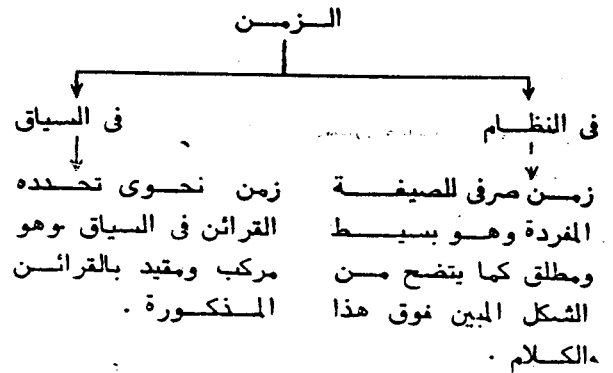
2 تمتاز الصفات بانها محددة الصيغ اكثر مما
تتحدد صيغ الاسماء ويتضح ذلك عند ارادة التعريب

4 - سبق ان اثرت الى ان الصفات تدل على موصوف بالحدث . اى انها لا تدل على مسمى كما تدل الاسماء ولا على مطلق الحدث كما تدل المصادر من بين الاسماء ولا على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا على مطلق الغائب والحاضر كما تدل الضمائر ولا على ظرفية كما تدل الظروف ولا على علاقة كما تدل الادوات وبذلك تمتاز الصفات عن بقية الاقسام (مسمى ، حدث ، زمن) .

الفعل : والفعل ثلاثة انواع : ماض ومضارع وامر ولكل من هذه الثلاثة صيغته الخاصة التى تتعدد بين التجرد والزيادة كما ان له معناه الزمنى الصرفى الخاص الذى يتمثل فى الشكل الآتى :



هذا هو النظام الزمنى الصرفى فى اللغة العربية ومنه يبدو ان الماضى خالص لصيغة الفعل الماضى وان الحال والاستقبال هما المعنيان اللذان يفهمان من المضارع والامر فلا يعين النظام الصرفى احدهما لاحدهما اذ لا يكون هذا التعيين فى الزمن الصرفى الذى هو معنى الصيغة المفردة وانما يكون تعيين الزمن للفعل بواسطة عدد من القرائن فى السياق النحوى ولا مجال لذكرها الآن . ومعنى ذلك ان هناك فرقا بين الزمن الصرفى والزمن النحوى على الوجه التالى :



ويمتاز الفعل عما عداه من انواع الكلم بما يأتى :

1 - يختص الفعل بقبول الجزم (وهذا فى المضارع

من الافعال) فلا يشاركه فى ذلك قسم آخر من اقسام الكلم (علامة اعرابية) .

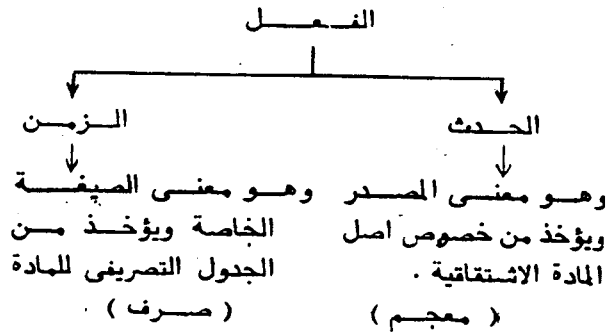
2 - للافعال صيغ خاصة بها تختلف عن صيغ الاسماء والصفات وهى قياسية ومحفوظة فى كتب الصرف (بنية) .

3 - تقبل الافعال الدخول فى كل انواع الجداول بخلاف الاسماء التى لا تدخل الا الجداول الاصاقية وبخلاف الصفات التى تدخل الجداول الاصاقية والتصريفية دون الاسنادية (جدول) .

4 - تمتاز الافعال عن بقية الاقسام بقبول عدد من اللواحق لا تلتصق بغيرها كضمائر الرفع المتصلة وضمائر النصب المتصلة والسين ولام الامر وحروف المضارعة ونون التوكيد وتاء التأنيث المفتوحة (جدول - شكل املائي - الصاق) .

5 - تمتاز الافعال بدخول بعض الضمائم عليها مثل قد وسوف ولم ولن ولا الناهية مما لا يدخل على غير الافعال من الاقسام الاخرى للكلم (تضام) .

6 - تدل الافعال على حدث وزمن على النحو الآتى:



اما الاسماء فتدل على مسميات حتى ان المصدر حين يدل على الحدث المطلق انها يتخذ هذا الحدث المطلق مسمى له ومن هنا اطلق طلاب اللغة على المصدر « اسم الحدث » وقال فيه ابن مالك :

المصدر اسم ما سوى الزمان من مدلولى الفعل كأمن من امن

واما الصفات فتدل على موصوف بالحدث عن طريق الفاعلية او المفعولية او المبالغة او مطلق ثبوت الوصف او التفضيل (مسمى - حدث - زمن) .

ولا تخطيء النظرة الفاحصة ان ترى وجه الشبه في الصيغة بين « افعل » للتعجب و « افعل » للتفضيل وان افترقت الصيغتان اعرابا وبناء . والذي نرمي اليه بهذه المناقشة ان نزع ان صيغتي التعجب لا تقعان في عداد الافعال . ولا شك انها ليستا من الصفات ايضا لعدم قبولهما علامات الصفات ومن هنا لا يبقى لهما الا ان تنتميا الى قسم آخر من اقسام الكلام .

وخالفنا المدح والذم ايضا ابعد ما تكونان عن الفعلية لعدم ورودهما على صيغ الافعال واوزانهما ولعدم دلالتهما على الزمن والحدث ولعدم قبولهما الدخول في جدول يسندان فيه الى ضمائر الرفع المتصلة كما تسند الافعال ولعدم قبولهما ان تدخل عليهما قد والسين وسوف ولم ولن وبقية ما يدخل على الافعال ولورودهما في النصوص العربية مع حروف الجر ولان الاسم الدائم الرفع بعدها لا يعرب فاعلا وان مرفوعهما الذي تدعى له الفاعلية قد ينصب على التمييز فلا يكون لهما فاعل . ومن هنا يصبح في القول بفعليتهما بعض التعسف ويصبح من الافضل فيهما ان يعتبرا من قسم آخر من اقسام الكلام غير الافعال .

والذي قلناه من وجوب اخراج خوالف التعجب والمدح والذم من عداد الافعال يصبح اكثر وضوحا في محاولة اخراج خوالف الاخالة (اسماء الافعال) من عداد الاسماء لعدة اسباب منها ان النحاة دائما يفسرونها بالافعال فيقولون ان شتان بمعنى افترق وهيئات بمعنى بعد واوه بمعنى اتوجع وصه بمعنى اسكت ومنها ان هذه الخوالف لا تقبل علامات الاسماء ولا علامات الصفات ولا الافعال ولا غيرها وانها عبارات جارية مجرى الامثال Idioms فلا تتغير في معناها ولا في مبناها ومن ثم يصبح من الضروري لطالب اللغة ان يخرجها من عداد الاسماء والافعال وان يلتبس لها شبيها من الكلم يضفي اليه في قسم واحد .

واوضح من ذلك امر خوالف الاصوات (اسماء الاصوات) اذ لا تشارك الاسماء في علاماتها كما لا تشارك الافعال ولا الصفات الخ وانما هي عبارات ينظر اليها من حيث الاشتقاق باعتبارها « عقيما » ان صح هذا التعبير الذي اقدم دونه الاعتذار .

والقسط المشترك بين هذه الخوالف جميعا كما

7 — لا تقع الافعال من الجمل الا موقع المسند ومن ثم تختلف عن الاسماء التي لا تقع الا موقع المسند اليه وعن الصفات التي تقع الموقعين جميعا كما سلف .

وبهذه الخصائص تتفرد الافعال بقسم خاص من اقسام الكلم العربي من حيث المعنى ومن حيث المبنى .

الخالفة : والخوالف عبارات افساحية اي تستعمل في الانصاح عن موقف للمتكم من امر ما ومن ثم كانت الجملة التي تبني على هذه الخوالف جملا انشائية في معناها ولكن ما تدل عليه من معنى الانشاء يبدي طابعا خاصا شبيها بما يسمونه في الانجليزية Exclamation . وهذه الخوالف اربعة انواع :

1 — خالفة التعجب نحو ما احسنه واحسن به .

2 — خالفة المدح او الذم نحو نعم زيد رجلا وبئس هناء امرأة .

3 — خالفة الاخالة نحو هيهات ما تريد واوه وصه .

4 — خالفة الصوت نحو كخ للصبي .

والاستعمالات التي ترد فيها هذه الخوالف جزء لا يتجزأ من اللغة الانفعالية او العاطفية التي يطلق عليها طلاب اللغة في الغرب Affective Language وربما شاركها في ذلك الندية والاستغانة والعبارات الاخرى الدالة على الاستحسان والاستهجان .

واذا نظرنا الى صيغتي التعجب وجدنا ان دعوى فعليتهما تحتاج الى كثير من النظر لانهما لا تقبلان علامات الافعال ولا تدخلان في الجداول المختلفة كما تدخل الافعال فلا ترفعان الفاعل ولا تدلان على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا توصفان بالتعدى واللزوم كما توصف الافعال . وعندى ان هاتين الصيغتين ذواتا رحم وقربى تصل بينهما وبين صفة التفضيل سواء من حيث المعنى ومن حيث المبنى . فلما من حيث المعنى ففي التعجب دلالة على تفضيل التعجب منه على ما كان من قبله ولم يبلغ مبلغه واما من حيث المبنى فيكنى للاشارة اليه ان نذكر قول ابن مالك :

صغ من مصوغ منه للتعجب
افعل للتفضيل واب للذم

ذكرنا ان لها طبيعة الانفصاح الذاتي فكلها من الاساليب الانشائية ويحسن في جميعها في الكتابة ان تعقبه علامة الترقيم الدالة على التأثير (١) . وما كان ابعد النحاة من الصواب حين فسروا هذه الخوالب بعبارات من قبيل الاسلوب الخبري لان الفرق بين شتان زيد وعمرو وافترق زيد وعمرو لا يمكن ان يكون قد خفى على اصحاب الادب ان صح انه خفى على ارباب اللغة وقد كنت النفس لهم المعاذير لو كانوا قد فسروا هذه العبارة بعبارة تعجب مثل « ما اكبر الفرق بين زيد وعمرو لان التعجب انفصاحي ومن ثم يصبح قريب المعنى من التعبير بخالفة الاخالة . ومثل ذلك ما نلاحظه من فارق بين « اوه » وبين « اتوجع » فلو انك احسنت بلسنة النار في يدك فقلت : « اتوجع » لكان للسامع عذر الا يخف الى نجدك وان يسالك في هدوء : « مم تتوجع » ولو قلت : « اوه » لاختلف امر استجابته لك باختلاف المعنى لان عبارة « اوه » تدل على الانفصاح والانشاء على حين تدل عبارة « اتوجع » على الاخبار المجرد .

ويجمع بين هذه الخوالب ايضا انها ثابتة الصياغة جارية مجرى الامثال وانها اما محرومة من الروابط الاشتقاقية تماما كما تبدو الحال في خوالب الاخالة والاصوات او ان روابطها الاشتقاقية واهية ببقية صيغ مادتها كنعم وبئس او انها يغلب فيها تناسي هذه الروابط كخالفة التعجب .

ونمتاز هذه الخوالب من بقية اقسام الكلم بها يأتي:

١ - انها لا تدل على مسمى ولا حدث ولا زمن ولا موصوف يحدث وانها تدل على مجرد الانفصاح عن موقف للمتكلم من امر معين وبذلك تختلف عن بقية اقسام الكلم .

٢ - انها جميعا ذوات رتب محفوظة بالنسبة لضماليها وقد جاءها حفظ الرتبة هنا من كونها عبارات محفوظة ثابتة التركيب جارية مجرى الامثال التي لا تغير وهذا يفرق بينها وبين اقسام الكلم الاخرى التي لا ينتظم حفظ الرتبة فيها الجملة جميعها على هذه الصورة .

٣ - انها عديمة الحاجة الى اللواحق كما في خوالب الاخالة والاصوات او قليلة الاحتمالات لها كما في اقتصار التعجب على ان تلصق به نون التولية واقتصار المدح والذم على تاء التانيث المفتوحة وهذا مبرر آخر لامرادهما في قسم خاص .

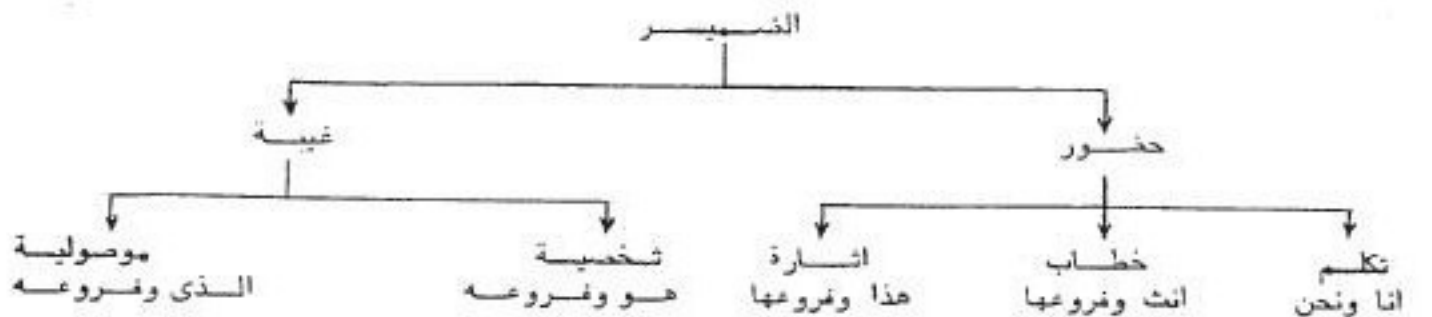
٤ - ان لها طابع الافتقار الى الضمائم المعينة كافتقار التعجب الى ما والمنسوب وافتقار المدح والذم الى اسم الجنس وافتقار بعض خوالب الاخالة الى المرفوع .

٥ - لا يصدق وصفها بالتعدي واللزوم ولم يسدر بخاطر النحاة ان يعربوا المنسوب بعد اى منها مفعولا . وبهذا يتضح الفرق بين الخوالب وبقية اقسام الكلم وبخاصة الاسماء والافعال .

الضمير : الضمير ما دل على مطلق ذى حضور او غيبة دون دلالة على خصوص الغائب او الحاضر وهذا هو ما يقصده ابن مالك بقوله :

وما لذى غيبة او حضور
كانت وهو سم بالضمير

وفي رأيي ان تعريف ابن مالك صالح لان يحمل على ما لم يرده ابن مالك بالضمير بل ما اريد انا هنا ان اجعله مشمولا بهذا الاصطلاح ويتضح توسيعي لدلالة هذا الاصطلاح بحيث يشمل ما هو اكثر من ضمائر الاشخاص على النحو التالي :



ومعنى ذلك ان الضمائر في نظام الصرف العربى تنقسم الى ثلاثة اقسام :

1 - ضمائر شخصية

2 - ضمائر اشارة .

3 - ضمائر موصولة :

ولا شك ان الغيبة والحضور من المعانى الصرفية العامة التى لا تتطلب الاسماء للتعبير عنها بل هى معان « حقا ان تؤدى بالحرف » كما يقول النحاة ولقد رأى النحاة هذا « الشبه المعنوى » بين الضمائر بتوابعها وبين الحروف اساسا من اسس بنائها . يضاف الى ذلك ما يتسم به استعمالها من الافتقار المتأصل الذى لهذه الضمائر لان ضمائر الاشخاص تفتقر الى مرجع وتفتقر الموصولات الى صلة كما تفتقر الاشارات الى ماثول مادى او ذهنى وهذه الامور التى تفتقر اليها الضمائر هى التى تعين على تحديد العموم الذى فى دلالتها على مطلق الغيبة او الحضور .

وتمتاز هذه الضمائر عن بقية اقسام الكلم على النحو التالى :

1 - الضمائر ذات رتب محفوظة فالرتبة محفوظة بين الضمير الشخصى ومرجعه كما انها محفوظة بين الموصول وصلته وبين ضمير الاشارة وبيانه .

2 - لكل نوع من الضمائر طريقان للاستعمال احدهما الاشباع والاخر الاضعاف ففى ضمائر الاشخاص يكون الاشباع بالضمير المنفصل والاضعاف بالمتصل وفى الاشارة يكون الاشباع بحروف التنبيه والبعد والخطاب ويكون الاضعاف بحذفها وفى الموصول يكون بذلك فى « اولاء » وبغيره فى غيرها « كالى » و « اللذ » و « منو » و « من » وكذلك « ما » و « م » . وبهذا تقرب الضمائر من الحروف وتبعد عن الاسماء .

3 - كل الضمائر يقع موقع المضاف اليه ولا يكون مضافا كما لا يكون موصوفا ابدا وهذا فرق بين الضمائر والاسماء ايضا :

4 - تبدو الضمائر المتصلة فى الكتابة اجزاء كلمات مثلها مثل الحروف المتصلة تماما وهذا يفرق بينها وبين الاسماء .

5 - تلعب الضمائر ذات العائد دور الربط فى السياق ويساعد الافتقار على اداء مثل هذا الدور .

كل ذلك يبعد بالضمائر المختلفة عن ان تكون اسماء ويدعو الى افرادها بقسم خاص من اقسام الكلم فى اللغة العربية .

الظرف : سبق ان ذكرت ان بعض اقسام الكلم يستعمل منقولا للدلالة على معانى الاقسام الاخرى ، وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى اكثر الالفاظ المستعملة استعمالا الظروف . فاللاحظ ان الكثير من الاسماء البهية يستعمل استعمال الظرف وكذلك المصادر وبعض الاشارات والادوات . فمن ذلك مثلا :

أ - اسماء الجهات نحو رايته يسير غرب الحائط وجنوب الحديقة وامام المسجد .

ب - اسماء الاوقات نحو رايته ساعة الشروق يوم الجمعة وصباح السبت وظهر الاحد - وحين البأس

ج - اسماء الاعداد نحو : خرجت خامس رمضان وجلست ثلاث خطابات من المعلم .

د - اسماء المقادير نحو : سرت فرسقا او بريدا .

هـ - اسم الزمان نحو رايته مطلع الشمس .

و - اسم المكان نحو قعدت مقعد فلان .

ز - المصدر نحو اتيك طلوع الشمس وقدوم الحاج ومنه فى رأى قط وعوض مقطوعين عن الاضافة .

ح - اسماء مبهمه اخرى نحو عند ولدى وقبل وبعد ولدن ونصف وبعض وكل .

ط - الصفات والمنسوبات نحو جلست طويلا وجميع اليوم وشرقى المنزل .

ي - بعض الاشارات نحو اجلس هنا ولا تجلس هناك وهما من اشارات المكان ومن اشارات الزمان فى رايى كلمة « الآن » .

ك - بعض الحروف نحو ما رايته مذ امس ومنذ يوم الجمعة .

ولقد رأينا مما تقدم ان اكثر ما اطلق النحاة عليه اصطلاح « الظرف » لم يكن فى الحقيقة ظرفا بالمعنى الصرفى ولا صلة بينه وبين الظرف الا ان كليهما يقع

2 — انها جميعا نوات رتبة محفوظة عبر النحاة عنها بعبارة « الاضافة الى الجملة » .

3 — ان قوة الشبه بينها وبين الحروف شجعت الاستعمال اللغوى على « نقلها » من الظرفية الى معنى الاداة فاستخدمت فى الشرط والاستفهام واحتفظت برتبة لها فى صدر الجملة .

4 — ان معنى الظرفية المفهوم من هذه الظروف هو « الظرفية الاقترانية » لا « الظرفية الاشتمالية » والمقصود بالظرفية الاقترانية ان يعبر الظرف عن اقتران حدثين فحين تقول :

يخرج زيد اذا حضر عمرو
يكثر المطر متى جاء الشتاء
يسقط الطير حيث يلتقط الحب
رايت البشر فى وجهه اذ جاء

نالظرف فى كل ذلك
يقرن الحدث الاول
بالثانى .

واما ما عدا هذه الظروف مما نقل الى الظرفية وكذلك ما يدل على معنى الظرفية من حروف الجر فظرفيته ظرفية اشتمال نحو : جاء زيد يوم الجمعة ورايته فى المسجد الخ . ولعل هذا الفارق فى المعنى بين الظروف الاصلية والمنقولة واضح الدلالة على صواب ما اذهب اليه من افرادها بقسم خاص . والملاحظ ان معنى « الظرفية الاقترانية » يبقى لهذه الظروف عند نقلها الى الشرط وتحل محله « الظرفية الاشتمالية » عند نقلها الى الاستفهام . والذى اراه انها عند نقلها الى احد هذين المعنيين تصير ادوات لا ظروف .

الاداة : تنقسم الاداة الى قسمين : اصلية ومنقولة . وهذه المنقولة قد تكون منقولة من الاسمية او الفعلية او الظرفية كما اشرنا منذ قليل . وتشارك الادوات بقسميها فى امر هام هو انه لا يقصد بها فى الاساس معنى معجمى اى انها كما يقول النحاة لا تسدل على معنى فى نفسها كما يدل الاسم والفعل ولكنها تدل على معنى وظيفى هو معنى « الربط السياقى » الذى سنتكلم عنه فى معرض شرح القرائن ولما كان هذا الربط من المعانى التى تؤدى بالحرف راينا الادوات الاصلية من الحروف . وللادوات مميزات من حيث المعنى والمبنى تميزها عن بقية اقسام الكلم كما يأتى :

فى مجال السياق النحوى موقع المفعول فيه . ومعنى ذلك ان المفعول فيه وهو باب من ابواب النحو يمكن ان يعبر عنه بكثير من قسم واحد من اقسام الكلم كالاسم المبهم والصنفه وضمير الاشارة وكل ما نقل الى معنى الظرفية من غير ذلك كالاشارات والحروف كما يعبر عنه ايضا بالظروف التى تستحق اسم الظرف من وجهة النظر الصرفية اى من حيث تقسيم الكلم . وقبل ان احدد المقصود بهذه الظروف التى هى قسم من اقسام الكلم ينبغى ان اشير الى ان « النقل » مما اعترف به النحاة وجعلوه قسما للارتجال فى باب العلم ومن ادلة ذلك قول ابن مالك :

ومنه منقول كفضل واسد
وذو ارتجال كسماد وادد

فلا غرابة ان فى « نقل » الاسماء والصفات والاشارات والحروف الى معنى الظرفية . وهذا النقل كما يبدو اهم الاسس لتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الصرفى الواحد على نحو ما يفصله « معنى اللبيب » لابن هشام .

عند هذه النقطة يصبح من الضرورى ان نحدد الظروف التى ينظمها قسم خاص من اقسام الكلم فلا تعد فى الاسماء . وهذه الظروف محدودة العدد وهى كما يلى :

للزمان : اذ — اذا — ان — متى — ايان .

للمكان : حيث — اين — انى .

وهذه الظروف لا تقبل علامات الاسماء فهى لا تجر لفظا ولا تنون تمكينا ولا تنادى ولا تتصل بها ال ولا تكون مسندا اليه ولا مضافا اليه ومن ثم لا يمكن اعتبارها فى عداد الاسماء .

ولا يعترض معترض بأن هذه الظروف محدودة العدد ولا يستقيم لقسم من اقسام الكلام ان يكون محدود العدد كذلك فالرد على ذلك ان الضمائر محدودة العدد والحروف محدودة العدد ايضا والخوالف اقل عددا من كل اولئك . ويجمع بين هذه الظروف جميعا امور :

1 — انها جميعا مبنية لما بينها وبين الحرف من مشابهة وهذا يبعد بها عن الاسماء .

1 — الاداة ذات رتبة محددة فحرف الجر قبل
المجرور وحرف العطف قبل المعطوف وحرف القسم
قبل القسم به ولادوات الشرط والاستفهام الصدارة
والصدارة رتبة النواسخ ايضا وهى ادوات منقولة
فى بعض الحالات .

2 — الاداة ذات افتقار الى ضمنية لان معناها لا
يستقل فى الفهم الا بما يضامها وهذا طابع من طابعها
لا يتخلف .

3 — من الاداة ما ينفصل فى الكتابة وما يتصل
شأنها فى ذلك شأن ضمائر الاشخاص ولعل الفيل فى
ذلك هو عدد حروفها فى الكتابة . والفرق بين الاداة
المتصلة وبين لواصق الصرفية ان الكلمة اذا استبعدت
منها اللاصقة الصرفية ذهب معناها اما اذا استبعد
منها الحرف (الاداة) الذى اتصل بها فان معناها
يظل لها ويتضح ذلك حين تفصل الحرف الاول عن بقية
الرسم الاملاى من كلمتى :

تقوم و بمحمد

4 — الادوات فى حقل النحو روابط اما بين كلمة
واخرى كالمعطوف والمعطوف عليه واما بين كافة اجزاء
الجملة كما فى الشرط وبهذا تكون الاداة احدى قرائن
التعليق النحوى .

لقد اشرت منذ قليل الى ان النواسخ ادوات ولقد
تصدت بذلك ان واخواتها باعتبارها ادوات اصيلة
كما قصدت كان واخواتها نواسخ المقاربة والشروع
الخ باعتبارها ادوات منقولة عن الفعلية وهذه النواسخ
المنقولة ربما كانت بحاجة الى فضل ايضاح نسوقه
فيما يلى :

1 — لقد ذكرنا من قبل ان الظروف حين تنقل الى
الاستفهام تفقد معنى « الظرفية الاقتراعية » لتدل على
« الظرفية الاستمالية » ويشبه ذلك ان النواسخ
المنقولة عن الفعلية حين تنقل الى معنى النسخ تفقد
الدلالة على الحدث ولا يبقى لها من معنى الفعل الا
الدلالة على الزمن وهذا هو المقصود بانها ناقصة .
بل ان « ليس » من بين هذه الادوات تتمحض للنفى
ولا يتضح فيها حتى معنى الزمن .

2 — لا يوجد معنى الاستناد بين هذه الادوات

ومرفوعاتهما ولكن هذا المعنى واضح بين المرفوع
والمنصوب بعدها ولو كانت افعالا لوقعت موقع المنصوب .

3 — لا توصف هذه الادوات بتعد او لزوم ولو كانت
افعالا لوصفت علاقتها بالخبر المنصوب بعدها بأحد
هذين الوصفين .

4 — بعض هذه الادوات كليس وعسى واخلاق
وافعال الشروع اما غير متصرفه تماما واما ناقصة
التصرف مما يباعد بينها وبين الافعال التامة فينفى عنها
صفة الفعلية .

5 — تختص هذه النواسخ بالدخول على الاعمال
فتعتبر قرائن وتدل على خصوص زمن الفعل الذى
دخلت عليه وبهذا تكون تعبيرات عن الجهة (aspect)

هذه الفروق بين النواسخ المنقولة عن الفعلية
وبين الافعال التامة تكشف عن وجه الصواب فى اعتبار
هذه النواسخ ادوات .

تلك كانت مبانى التقسيم وقد رأينا ان الكلم سبعة
اقسام هى :

الاسم — الصفة — الفعل — الخالفة — الضمير —
الظرف — الاداة .

ونحب ان نلاحظ هنا ان الاقسام الثلاثة الاولى
ذات طابع اشتقاقى يسمح لكل مبنى منها ان تتعدد
تحت الصيغ الصرفية وتتنوع بين القياس والسماع
وان مبانى الاقسام الاربعة الاخرى لا تخضع لهذا
الطابع الاشتقاقى ولا تتعدد الصيغ تحت اى منها وانما
يقع تحت كل منها وحدات معينة يمكن عدها واحصاؤها
وتعتبر كل وحدة منها صالحة للاستعمال بحسب
الاصالة وللاستعمال بحسب النقل . والمثال الذى
اسوقه لذلك هو « ما » باعتبارها وحدة من هذه
الوحدات او بعبارة اخرى باعتبارها فى صورتها العامة
« مبنى » صرفيا تتعدد معانيه بحسب الاستعمالات
التي يصلح لها كما يلى :

الموصولة — النفى — الاستفهام — الشرط —
المصدرية الظرفية — النكرة التامة وغير التامة —
الزيادة الخ .

فكلمة « ما » هنا مبنى صرفى عام تتعدد معانيه

تشتغل على ما يلي :

المبنى	المعنى
التكلم	1 - التكلم
المخاطب	2 - الخطاب
الفئات	3 - الغيبة
المفرد	4 - الأفراد
المعدد	5 - التثنية
المجموع	6 - الجمع
المذكر	7 - التذكير
المؤنث	8 - التأنيث
المعرف	9 - التعريف
المتعین	10 - التنكير

وتظل احتمالية طالما بقي هذا المبنى على صورته المفردة العامة غير واقع في جملة . فاذا وقعت « ما » في جملة فهي « مثال » للصورة العامة التي ذكرناها ومن شأن المثال على عكس المبنى العام ان يتمحض لمعنى محدد غير متعدد ولا محتمل - وهذا شبيه بالفرق بين المبنى « فاعل » والمثال « هذا قاتل » فان معنى « فاعل » صالح لصفة الفاعل والصفة المشبهة ومع سكون اللام لفعل الامر الخ وإما المثال فهو محدد المعنى كما ترى . والصورة العامة (الصيغ والوحدات) التي سبقت في الذكر هي التي سوف نغنيها عند الكلام عن قرينة المبنى أو البنية .

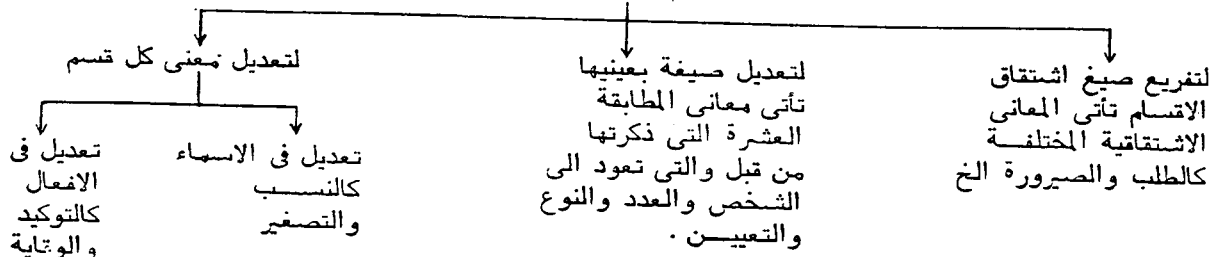
وأما معاني التصريف وما يدل عليها من مبان فيمكن إيجاز القول فيها كما يلي :

الملاحظ ان المعاني الصرفية ليست مقصورة على معاني التقسيم فقط (وهي الاسمية والوصفية والفعلية والافصاح والاضمار والظرفية والتأدية) وانما تشتغل على معان اخرى وظيفتها تنويع دلالة هذه الاقسام عند ورودها في السياق النحوي فالاسم مثلا يتصور فيه ان يكون في السياق اما معرفة واما نكرة كما يكون مذكرا او مؤنثا وينسب اليه دائما انه بمعنى الغائب (او كما يقول النحاة انه في قوة ضمير الغائب) ويتصرف الفعل بحسب التكلم والخطاب والغيبة والافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

وترد هذه المعاني كذلك على الضمائر التي تتصرف الافعال بحسبها فتتحقق بها الفروق او القيم الخلافية بين الاستنادات المختلفة للفعل كما يتحقق المطابقة بين الكلمات في السياق ويتحقق الربط بعود الضمير على مرجعه المطابق له كذلك .

لقد عرفنا بهذا ان معاني التصريف في اللغة العربية

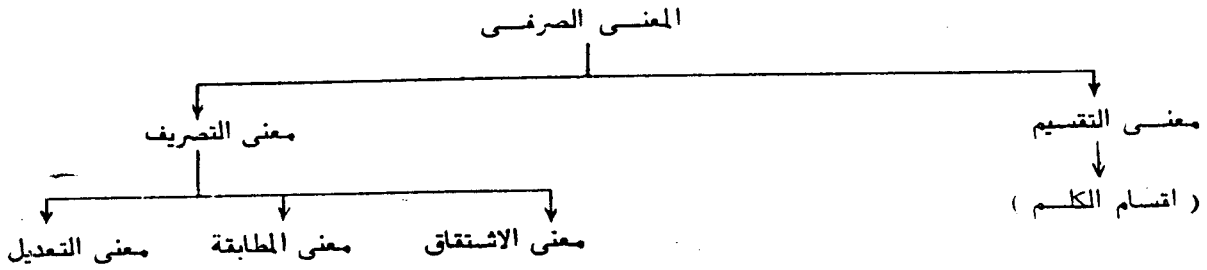
ما يطرأ على معاني التقسيم



هذه هي المعاني الكبرى للتصريف وهي التي يحسن لها ان توضع هي ومعاني التقسيم تحت عنوان : « المقولات اللغوية » . وهناك معان تصريفية اخرى تتصل بتفريع الاشتقاق من معاني التقسيم وتلك هي التي تسمى معاني الصيغ كالطلب والمطاوعة والضرورة والاتخاذ والتبادل والمشاركة والتجنب والتكلف وهلم جرا . كما توجد معان اخرى لا تتصل بتعديل الاقسام ولا بتفريع اشتقاقها وانما تتصل بمعان تلحق بكل قسم على حدة كالنسب والتصغير في الاسماء . وكالتوكيد بالنون والوقاية في الافعال وهلم جرا وبذلك تكون معاني التصريف في صلتها بمعاني التقسيم على النحو التالي :

وسنرى الفائدة الكبرى لهذا النوع من التعديل عند الكلام في قرينتى المطابقة والربط . واما النوع الثالث من معانى التصريف وهو الذى يتم به تعديل معنى كل قسم من اقسام الكلم كالنسب والتصغير والتأكيد والوقاية الخ فقد يكون التعبير عنه بواسطة الالصاق او بواسطة الزيادة وليس له قيمة بذاته فى تحديد القرائن وانما يعين على تحديد معنى السياق وهو كبرى القرائن النحوية على ما سنرى فيما بعد .

تلك هى المعانى الصرفية فى عهدها :



3 - ان ياء النسبة مبنى يعبر عن معنى النسب ونون التوكيد مبنى يدل على معنى التوكيد الخ .

وهكذا تقف المباني بازاء ما يتضح بها من المعانى ولكنها هى نفسها تحتاج الى ان تتحقق بالمثل او العلامة . اى ان المبنى عنوان عام لا ينطق وانها يتحقق فى النطق بواسطة امثله المتعددة فالذى ننطقه مثلا ليس هو الاسم باعتباره عنوانا شاملا وانها ننطق محمدا وقياما ويوما وخمسة وكل من هذه الامثلة تحقيق نطقى لمبنى صرفى عام هو الاسم . وهكذا نجد المعنى والمبنى والمثال فى علاقة متينة على النحو التالى :

المعنى	المبنى	المثال
الاسمية	الاسم	محمد
الطلب	استفعل	استخرج
المطاوعة	انفعل	انكسر

وحين قال ابن مالك :

وتاء تأنيث تلى الماضى اذا
كان لانثى كابت هند الاذى

وضع هذه العلاقة على النحو التالى :

التأنيث التاء ا ب (ت)

ويأتى تفريع الصيغ فى داخل المادة الاشتقاقية المعينة بواسطة الزوائد كالسين والتاء للطلب والتاء للافعال والنون للمطاوعة وهلم جرا . اما تعديل صيغة بعينها من هذه الصيغ المذكورة بحيث تتم لها المطابقة فتكون بواسطة اللواصق بمعنى ان كل ما عبر عن تكلم او خطاب او تثنية الخ . فهو عنصر لاصق بالكلمة فى اولها او آخرها . يصدق ذلك على حروف المضارعة كما يصدق على ضمائر الرفع المتصلة وعلى اداتى التعريف والتأنيث .

وسنرى ان معنى الاشتقاق مسئول عن تفريع معنى التقسيم لانه بسببه تتعدد صيغ كل قسم بحسب المعنى الاشتقاقى فتكون هناك صيغ متعددة للاسماء واخرى للصفات وثالثة للافعال وتعتبر كل صيغة من هذه بنية فرعية على المبنى العام للاسم او الصفة او الفعل تعتبر عند الاعراب قرينة لفظية تسمى «قرينة البنية» كما ان معنى المطابقة يعبر عنه بلواصق تدل عليه وتترابط بها اجزاء السياق وسنرى بعد قليل ان هذه اللواصق هى القرينة اللفظية على المطابقة وتسمى « قرينة المطابقة » كما تدل على ترابط الاجزاء فتعين على فهم « قرينة الربط » .

عند هذه النقطة يجدر بنا ان نتوقف قليلا لنفكر فى مدلول اصطلاح جرى استعماله فيما سبق وهو اصطلاح « المبنى » . وقد ييسر فهمنا لهذا الاصطلاح ان نقابل العبارات الآتية :

1 - ان اقسام الكلم كالاسم والصفة والفعل الخ . مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى الاسمية والوصفية والفعلية الخ .

2 - ان المتكلم والمخاطب والمثنى والمؤنث والمعرف الخ . مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى التكلم والخطاب والتثنية والتأنيث والتعريف الخ .

وحين قال :

فعل قياس مصدر المعدى
من ذى ثلاثة كـرد ردا

هضع هذه العلاقة كما يلي :

مصدر الثلاثى المتعدى فعل رد

فوضوح فكرة المبنى يتوقف هنا على ادراك الفرق بين عموم المبنى وخصوص المثال اذ المثال فرد من نوع هو المبنى . وحين يعبر عن المعنى بلاصقة او حرف زائد تجرى تسمية المبنى على طريق الاضافة فيكون المبنى مضافا والمعنى مضافا اليه فيقال مثلا نون التوكيد وتاء التأنيث والـف الاثني ونون الوقاية وهلم جرا . حيث نرى النون والتاء والـف وهى المباني ويكون التوكيد والتأنيث والاثني والوقاية هى المعانى . اما فى الحالات الأخرى فالمبنى فى المتصرف هو الصيغة الصرفية وفى الجامد هو الصورة العامة كما سبق شرحه ويجتمعان معا تحت اصطلاح « البنية » ولقد جرى العرف عند تعريف الباب النحوى كالفاعل والمبتدأ الخ . ان يبدأ التعريف باللفظ الدال على المبنى اتكالا على أن عنوان الباب النحوى هو المعنى فيقال مثلا فى تعريف الفاعل : « الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل مبنى للمعلوم ودل على من فعل الفعل او قام به الفعل » . فقد بدأ التعريف بمبنى وتم تقييد هذا المبنى ببين آخرى حتى وصلنا فى النهاية الى تحديد امر من امور المعنى فرائنا التعريف يقول : « ودل على من فعل الفعل او قام به الفعل » ولعل هذا يوضح ان البنية قرينة هامة للدلالة على الباب النحوى ما دام الباب النحوى قد اصبح محددًا بواسطتها .

اعتقد اننا بعد ان رايانا كلاما مفصلا فى عنصرين من الثلاثة العناصر التى يتكون منها النظام الصرفى هما : المعنى الصرفى والمبنى الصرفى ينبغى لنا ان نلقى نظرة على ثالث هذه العناصر وهو القيمة الخلافية . وما دامت المباني الصرفية تعبر عن معان هى فى عمومها ابواب صرفية او نظوية فلا بد ان يكون امن اللبس من الغايات الكبرى التى تحرص عليها اللغة فى صياغتها للمباني الصرفية . ولا بد لضمان امن اللبس على المستوى الصرفى ان تقوم القيم الخلافية بدور التفريق بين المبنى والمبنى ليكون هناك فارق بين

المعنى والمعنى . فالفرق بين « فعل » و « فاعل » مثلا يأتى عن قيمة خلافية (او فرق) هى المقابلة بين امرين هما قصر الحركة وطول الالف وما دامت هذه المقابلة قد اعانت على اختلاف معنى احدى الكلمتين عن الأخرى فان هذا الارتباط بالمعنى يخرج المقابلة عن مجرد ان تكون فارقا ثانويا الى ان تصبح « قيمة خلافية » . ومثل ذلك يقال عن الافراد والتشديد الذى يفرق بين المعنى المفهوم من « فعل » والمعنى المفهوم من « فعل » وعن التجرد والزيادة فى التفريق بين معنى « فعل » و « استفعل » وهلم جرا .

فنحن نرى ان القيم الخلافية كما كانت عصب النظام الصوتى تبدو كذلك بالنسبة للنظام الصرفى وستبدو كذلك ايضا بالنسبة للنظام النحوى لان فهم النص اللغوى وتحليل مكوناته وتقسيمها وتبويبها انما يقوم على ادراك جهات الاختلاف بين المعنى والمعنى وكذلك بين المبنى والمبنى ولا يمكن للمعنى ان يختلف عن المعنى الا اذا اختلف المبنى الدال عليه عن المبنى الدال على الآخر . ولو انتفت القيم الخلافية فى المعانى والمباني ما استطعنا التقسيم ولا التبويب ولا وصلنا الى امن اللبس .

ولكن قد يحدث احيانا ان تتشابه صيغتان فى النظام مع اختلاف معناه فلا نجد فارقا بينهما فى حال عزلهما عن تحليل السياق كما فى صيغة « فاعل » فعل امر من « فاعل » وصيغة « فاعل » صفة فاعل من « فعل » او صفة مشبهة من « فعل » وكالذى نراه ايضا فى تشابه صيغة « فعل » مصدرا للثلاثى المتعدى وصيغة « فعل » صفة مشبهة . هنا نجد ان القيم الخلافية ليست واضحة فى التفريق بين المعنى والمعنى فى الصيغتين المعزولتين . ومن ثم يبدنا نظام الصرف بالوسائل التى نستطيع بها الكشف عن هذه القيم الخلافية التى اختبأت وراء مظهر الصيغتين وتتمثل هذه الوسائل فى مقارنة الصيغتين فى البنية الجدولية لكل منهما وهو ما يطلق عليه المحدثون Morphological scatter . فمما يعين على التفرقة فى حدود نظام الصرف بين « فاعل » فعل امر من « فاعل » و « فاعل » اسم فاعل من « فعل » ان الصيغة الاولى لا تقبل التعريف على حين يقبله مثال الصيغة الثانية . ومما يعين على التفريق بين « فعل » مصدرا و « فعل » صفة مشبهة ان الصيغة الاولى لا تقبل التشبية والجمع

وتقبلها الثانية . ومثل هذا التشابه قد يتخطى الصيغة الى مثالها فلا يكون الصرف هو الفیصل حينئذ وانما يكون السياق فمثال صيغة « فعل » هو كلمة « عدل » ولو نظرنا الى هذه الكلمة مفردة ما استطعنا القطع بمصدريتها او وصفيتها فحينئذ لا نملك الا ان نتوقف في دعوى اى منهما للكلمة حتى نراها في السياق على احدى الصورتين الآتيتين مثلا :

1 - العدل اساس الملك .

2 - هو الحكم العدل اللطيف الخبير .

عندئذ يتضح لنا ان « العدل » في المثال الاول مصدر وفي الثاني صفة مشبهة وهذا مثل من الامثلة التي يتجلى فيها السياق في صورة كبرى القرائن .

* *

النظام النحوى والقرائن النحوية :

ان النظام النحوى للغة العربية يبنى على الاسس الآتية :

1 - المعانى النحوية سواء ما تعلق منها بالجمال كالاتبات والنفى والتأكيد والاستفهام والامر والنهى والتمنى والترجى والعرض والتحضيض والشرط والقسم والنداء الخ . وما يتعلق بالمفردات كالمبتدا والخبر والفاعل ونائب الفعل والمفعولات والحال والتمييز الخ .

2 - القرائن الدالة على هذه المعانى سواء ما كان من هذه القرائن معنويا كالاسناد والتعدي والغائية والظرفية الخ . وما كان لفظيا كالبنية الصرفية والعلامة الاعرابية والمطابقة الخ . وهى امور مستمدة من النظامين الصوتى والصرفى .

3 - القيم الخلافية التى تفرق بين بعض هذه المعانى وبعضها والتى تجعل ادراك القرائن المعنوية امرا ممكنا والتى تفرق كذلك بين قرينة لفظية واخرى فيؤمن اللبس .

4 - دلالات السياق النحوى على اعتبار هذا السياق اكبر القرائن النحوية من حيث انه يشتمل على جميع القرائن المعنوية واللفظية وكذلك قرينة المقام .

ويستفيد النحو من نتائج نظامى الاصوات والصرف فيأخذ الحركات والمد والاعلال والابدال والادغام والنقل والقلب والحذف الخ من نتائج دراسة النظام للصوتى كما يأخذ معانى التقسيم ومعانى التصريف وما يعبر عن ذلك من المباني من نتائج دراسة النظام الصرفى فنرى الكلام في شرح الباب النحوى يشتمل على ذكر الاسم والصفة والفعل والضمير الخ كما يشتمل على ذكر التكلم والخطاب والغيبة والافراد والتنشئة والجمع والتذكير والتانيث والتعريف والتنكير وغير ذلك مما سبق شرحه في نظام الصرف . ومعنى ذلك انه لا يمكن لدراسة النحو ان تتم بدون معونة النظامين الصوتى والصرفى لان معطيات هذين النظامين هى التى تقدم للنحو ما يعرف باسم القرائن اللفظية ولا قرائن لفظية للنحو الا ما يمد به الاصوات والصرف . ولعل هذا هو السبب في تشابك هذه الدراسات في كتب التراث فلو امسكنا بالفة ابن مالك او غيرها من كتب القواعد وحاولنا ان ننزل منها ما كان نحويا مما كان صرفيا او صوتيا لتعذر علينا ذلك اذ ان كل باب من ابوابها يتعرض لمعلومات مختلطة من هذه الفروع الثلاثة :

والغاية التى تسمى اليها دراسة النحو هى ان تنظر في العلاقات لتفهم بها النص ولا يمكن النظر اليها الا من خلال القرائن بنوعها المعنوى واللفظى ولقد تعودنا عند التصدى للاعراب ان نجد من السهل نسبيا على العرب ان يكشف عن دلالة القرائن اللفظية فهو لا يمكن مثلا ان يخطئ فهم قرينة البنية الصرفية فيعرب الفعل المضارع مفعولا به لان المفعول به لا يكون الا اسما ولا قرينة العلامة الاعرابية فيعرب الاسم المنصوب فاعلا لان الفاعل مرفوع ولا يتجاهل قرينة المطابقة فيعرب البذل نعنا وليس بينه وبين متبوعه مطابقة وهلم جرا . ولكن الذى يجده العرب صعبا (نسبيا ايضا) هو ادراك القرائن المعنوية حين يتوقف المعنى على ادراكها في وقت لا يجد فيه العرب من القرائن اللفظية ما يعينه على تحديد المعنى ومن امثلة ذلك ان يتردد العرب في فهم قرينة المعية او قرينة التبعية (وهما من القرائن المعنوية) في نحو قولك « رأيت زيدا وطلوع الشمس » وقد تعود العربون في مثل هذا الوضع ان يعودوا الى القرينة الكبرى وهى السياق ليستعينوا بها على تحديد المعنى وسبيلهم الى ذلك ان يتكلموا عن « قصد المتكلم » وكان الاجدر بهم ان يتكلموا عن

« مقام النص » وهو الظروف المركبة التي تم فيها التكلم لان « المقام » يمكن استعادته بالذاكرة ولكن تصد المتكلم قد لا يكون الوصول اليه ممكنا .

والمعاني الصوتية والصرفية والنحوية جميعا تقع تحت عنوان « المعنى الوظيفي » لان هذه المعاني جميعا وظائف لما ذكرنا من المبادئ التحليلية . ومعنى ذلك ان كل معنى تحليلي لا يمكن ان يكون الا معنى وظيفيا اي لا يمكن ان يكون معجميا يلتبس في القاموس المحيط مثلا ولا دلاليا يتطلب في دراسات الدلالة Semantics والاعراب هو التصدي للمعاني الوظيفية المذكورة حيث يكشف المعربون عنها بواسطة القرائن الدالة على هذه المعاني الوظيفية ولا يدخل المعنى المعجمي ولا الدلالي في الاعراب الا في حالات نادرة تكون القرائن فيها محتملة اكثر من وجه ، ويسمى هذا اللجوء الى المعنى المعجمي او الدلالي في هذه الحالة استعمالا لقرينة السياق (كبرى القرائن) . وليس معنى هذا ان قرينة السياق مقصورة على المعنيين المعجمي والدلالي فقط وانما تشمل المعنى الوظيفي كذلك فيكون السياق بأصواته وصرفه ونحوه ومعجمه ودلالته هو القرينة الكبرى .

والذي يفهم بالضرورة من هذا الكلام اننا لو ابحنا لانفسنا ان نتلاعب قليلا بالسياق فنجد من المعاني المعجمية للمفردات والمعاني الدلالية للجمل بأن نسوق نصا هرائيا لا تدل كلماته على معنى ولا يدل النص في جملة على معنى كذلك ثم نحافظ على الرغم من ذلك على القرائن النحوية في هذا النص الهرائي الذي لا معنى له فاننا سنستطيع بمنتهى السهولة ان نعرب هذا النص بسبب وضوح القرائن . وهاك مثالا لذلك :

ثقا الكلد صاقفة الرحيسي بمشقة

ثقا فعل ماض :

لانه جاء على بنية الماضي الثلاثي المجرد (بنية) .

ولان جميع حروفه من الحروف العربية فمثلا ليس به p ولا v ولانه مبنى على الفتح حسب ما يطلبه الاستعمال (بنية) .

ولان له فاعلا (تضام) .

ولان هذا الفاعل مذكر جاء الفعل

مسندا الى المذكر (مطابقة) .

ولان هذا الفاعل جاء بعده في الرتبة (رتبة)

الكلد :

فاعل : لانه اسم وانه عربى الحروف (بنية)

ولانه مرفوع (علامة اعرابية)

ولانه تقدمه فعل (رتبة)

ولان هذا الفعل مبنى للمعلوم (بنية)

ولان علاقة الاسناد واضحة بين

الكلمتين (اسناد)

ولان الفعل مسند للمذكر (مطابقة)

صاقفة مفعول به :

لانه اسم وانه عربى الحروف (بنية)

ولانه منصوب (علامة اعرابية)

ولان علاقة التعدي واضحة بينه

وبين الفعل لعدم احتمال علاقة

اخرى (تعدي)

الرحيسي مضاف اليه :

لانه اسم (بنية)

ولانه مجرور (علامة اعرابية)

ولانه تقدمه اسم غير مقترن بال (تضام ورتبة)

ولان علاقة النسبة واضحة بين

الاسمين (نسبة)

بمشقة :

جار ومجرور : الباء حرف جر ومشقة مجرور (بنية)

لانه اسم مؤنث مضاف (والتأنيث والاضافة من علامات الاسماء) (بنية)

سبقة حرف جر (وهو من علامات الاسماء ايضا) (تضام)

لان معنى الباء الواسطة (نسبة)

ولان الاسم الذي بعدها اسم آلة تم الحدث بواسطتها (بنية)

ولان الاسم آخره كسرة (علامة اعرابية)

وهكذا يتضح مما سبق ان الاعراب تحليل للوظائف في السياق وليس تحليلاً لمعاني المفردات ولا لدلالة الجملة . ولعل هذا يلقي ضوءاً جديداً على العبارة الشهيرة المنقولة عن النحاة والتي تقول : «الاعراب فرع المعنى» . فأى معنى يريدونه ؟ أهو المعنى الوظيفى ؟ أم المعجمى ؟ أم الداللى ؟ ولماذا لم يوضحوا ؟ وهذا الذى قلته بالنسبة لتحليل العلائق في السياق يبين الى اى حد يتوقف نظام النحو كما اثرت من قبل على مفاهيم نظامى الأصوات والصرف كما يبين الى اى حد تتشابه النظم الثلاثة وتتضافر بحيث لا يمكن من الناحية العملية ان نفصل احدها عن الآخر في النص ولا نفصل بينها الا لاغراض التحليل النظرى فقط . وهذا هو المعنى الذى قصدت اليه حين عقدت شبهاً بين تكوين اللغة وتكوين الجسم الانسانى .

واذا كان النحو هو تحليل العلاقات فما اجدر النحو باسم «التعليق» وان افكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربى هى ما ذهب اليه العلامة عبد القاهر الجرجانى في دلائل الاعجاز تحت عنوان : «النظم» اذ جاء بمصطلحات اربعة هى :

النظم — البناء — الترتيب — التعليق

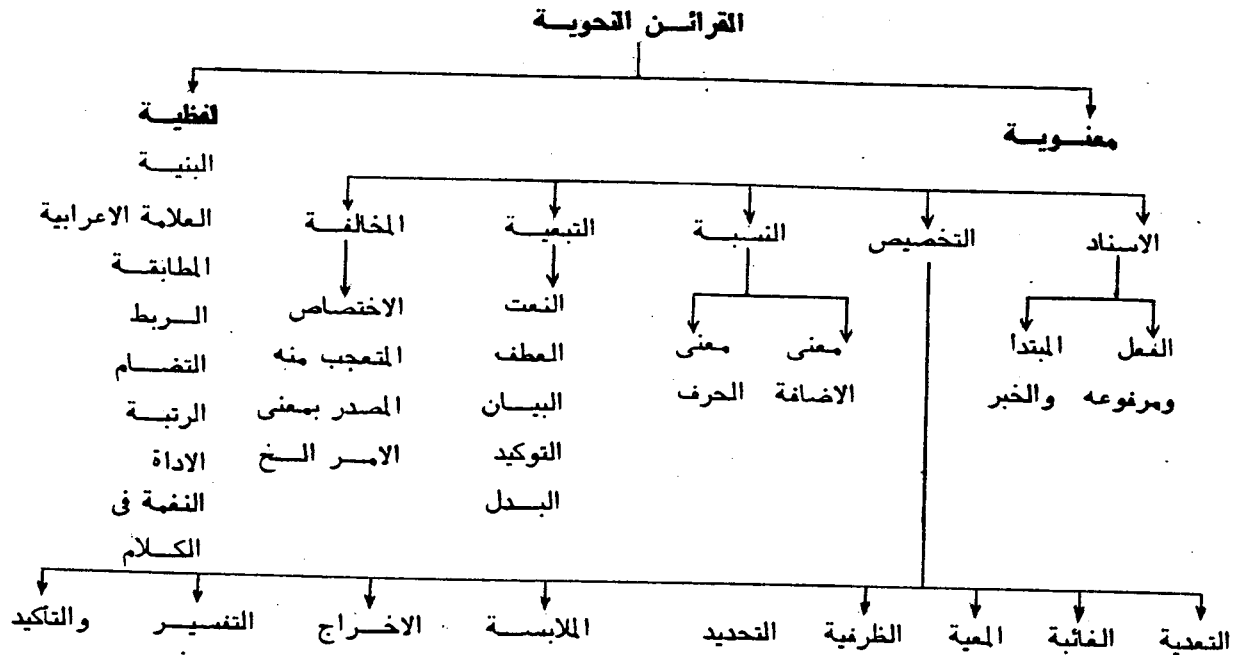
فأما النظم فقد جعله للمعاني اى ان النظم هو تصور العلاقات بين الابواب في الذهن كتصور علاقة الاسناد التى بين المسند والمسند اليه في الجملة عند الكلام وتصور علاقة التعدية بين الفعل المتعدى والمفعول به وتصور علاقة المعية بين الحدث والمفعول معه الخ . وأما البناء فقد فهمت من كلام عبد القاهر انه يجعله للمباني بحسب المعانى كأن يتطلب معنى الفاعلية اسماً مرفوعاً في بعض المواقع وضميراً متصلاً في البعض الآخر . فالبناء كما افهمه عنه هو تحديد المباني التى يستمدّها النحو من نظام الصرف ليبنى بها جملة بعينها . وهذا التحديد ذهنى ايضاً . وأما الترتيب فهو تحقيق هذه المباني الذهنية في صورة كلمات مرتبة في الكلام بحسب العرف الاستعمالى .

ولكن اخطر ما ورد على فكر عبد القاهر في هذا الباب هو الاصطلاح الرابع : «التعليق» وقد قصد بهذا الاصطلاح — فى زعمى — ما يقوم به المتكلم من انشاء العلاقات بين اجزاء الجملة لكن بحسب الطرق العرفية للاستعمال تقديماً او تأخيراً وذكرها او حذفها واظهارها او اضممارها وفصلاً او وصلاً واخباراً او انشاءً وغطفاً او معية واختياراً لجملة اسمية او فعلية وهلم جرا هذا فهى لها يقصده عبد القاهر بالتعليق ولكن عبد القاهر لم يفصل القول فيه بأكثر من عبارات عامة كقوله في الكلمات التى في السياق انها «يأخذ بعضها بحجز بعض» وكقوله في صفحة 65 من كتابه دلائل الاعجاز : «هذا هو السبيل . فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه ان كان صواباً أو خطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو من معانى النحو قد اصيب به موضعه ووضع في حقه او عومل بخلاف هذه المعاملة واستعمل في غير ما ينبغى له . فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم او فساداً او وصف بهزئة او فضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معانى النحو واحكامه ووجدته يدخل في اصل من اصوله ويتصل بباب من ابوابه» .

وفى رأى — كما كان في رأى عبد القاهر على احتمال — ان التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربى وان ادراك العلاقات وما يدل عليها من القرائن مغن تمام الإغناء عن القول بالعامل النحوى وهو قول يتعرض للنقد من جميع الجهات لان التعليق يفسر العلاقات بين الابواب على صورة اوفى وافضل واكثر نفعا في التحليل اللغوى لهذه المعانى النحوية الوظيفية . وهكذا نرى التعليق هو النحو في جملته لان النحو هو مجموعة العلاقات السياقية .

والتحليل النحوى هو الكشف بالقرائن عن هذه العلاقات .

وفيما يلي تخطيط للقرائن النحوية بأنواعها :



اولا : القرائن المعنوية :

سنتناول هذه القرائن النحوية بنوعها بالدراسة في الصفحات التالية محاولين ان نرى بوضوح تام كيف ينبغي لهذه القرائن ان تغنى عن القول بالعامل في التحليل النحوي كما نرى ان معظم ما سبب الخلاف بين النحاة العرب وتضخمت به كتب النحو من جدل يمكن الاستغناء عنه بايضاح غاية في البساطة .

1 - قرينة الاسناد :

ان العلاقة التي تقوم بين المسند اليه والمسند في لغتنا العربية علاقة معنوية يسهل ادراكها دون الاستعانة بلفظ مساعد Copula فاذا ادركها السامع فهم ما يسمع بواسطتها واذا فهمها المعرب كان فهمه لها قرينة على تحليل الجملة . ولقد حاول بعض الباحثين ان يصور عدم حاجة الاسناد في اللغة العربية الى لفظ مساعد في صورة ميزة للغة العربية على اللغات الاخرى من حيث ياتي الاسناد ملموحا في العربية مفتقرا الى لفظ خاص في غيرها من اللغات وزعم ان ذلك من عبقرية اللغة ولماحيا اصحابها ولكننا سنرى بعد قليل ان المعنى في السياق لا يمكن ان يتكامل على قرينة واحدة بل لا بد من ان تتضافر القرائن المعنوية

واللفظية على ايضاح المعنى (معنى كل كلمة في السياق على حدة) وقد مر بنا عند اعراب الجملة الهوائية ما يتضح به ان الفعل الماضي قد اتضح معناه بست من القرائن وان الفاعل قد استبان بست منها كذلك كما انكشف معنى المفعولية بثلاث ومعنى المضاف اليه بأربع الخ وكان من الواضح ان قرينة الاسناد لم تنكشف بذاتها غير معانة وانما اعانت قرائن لفظية اخرى على الكشف عنها لا تقل خطرا في ايضاح المعنى عن اللفظ المساعد . ومثل ذلك يقال في الجملة الاسمية نحو « زيد قائم » ، اذ يستطيع السامع والمعرب على السواء ان يزعم بان علاقة الاسناد هنا تربط بين الكلمتين مما يدل على ان احدهما مبتدا والثانية خبر ولكن كيف يصل المرء الى هذا الفهم لعلاقة الاسناد دون ان تعينه على ذلك قرائن اخرى ؟ ان هذا شديد التعذر . وافن ما هي القرائن الاخرى التي تتضافر مع قرينة الاسناد وتعين على فهمها ؟ نستطيع ان نرى الجواب فيما يلي :

الكلمة : زيد قائم اعرابها

القرائن الدالة على الاعراب

زيد - مبتدا : لانه اسم (بنية)

ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه اول الاسمين

(رتبة وان لم تكن محفوظة) .
تكن محفوظة) .

ولانه مخبر عنه (اسناد)

قائم - خبر :

لانه وصف مطابق (بنية ومطابقة)
ولانه مرفوع (علامة اعرابية)

ولانه يصف ابتدا في المعنى
فيخبر عنه (اسناد)
ولانه بعد ابتدا (رتبة غير محفوظة)

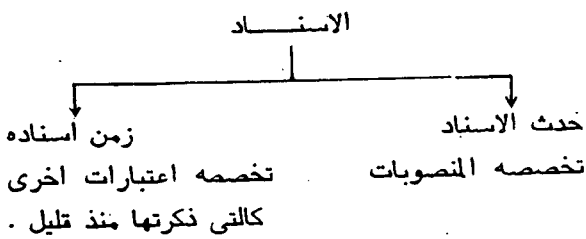
ومعنى ذلك ان البنية والعلامة الاعرابية والرتبة والمطابقة قامت في هذه الجملة العربية بالنسبة لبيان الاسناد مقام ما يسمى Copula في اللغات الاجنبية وبنفس الكفاءة والوضوح حتى ساغ لنا ان نعتبر الاسناد نفسه احدى القرائن المعنوية وهذا التعاون بين القرائن المعنوية واللفظية هو الذي سيكون فيما بعد محور المناقشة في اغناء القرائن عن القول بالعامل وسنعرض لذلك ايضا تحت عنوان « تضافر القرائن ».

قرائن التخصيص :

التخصيص علاقة نحوية عامة تربط بين المعنى الاسنادى المستفاد من المسند وبين طائفة من المنصوبات تشتمل على المفعولات الخمسة والحال والمستثنى والتمييز . ذلك بأن كل واحد من هذه المنصوبات هو في المعنى تخصيص لمعوم معنى الاسناد الذى في الجملة وتضييق له . مثال ذلك اننا اذا قلنا : « يصلى الناس » فقد اسندنا الصلاة الى الناس على اعم وجه واوسعه حتى ليصلح المعنى لجميع الصلوات وجميع اعداد الركعات ولجميع الغايات التى منها اداء الفرض والتطوع بالفعل واداء العيدين والجنائز وجميع الظروف والملايسات الخ . ولكننا اذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين » فقد اخرجنا من الاحتمالات الممكنة من جميع الصلوات ما لم يكن من هذه الصلوات على ركعتين كالظهر والعصر والمغرب والعشاء والوتر . وهكذا نرى المفعول به يصبح قيّدا في عموم دلالة اسناد الصلاة الى الناس وتخصيصا لهذه الدلالة . فاذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين تحية

للمسجد » فقد اخرجنا من عموم دلالة الاسناد كل غاية محتملة الا ان تكون هاتان الركعتان لتحية المسجد وبهذا يكون المفعول لاجله قيّدا في عموم دلالة الاسناد وتخصيصا له كذلك . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين ودخول المسجد » فان المفعول معه هنا قيد كذلك في عموم دلالة الاسناد اذ ان الناس يمكن ان يصلوا الركعتين مع عدد لا يحصى من الامور المصاحبة كالخروج من المسجد وركوب البحر وطلوع الفجر وانتهاء صلاة العشاء الخ . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين صبيحة كل يوم » فقد اخرجنا من دلالة الاسناد كل وقت غير الصبح ومن ثم يصبح معنى الاسناد مخصصا بالمفعول فيه . واذا قلنا يطلى الناس ركعتين صلاة خاشعة او قلنا : يصلى الناس ركعتين خاشعين او قلنا : « يصلى الناس ركعتين الا العاصين » او قلنا « يصلى الناس ركعتين فرضا » فان من الواضح ان المفعول المطلق والحال والمستثنى والتمييز لم يكن كلها الا لتخصيص اسناد الصلاة الى الناس . وبهذا المعنى تصبح هذه الابواب النحوية جهات في فهم الاسناد او بالاحرى في فهم معنى « الحدث » المفهوم من الاسناد يمكن ان توضح تحت العنوان العام « الجهة » .

وتقف جنبا الى جنب مع الجهات الاخرى المخصصة لمعنى الزمن كالاتصال والانتقطاع والسدوام والثبوت والتجدد الخ . كما يتضح من الشكل التالى :



وقد رأينا منذ قليل ان مخصصات الحدث ومخصصات الزمن هما على حد سواء من قبيل « الجهة » ولكن مجال تطبيق ما تعلق بالحدث من المخصصات هو القرائن المعنوية الدالة على المنصوبات المذكورة على حين نجد مجال تطبيق مخصصات الزمن هو دراسة « الزمن النحوى » الذى يتشعب بحسب هذه الجهات، ودراسة الفرق بينه وبين الزمن الصرفى الذى هو معنى الصيغة وقد سبق ان شرحناه .

وفيما يلى بيان قرائن التخصيص كل على حدة :

ذهنيا منطقيا ولكنه علاقة عرفية لغوية جذورها في الصرف وتطبيقاتها في النحو وما يصطنعه من انماط الاستعمال .

على ان قرينة التعدية تجد معونة من قرينة العلامة الاعرابية (النصب) وقرينة الرتبة غير المحفوظة حيناً والمحفوظة حيناً آخر اذ قد يتقدم المفعول او يتأخر سواء عن الفعل او عن الفاعل بل قد تكون الرتبة بين المفعولين اذا تعددوا ويقول النحاة هنا ان التقديم انما يكون لما هو فاعل في المعنى وهذا تعبير غامض عن احتمال قرينة الاسناد فيه على وجه ما .

ب - الغائية : لقد عدلت عن تسمية هذه القرينة قرينة السببية الى تسميتها « الغائية » لان هذه القرينة كما يبدو من تطبيقاتها في النحو اعم من ان تكون سببية فقط . ذلك بأن هناك من اقسامها ما يأتي :

غائية السبب : (المفعول لاجله والمضارع بعد اللام وكى والفاء وحتى) .

غائية الزمان : (المضارع بعد لن واذن وحتى واو)

غائية المكان : (المضارع بعد حتى) .

فاما غائية السبب فهي المعنى الذي يعبر عنه بالمفعول لاجله والسببية هنا واضحة في « لاجله » وكذلك يعبر عن هذا المعنى بنصب المضارع بعد اللام « وكى والفاء وحتى نحو جئت لاتحدث اليك وكى اتحدث اليك وحتى اتحدث ، ولكن هل لقيتك فاتحدث اليك . فالسببية (وهي احد معاني الغائية) واضحة في كل ذلك تتضافر معها قرائن كالعلامة الاعرابية (الفتحة) والبنية (اشتراط المصدر المخالف في مادة الاشتقاق) في المفعول لاجله كما تتضافر معها العلامة الاعرابية (الفتحة) والبنية (في المضارع) والاداة (اللام وكى وحتى والفاء) في بقية الامثلة . والغائية في كل ما تقدم غائية السبب (اذ تكون الغاية بمعنى السبب) .

واما غائية الزمان فهي المعنى الذي يعبر عنه بالمضارع بعد لن واذن وحتى وان لن « لن » تفيد نفى الغاية الزمانية فاذا قلت « لن تطلع الشمس من المغرب » فالمعنى ان طلوعها منفي الى آخر الزمان ولذلك تصاحبها « ابدا » و « اذن » تحدد غاية زمنية يترتب عندها حدث على حدث آخر . تقول : « ازورك »

١ - التعدية : وهي قرينة معنوية اذا اتضحت كان في استطاعة السامع والمغرب ان يدركا معنى المفعول به . ذلك بان التعدية في حقيقتها علاقة قائمة بين معنى الحدث الذي في جملة الاسناد وبين المنصوب المعين الذي نسميه المفعول به ولقد حرص النحاة على ان يلخصوا هذه العلاقة بواسطة وصف هذا المنصوب بأنه « وقع عليه الفعل » ولكن التعدية علاقة نحوية وليست وصفاً للفعل وقع . بل ان النحاة انفسهم ربما جرمهم الى وصف علاقة التعدية على هذه الصورة عامل النصب في المفعول به فمن المنطقي ايضا ان يكون عاملا النصب في المفعول به فمن المنطقي ايضا ان يكون الحدث الذي في الفعل واقعا على المفعول به . ويشهد بعدم دقة النحاة في هذا الوصف ان النائب عن الفاعل يمكن ان يوصف به كذلك والفاقر النحوي بينه وبين المفعول به واضح في الاسناد وعدمه وفي الرفع والنصب وفي المطابقة وعدمها وفي حفظ الرتبة وعدمه الخ .

وربما جادل البعض في اعتبار التعدية علاقة نحوية ومن ثم قرينة معنوية بان ارتباط التعدى بصيغ بعينها واللزوم بصيغ بعينها كذلك ربما دعا الى التفكير بأن التغدي واللزوم من المعاني الصرفية التي تنهم من الصيغة لا من المعاني النحوية التي تنهم من الجملة اي ان صيغة « فاعل » الدالة على المشاركة مثلامتعدية ولكن صيغة « فاعل » الدالة على المشاركة مثلامتعدية ولكن توقف امر التعدى واللزوم على التركيب النحوي ما اتضح الامر في الصيغة بله المثال المفرد كقاتل وتقاتل . وهذا القول يحمل جرثومة من الحقيقة دون شك ويتوقف الامر في النهاية على وجهة النظر التي تنظر بها الى التعدى واللزوم فاذا اردت ان تعالج ذلك على بساط الصرف فالتعدي واللزوم من معاني الصيغة واذا اردت ان تعالج المسألة على مستوى النحو فالتعدي او التعدية قرينة على المفعول به .

هذا والدليل على ان التعدية قرينة معنوية على المفعول به ان المنصوب بعد الفعل اللازم لا يعرب بمفعولا به لعدم القرينة وانما درج النحاة على اعرابه منصوبا بنزع الخافض نحو وقف القوم عامة وجلس خيارهم خاصة . ومن الاعمال ما تقوم به هذه القرينة حيناً وتتخلف عنه حيناً آخر نحو شكرته وشكرت له وعرفته وعرفت به وبكيتك وبكيتك عليه ورثيته ورثيت له الخ . والفرق بين التعدى واللزوم في هذه الامثلة ليس أمراً

فأجيبك « اذن فلكرمك » اى عند هذه الغاية الزمانية ، وليس المقصود هنا « بسبب زيارتك » وانما المقصود « عند زيارتك » .

و « حتى » تفيد استمرار حدث الى غاية زمانية هي وجود حدث آخر تقول « نم حتى يؤذن للفجر » فيكون المعنى طلب استمرار النوم الى غاية زمانية هي حدوث الاذان ومثل حتى « او » كتقولك : لازلزمنك او تقضيبنى حتى . ويتضامن مع الغائية هنا قرائن كالعلامة الاعرابية (مفتحة المضارع) والبنية (المضارع) والاداة (لن واذن وحتى) والتضامن (افتتار الاداة الى المضارع) الخ

واما غائية المكان فهي المعنى الذى يعبر عنه بالمضارع بعد حتى خاصة اذ تقول : « سر حتى تصل الى المدينة » فالغائية هنا تتمثل فى الوصول الى النقطة المكائنية التى يبدأ عندها وجود المدينة . وتتضامن مع الغائية هنا قرائن العلامة الاعرابية والصيغة والاداة والتضامن كما سبق .

لقد رأينا هنا وفيما سبق كيف تتضامن القرائن المعنوية واللفظية على ايضاح المعنى النحوى كما رأينا هنا ان العلاقة النحوية قد يعبر عنها بأكثر من صورة واحدة وأن صور التعبير عنها تتعدد بتعدد ظلال المعنى ومطالب التعبير عن كل ظل من هذه الظلال .

ج - المعية : وهى علاقة مصاحبة بين ما قبل الواو والمنصوب بعدها وتكون فى اللغة العربية على الصور الآتية :

اولا : مصاحبة معنى الحدث الذى فى الاسناد للمفعول معه نحو سرت ويمين الطريق وفى هذه الحالة تتضامن مع المعية قرائن أخرى للكشف عن المعنى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعد الواو) والاداة (الواو) والتضامن (افتتار كل منهما الى الآخر) والرتبة (تقدم الواو على المنصوب وتأخرها معا عن الدال على الحدث) . ويختلف معنى المصاحبة هنا عن معنى المشاركة المستفاد من واو عطف المنصوب على مثله لان واو العطف تربط بين المتعاطفين على سبيل التشريك والمعية تفيد مجرد المصاحبة . ولكن المنصوب بعد الواو قد يصلح لكلا الامرين فلا يكون تحديد احدهما الا بقرينة السياق كما فى نحو « احببت الجو وحلول الربيع » .

ثانيا : عدم مصاحبة ما قبل الواو لمعنى المضارع المنصوب بعدها نحو « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » والقرائن التى تتضامن مع المعية هنا كالعلامة الاعرابية (نصب المضارع) والبنية (المضارع ذاته) والرتبة (تقدم الواو على المضارع وتأخرها عما عداها فى الجملة) ويتمثل عدم المصاحبة فى الامر والنهى والاستفهام والتمنى والنفى وقد يفسر عدم المصاحبة هنا فى نطاق قرينة المخالفة اذ ان ما بعد الواو هنا منصوب على مخالفته لمعنى آخر يمكن ان يرد عليه يغلب فيه ان يكون المشاركة .

وثالثا : مصاحبة مبتدأ لدخول واو المعية المذكورة بعده نحو : « كل عليل وعمله » وتغنى الواو وما بعدها فى هذه الحالة عن الخبر على نحو ما تغنى عنه الحال فى « ضربى العبد مسنيئا » وتتضامن مع المعية هنا قرائن أخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعد الواو) والاداة (الواو تنصبها) والتضامن (افتتار كل منهما الى الآخر) والرتبة (تقدم الواو على المنصوب) ويمكن فى النصب هنا ايضا ان يكون على معنى المخالفة للعطف (اى بقرينة المخالفة) .

د - الظرفية : وهى معنى المفعول فيه ويعبر عن معنى الظرفية بالظروف الاصلية التى هى قسم بعينه من اقسام الكلم كما يعبر عنه بالظروف المنقولة كالاسماء المبهمة والمصادر والصفات والاشارات والحروف . وقد فصلت القول فى ذلك فى حينه . غير ان معنى الظروف الاصلية هى ظرفية الاقتران (اى على معنى حين وحيث) ومعنى الظروف المنقولة ظرفية الاشتمال (اى على معنى فى) ومن هنا افتقرت الظروف الاصلية الى حدثين فى جملتها ولم تفتقر المنقولة الى ذلك (قرينة التضامن) فاذا حل الظرف الاصيل فى موقع المفعول فيه فان القرينة التى تتضامن مع الظرفية فى بيان معنى المفعول فيه هى (البنية) وليس المقصود بالبنية هنا معنى اشتقاقيا وانما المقصود بالصورة العامة (اما بالنسبة لما ينقل الى معنى الظرفية من المعربات فالقرينة الاخرى هى العلامة الاعرابية (الفتحة التى يستحقها المفعول فيه) . والذى ارمى اليه مما تقدم ان الظرفية قرينة معنوية تدل على باب نحوى هو المفعول فيه وتتضامن معها فى ذلك قرائن أخرى .

هـ - التأكيد والتحديد : التأكيد والتحديد شقا قرينة

معنوية دالة على معنى المفعول المطلق في النحو فإذا قلت : « قمت قتيلا » فهذا هو التأكيد وإذا قلت : « قمت قيام العجلان » فذلك تحديد النوع وإذا قلت : « قمت ثلاث قومات » ذلك تحديد العدد والملاحظ أن اسم الهيئة حين يستخدم في معنى المفعول المنطلق يراد به تحديد النوع وإن اسم المرة يراد به تحديد العدد .

و - الملابس : هذه هي القرينة المعنوية الدالة على باب الحال فإذا فهم المرء من الوصف المنسوب وما في معناه من جملة ذات قرائن معينة الخ . معنى الملابس فقد أدرك أن ذلك تعبير عن باب الحال وتتضافر مع الملابس في بيان الحال قرائن أخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التي ينصب بها الوصف) والبنية (وصفية الوصف وتنكيره وتعريف صاحب الحال) أما بالنسبة للجملة فقرينة الاداة (الواو قبل المضارع وقد) والبنية (تعريف صاحب الحال وما في الجملة من شروط) والرتبة (تأخر الحال على صاحبها) .

ز - الإخراج : الإخراج قرينة المستثنى فإذا فهم السامع أو العرب من الكلام معنى الإخراج أدرك أن ما قصد إخراجه فقد قصد استثناءه ومن ثم فهو مستثنى من فهم ما سبقه من اسناد . وتتضافر مع قرينة الإخراج في كل الحالات قرينة أخرى هي الاداة (الا الاستثنائية) كما تتضافر معها العلامة الاعرابية (الا التهام) (الفتحة على المستثنى) فكلما ذكر المستثنى منه فالعلامة الاعرابية واحدة من القرائن الدالة على معنى المستثنى ولا يجوز لها أن تتخلف إلا مع النفي . أما مع النفي والنقصان فلا تتضافر مع معنى الإخراج إلا الاداة فقط فلا تكون العلامة الاعرابية حينئذ بين القرائن الدالة على المستثنى .

ح - التفسير : ومعنى التفسير هو القرينة الدالة على التمييز وتتضافر معه قرائن أخرى كالبنية (كون التمييز اسما نكرة جامدا مفسرا لبهم) والعلامة الاعرابية (الفتحة في مواضعها والكسرة في مواضعها) والرتبة (تأخر التمييز عن المميز) والاداة (من في مواضعها) .

وأما القرينة العامة في الجرورات جميعا فهي قرينة النسبة وقد يستفاد هذا المعنى من الإضافة أو معنى حرف الجر وواضح أن الإضافة نسبة بين المضاف والمضاف إليه وإن المعاني التي رصدتها النحاة للحروف هي في كل حالة نسبة بين الحدث وبين المجرور لقد أحصى النحاة لحروف الجر عددا من

المعاني يناهز الثلاثين في العدد كابتداء الغاية وانتهائها والبعضية والظرفية والتعليل والمجازة والاستعانة والاستعلاء والمصاحبة والاصاق والقسم والتشبيه وبيان الجنس والتوكيد والملك والاستحقاق والنسب والعاقبة والمقايضة والتعويض والتعجب والاستدراك والتبليغ والتبيين والبعدية والبديلية والعندية والتعمية والزيادة وكل ذلك مشروح في كتب المتون . والملاحظ أن كل هذه المعاني نسبية رابطة بين امرين أحدهما الحدث الذي في الاسناد وثانيهما المجرور الذي بعد الحرف .

فإذا قلت « جلست على الكرسي » فإن معنى الاستعلاء الذي تفيد « على » أنها يعبر عن نسبة بين مستعمل هو صاحب الضمير المتصل وبين مستعمل عليه هو المجرور وهذا هو الذي يقصده النحاة بقولهم أن الجار والمجرور متعلق بكذا فهم يقصدون أن معنى النسبة قائم بين المجرور وبين كذا بقرينة الحرف . وإذا قلت « صلى زيد في المسجد » فإن معنى الظرفية الذي تفيد « في » يربط بين الصلاة (الحدث) وبين المسجد (المجرور) فيكون نسبة بين الظرف والمظروف كما كان الاستعلاء من قبل نسبة بين المستعمل والمستعمل عليه . ولما كانت الظروف المنقولة على معنى الظرفية الاشتغالية التي تفيد « في » لم يكن من العجيب أن يجعل النحاة الظرف متعلقا بعلق الجار والمجرور . والقرائن التي تتضافر مع قرينة النسبة متعددة كالعلامة الاعرابية (الكسرة التي يعرب بها المضاف والمضاف الذي بعد الحرف) والتضام (تلازم المضاف والمضاف اليه وتلازم الحرف والمجرور) والاداة (حروف الجر) .

أما التبعية فهي القرينة التي يفهم بها ارتباط التابع بالتبوع وهي قائمة بين ما يلي :

التبوع : **التابع :**

المعطوف عليه بالحرف	المعطوف بالحرف
ب - المنعوت	المنعوت
ج - المؤكد	التوكيد
د - المبدل منه	المبدل
ه - المبين	البيان

والقرائن التي تتضافر مع معنى التبعية في بيان التبوع والتابع منها مطابقة العلامة الاعرابية (إذ هي متشابهة فيهما) ومنها في عطف النسق الإهابة

(حرف العطف) وفي التمتع المطابقة وفي التوكيد البنية (الفاظ بعينها أو تكرار السابق) وفي البديل التضام (جواز التضام في البديل على وجه ما يعبر عنه النحاة بنية تكرار العامل) وفي البيان المطابقة .

وأما المخالفة فهي القرينة المعنوية الدالة على طائفة من المنصوبات منها ما يأتي :

أ - المختص نحو : « نحن العرب نكرم الضيف » لمخالفته للخبر في « نحن العرب » .

ب - الفعل بعد أن المصدرية : لمخالفته لما بعد المخففة من الثقيلة .

ج - منصوب التعجب : لمخالفته للفاعل المرفوع في « ما احسن زيد » .

د - المنصوب بعد كم الاستفهامية : لمخالفته المجرور بعد كم الخبرية .

هـ - المصادر المنصوبة نحو سقيا لك ورعيا : لمخالفتها للمبتدآت من نوعها .

و - المنصوب بعد المبتدأ على المعية : لمخالفته للمعطوف على المبتدأ .

ز - بعض الاسماء في اساليب الانشاء نحو : راسك والسيف ، احشفا وسوء كيلة ، لمخالفة ذلك لرفعها في الاسناد الخبري .

والملاحظ أن قرينة العلامة الاعرابية (الفتحة التي على المنصوب على المخالفة) هي التي تتضافر دائما مع قرينة المخالفة .

ثانيا : القرائن اللفظية :

سبق أن بينت أن الذي اقصدته بالقرائن اللفظية هو :

البنية - العلامة الاعرابية - المطابقة - الربط - التضام - الرتبة - الاداة - النغمة .

وتلعب هذه القرائن دورا هاما في التعرف على الابواب النحوية حتى انها تعتبر من قرائن فهم القرائن المعنوية لانها أيسر وصولا الى الفهم من تلك القرائن

المعنوية ومن ثم نرى المعربين اقل خطأ في الاهتداء بها الى الاعراب الصحيح . وسنحاول أن نعرض هذه القرائن واحدة بعد الاخرى كما يلي :

أ - البنية : البنية أو صورة الكلمة قرينة هامة في الدلالة على استعمالها النحوي وقد سبق لنا عند التفريق بين اقسام الكلم أن كان من بين ما فرقنا به بين الاقسام أمورا منها :

أولا : أن الفعل لا يكون الا مسندا فاذا تبنت لنا بنية الفعل في الكلام كانت قرينة على السند .

ثانيا : أن الاسم لا يكون في الاسناد الا مسندا اليه فاذا رأينا بنية في السياق دلت على معنى المسند اليه .

ثالثا : أن الصفة صالحة للمسند والمسند اليه فاذا وردت في الكلام بنية الصفة امكن تعليقها على هذين الاحتمالين .

رابعا : أن الادوات تعبر عن معان صرفية عامة (حقها أن تؤدي بالحرف) فاذا رأينا بنية الاداة اتخذناها قرينة على المعنى الصرفي العام .

خامسا : أن الضمائر تستعمل في الربط فاذا رأينا الضمير تطلعنا الى العائد واتخذنا ذلك قرينة على ترابط اجزاء الجملة .

سادسا : أن الظرف يأتي بمعنى اقتران الجديتين في الزمان أو المكان فاذا رأينا بنية الظرف في الجملة كانت قرينة على هذا المعنى .

ولايضاح هذا الكلام نعرض الجملة الآتية : « جلس المعلم بين تلاميذه » فأول قرينة على أن الكلمة الاولى في الجملة فعل ماض هي بنية الفعل ومن القرائن الدالة على أن الكلمة الثانية فاعل انها اسم (منقول عن الصفة) ولو لم يكن كذلك ما اعرب فاعلا والقرينة الدالة على أن الكلمة الثالثة مفعول فيه ما نعرفه فيها من بنية الظرف اذ هي معدودة بين المبهات المنقولة الى الظرفية والقرينة الدالة على أن الكلمة الرابعة مضاف اليه أن بنيتها بنية الاسماء بل أن بعض المعربين يعرف فوق ذلك انها اسم طارئ على اللغة بالتعريب والقرينة الدالة على أن الهاء مضاف اليه ان لها بنية ضمير الجر المتصل .

وهكذا نجد بنية الكلمة في كل ما تقدم قرينة على معناها النحوى ودليلا على الاعراب وهذا هو الذى يوجب الاعتداد بالبنية الصرفية ان تكون قرينة نحوية .

ب - العلامة الاعرابية : والمقصود بالعلامة الاعرابية هنا اعم من ان يكون حركة او حرفا او تقديرا او حذف الخ وان كان النحاة قد منحوا الحركة الاعرابية من الاهتمام ما جعل النحو يبدو وكأنه علم اواخر الكلم في السياق . علق النحاة المعنى بالحركات وبينوا على ذلك منهجهم في النحو فقالوا ان الحركات اثر العامل وتقسوا العوامل الى لفظية ومعنوية واكثرها من عددها حتى وصلت الى المائة عدا . ولست انكر دلالة علامات الاعراب على المعانى النحوية ولكننى لا بد ان اشير كذلك الى ان العلامة الاعرابية لا يمكن ان تستقل بالدلالة على هذه المعانى ويكفى للافتناع بذلك ان اشير الى ان الضمة هى الحركة التى تظهر في المبتدا والخبر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر ان والتابع المرفوع فهل يمكن لها في هذه الحالة ان تكون بمفردها قرينة على واحد فقط من هذه الابواب؟ والفتحة كذلك ترى في نهاية المفعولين والحال والمستثنى والتمييز والمختص ومنصوب التعجب والمصادر النائية عن فعلها والمتاخر المضاف والمقرى به والمحذر منه الخ فهل يمكن لها بمفردها ان تكون قرينة على واحد فقط من هذه الابواب؟ والكسرة حركة المضاف اليه والمجرور بالحرف والتابع المجرور فكيف يمكن الزعم انها قرينة على احد هذه الابواب بمفردها؟ ان اية واحدة من هذه الحركات لو استقلت بالدلالة على المعنى النحوى لادى ذلك الى اللبس اذ يكون من نتيجة ذلك التباس المبتدا بالخبر والفاعل الخ واختلاط المفعولين بالحال والتمييز الخ وتشابه المضاف اليه وبقية المجرورات من حيث القرينة الدالة على معنى . على ان الابهاء المبنية والجملة خوات المحل لا يمكن اعرابها بقرينة العلامة الاعرابية فلو كانت العلامة الاعرابية قرينة مستقلة ما وصلنا الى فهم اعراب هذه العناصر ابدا . يضاف الى ذلك ان النحاة اضطروا في بعض المواضع الى الاعراب بالحروف وصادفوا في ذلك متاعب مشهورة في حسم المشكلة التى مثلت لهم نتيجة لذلك : هل تقدر الحركات على هذه الحروف او لا تقدر كما ناقشوا مسألة اخرى هى هل يكون الاعراب

في موضع واحد او في موضعين . ان العلامة الاعرابية لو قصد بها ان تستقل بالدلالة على الباب النحوى لكان على اللغة ان تجعل لكل باب نحوى علامته الاعرابية المستقلة ولكانت الحركات والحروف بعدد ما في النحو من ابواب .

ولكن العلامة الاعرابية احدى القرائن فيتوقف المعنى عليها حينما كما في نحن العرب نكرم الضيف بنصب العرب وعلى غيرها من القرائن حينما آخر كتوقف المعنى على البنية في غير المعربات وعلى الرتبة في نحو ضرب موسى عيسى وعليهما في جاء هذا القاضى الخ .

ج - المطابقة : عند ما تكلمت عن معانى التصريف ومبانيه في معرض شرح النظام الصرفى قلت ان هذه المباني الصرفية هى التى تكون فيها المطابقة . وايزيد هنا ان المطابقة تكون فيها على :

- 1 - التكلم والخطاب والغية : وهى المقصود بعبارة الشخص .
- 2 - الافراد والتنثية والجمع : وهى المقصود بعبارة العدد .
- 3 - التذكير والتانيث : وهى المقصود بعبارة النوع .
- 4 - التعريف والتكثير : وهى المقصود بعبارة التعيين .
- 5 - الحركة الاعرابية : وهى المقصود بعبارة الاعراب .

ويتضح ذلك في اسناد الفعل الى الفاعل ونائب الفاعل وفي المبتدا والخبر وفي الحال وصاحب الحال وفي المنعوت والنعت الحقيقى وغيرها من الابواب التى تكون فيها مطابقة من نوع ما .

والمطابقة قرينة على الباب النحوى كما انها وسيلة من وسائل ترابط الجملة ويتضح ذلك في المطابقة اذا نظرنا في الجملة الآتية :

الرجلان الفاضلان يقدان .

وواضح ان هذه الجملة تشتمل على مطابقة في الامور التالية :

السياق على عناصر لفظية أخرى تعين على فهم الجملة لانها تربط بين اجزائها فمن ذلك مثلا عود الضمير على مرجع معين في الجملة فالضمير العائد بها بينه وبين مرجعه من مطابقة في الشخص والنوع والعدد يفتنى عن تكرار ما يعود اليه وييسر فهمه فيكون قرينة رابطة في نطاق السياق ومن ذلك تكرار اللفظ وهو اقل استعمالا من عود الضمير واكثر ما يجرى استعماله ان يكون لسبب بلاغى ويتضح ذلك من الموازنة بين عبارتى :

قابلت صديقى فأنست اليه .

قابلت صديقى فأنست الى صديقى .

ومثله : « سعاد التى افضناك حسب سعاد » وقد يكون الربط بضمير الإشارة لما يحمله في بنيتها من المطابقة ايضا ولانه ضمير من الضمائر على اى حال وقد عرفنا ذلك في تقسيم الكلم ومما يدل على ما بين الإشارة وضمير الشخص من أسرة قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين ييخولون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ... » اذ لو وضعنا الإشارة موضع « هو » في الكلام العادى ما تغير من المعنى شئ . ومن استعمال الإشارة في الربط قوله تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » وقوله : « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم » . ومن العناصر الرابطة في الجملة « ال » لكن لا على اطلاقها فهي تكون رابطة في بعض صورها دون بعض كما يبدو فيما يلى :

1 - الشخص : الاسم والصفة التى بعده فيهما غيبية والفعل مسند الى ضمير الغائب ومبدوء بالياء .

2 - العدد : في الاسم والصفة الف التثنية وفي الفعل الف الاثنين .

3 - النوع : في الاسم والصفة تذكير والفعل مسند للمذكر كما تدل ياء المضارعة .

4 - القميين : المطابقة هنا بين المبتدا ونعته فكلاهما معرف باللام .

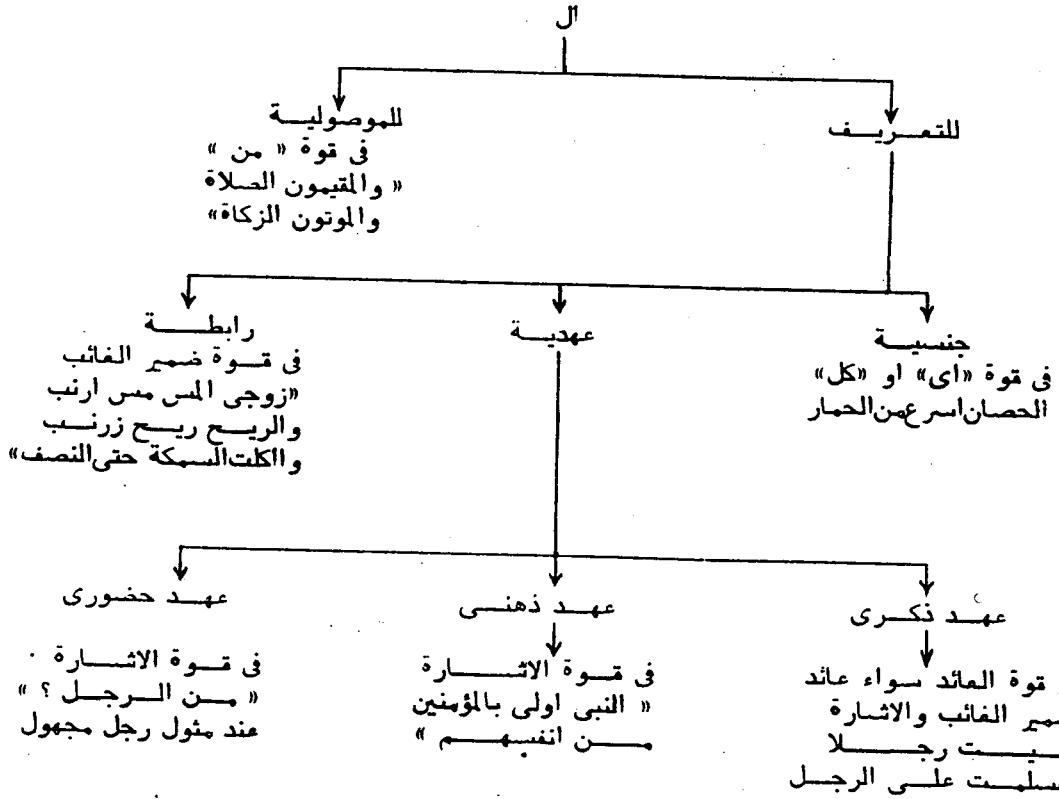
5 - الاعراب : وهنا ايضا تبدو المطابقة بين المبتدا ونعته لكن في الرفع .

هذه المطابقة تجعل للجملة ترابطا يذكرنى بقول عبد القاهر : « يأخذ بعضها بحجز بعض » ولو اهدرنا هذه المطابقات جميعا في الجملة لم تعد كلاما بل انها اذن تتحول الى مفردات مبعثرة كالذى يبدو بعد افساد المطابقة كما يلى :

الرجلان فاضلة نقوم

فليس بين اية كلبة وصاحبيتها مطابقة في شخص ولا عدد ولا نوع ولا تعيين ولا اعراب ومن ثم لا ترتبط واحدة منها بالآخرى والنتيجة ان لا جملة .

د - الربط : هذه الاهمية القصوى لترابط السياق للنحوى كما رأينا في امر المطابقة حتمت كذلك ان يشتمل



الكلمتين للآخرى إما على سبيل الافتقار كحرف العطف حين يستدعى المعطوف وإما على سبيل التطلب كالفعل حين يتطلب الفاعل أو نائبه والتابع حين يتطلب المتبوع والمضاف يتطلب المضاف إليه والمبتدأ يتطلب الخبر باعتبار ذلك حاجة من حاجات المعنى . فإذا جاء اللفظ الذي يتطلب الآخر كان قرينة من القرائن تقع تحت عنوان التضام . ويعتبر التضام بهذا المعنى هو الأساس الوحيد الذي يقبل معه القول « بالحذف » و « الزيادة » في النحو العربي ولولاه ما قبل ذلك .

وإما تنافي اللفظين فمثاله انتفاء أن يكون ما بعد الضمير نعتا للضمير أو مضافا إليه وأن يكون ما بعد « قد » فعل أمر وأن يكون ما بعد حرف الجر فعلا كما في « يزيد » (أي على نهج العمامة) . فهذا التنافي بين المعاني النحوية يدخل أيضا تحت قرينة التضام لأن تنافي المعنيين هو « سلب التضام » .

هكذا يكون التضام إحدى القرائن النحوية وقد أكثر النحاة الكلام في دخول الحروف والأدوات لكل أداة مدخولها الذي يضامها بالإيجاب وما يمتنع دخولها عليه على طريق سلب التضام ولعل ما يلحظ في بعض الأبواب

بهذا نرى أن الرابطة قسم من أقسام « ال » أما ذات العهد الذكري فنأقرب إلى الربط بتكرار اللفظ .

وقد يحدث الربط بالأداة كالذي تنفيده الفاء الواقعة في جواب الشرط واللام الواقعة في جواب إن واللام الواقعة في جواب لولا والقسم وكالذي تنفيده حروف العطف وواو المعية وواو الحال وإذا المفاجأة وكالذي تنفيده الأدوات نوات الصدارة في الجمل كأداة الشرط والاستفهام الخ حيث تربط الأداة بين أجزاء الجملة وتعطى الجملة أسلوبها المخصوص لأنها تلخص معناها حتى أن الجملة لو حذفت بدليل وبقيت الأداة لأفادت المعنى كاملا .

وقد يحدث الربط بقرائن أخرى كقرينة المعرفة أو النكرة قبل الجملة الواقعة حالا أو نعتا فإن ارتباط الجملة الفرعية بأحدها على إحدى صورتين منوط بتعريف الأول أو تنكيه إلى جانب الضمير العائد في الحالتين .

هـ - **التضام** : والمقصود بالتضام أن تستدعي إحدى الكلمتين الكلمة الأخرى أو تنفيها ويكون استدعاء إحدى

من تطلب للابواب الاخرى هو المسئول عن ظاهرة « التقدير للمخوف » في النحو العربي لان المطلوب اذا لم يكن مذكورا فان كونه مطلوبا قد حتم في نظرهم تقديره في الكلام .

و - المرتبة : وهى اما محفوظة او غير محفوظة فالمرتبة محفوظة بين الفعل والفاعل وبينه وبين نائب الفاعل وهى كذلك بين حرف الجر- والمجرور وحرف المعطف والمعطوف والموصول وصلته واداة الاستثناء والمستثنى وكذلك الواو والحال الجملة والواو والمفعول معه ومن الادوات ما يحفظ مرتبة الصدارة فلا يتقدم عليه جزء من الجملة كأدوات الشرط والاستفهام والتمنى والترجى والعرض والتخصيص الخ ولا يتقدم النعت على المنعوت ولا المضاف اليه على المضاف وهلم جرا . ومعنى ان المرتبة قرينة هنا انها معلم من معالم الطريق في السياق تتعين بها مواقع الكلام ويعرف الباب النحوى حينئذ بموقع الكلمة من السياق .

واما غير المحفوظة فهى المرتبة التى قد تهدر اذا أمن اللبس او اقتضى السياق تخلفها ولكنها تحفظ اذا توقف المعنى عليها او اقتضى السياق الاحتفاظ بها وتلك هى المرتبة بين المبتدأ والخبر وبين الفاعل والمفعول به وبين المفعول الاول والثانى وبين اسم ان وخبرها واسم كان وخبرها وبين نعم والمخصوص وهلم جرا فمثال اهدارها عند أمن اللبس تقدم الخبر على المبتدأ ومثاله حين يقتضى السياق تقدم المفعول على الفاعل فى زيد ضربه عمرو ومثال ضرورة حفظها لتوقف المعنى عليها ضرب موسى عيسى ومثال حفظها حين يقضى السياق ضربت زيدا .

ومعنى ذلك ان المرتبة المحفوظة تصبح محفوظة اذا اقتضى ذلك المعنى او المبنى كما مر . ولكن اذا لم يقتض احدهما حفظ المرتبة التى من هذا النوع كانت هناك حرية التقديم والتأخير فى الاستعمال .

ز - الاداة : كان من الممكن ان تقع الاداة باعتبارها قرينة ضمن البنية ولكن الذى دعانى الى افرادها امران :

1 - ان الادوات المنقولة من الفعلية (كالتواسخ) ومن الظرفية (كأدوات الشرط) تحتفظ غالبا ببنيتها التى كانت عليها قبل النقل ومن ثم لا تكون بنيتها قرينة على المعنى الذى اريد بها بعد النقل .

2 - ان بعض الادوات غير ثابتة البنية ولا سيما من حيث الاشباع والاضعاف فى النطق ومن حيث الانفصال والاتصال فى الكتابة بما بعدها كما تقتصل بقاء الجر بالمجرور .

وقد يعترض بأن الاشباع والاضعاف ليسا خاصين بالادوات اذ يكونان فى الضمائر كذلك فالجواب على ذلك ان الضمائر المتصلة تلصق بأواخر الكلمات فيعرف المتكلم كمية الضمير بحسابها من نقطة انتهاء الكلمة التى اتصل بها الضمير ولكن الادوات تلصق بأوائل الكلمات فيرد عليها اللبس .

وما دامت الادوات قد وضعت اساسا للدلالة على المعانى الصرفية العامة التى حقها ان تؤدى بالحرف فلا بد ان تكون كل اداة بالضرورة قرينة لفظية على المعنى الذى سيقى له . فنحن نفهم معنى الشرط من «ان» والاستثناء من «الا» والاستفهام من «هل» والتحضيض من «هلا» والقسم من «الواو» وهلم جرا وما دما نفهم هذه المعانى مباشرة من الادوات فالادوات قرائن لفظية على هذه المعانى .

ح - النغمة : قرينة لفظية لانها لا يكون تصورهما الا فى الكلام المفلوظ وهى فى معظم الحالات تصاحب القرائن الاخرى لكل أسلوب من اساليب الجمل العربية كالاثبات والنفى والتوكيد والاستفهام والامر والنهى والتمنى والترجى والعرض والتحضيض والقسم والشرط والافصاح الخ يقتزن بهيكل تنغيمى عرقي مخصوص يعرف به الاسلوب المعين فتكون النغمات مشتركة فى الدلالة مع البنية والعلامة الاعرابية والمطابقة والربط والتضام والادوات .

ولكن هناك حالات فى الاستعمال العربى تستقل فيها النغمة بالدلالة فتكون القرينة الوحيدة فى الكلام واكثر ما يكون ذلك عند حذف الاداة من الكلام ولا سيما أدوات الصدارة . ومن امثلة ذلك ان تخرج علبة السجائر من جيبك وتقدمها مفتوحة الى صديقك وتقول بنغمة العرض : «سيجارة ؟» والمعنى : «الا تأخذ سيجارة ؟» فهنا اهدرت الاداة وهى قرينة اتكالا على النغمة وهى قرينة اخرى فاستقلت النغمة بالدلالة على المعنى المراد ولولاها لكانت كلمة «سيجارة» كلمة مفردة لا جملة مفيدة .

ولقد وقع مثل ذلك في التراث حين قال عمر بن
ابى ربيعة :

ابرزوها مثل المهاة تهادى
بين خمس كواعب اتراب
ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

فجيلة « تحبها ؟ » جيلة استفهامية بقرينة رواية
البيت بنغمة الاستفهام خلال العصور . وهناك دليل
آخر على معنى الاستفهام هو « قالوا » و « قلت »
مما يفهم منه السؤال والجواب وهذا الدليل هو الذى
ساعد على تواتر رواية البيت بهذه النغمة وعدم العدول
عنها الى نغمة اخرى . وواضح ان النغمة حفظت معنى
الاستفهام هنا على رغم حذف الهمزة لضرورة الشعر .

تضافر القرائن :

ليس من شأن النحو العربى ان يدع لاحدى القرائن
مهما كانت اهميتها فى المعنى ان تستقل بمفردها بالدلالة
على باب نحوى من ابواب السياق . يصدق ذلك على
جميع القرائن دون استثناء . فاذا نظرنا مثلا فى القرائن
المفرقة بين المنصوبين فى « ضرب زيد عمرا » و « ضرب
زيد ضربا » وجدنا ان الفارق الاول يكمن فى ان عمرا
اسم علم وان ضربا مصدر من مادة الفعل فهذا الفرق
راجع الى قرينة البنية ثم وجدنا ثانيا ن العلاقة بين
الفعل وبين عمرو هى علاقة التعدية ولكن العلاقة بين
الفعل والمصدر هى علاقة تأكيد الحدث وهكذا نرى
ان القرائن الدالة على المفعول به فى الجيلة الاولى
كما يأتى :

1 — البنية : فلو لم يكن من قبيل الاسماء (او الصفات
او الضمائر) ما صحت له المفعولية .

2 — التعدية : وتفهم هذه العلاقة ما كان مفعولا به .

3 — العلاقة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما كان
مفعولا به .

وكذلك نرى القرائن الدالة على المفعول المطلق
فى الجيلة الثانية كما يلى :

1 — البنية : وقد تحقق له منها امران :

(ا) المصدرية .

(ب) مشاركة الفعل فى مادة اشتقاقه .

2 — التأكيد وهذا المعنى مفهوم من البنية ومن ترك
تحديده بوصف او اضافة او عدد .

على ان المصدر فى هذا الموقع اذا حدد باضافة
او وصف او عدد كان محددا لا مؤكدا واذا لم
يشارك الفعل فى مادة اشتقاقه فان افاد غايته
فهو مفعول لاجله وان افاد ملابسة اعرب حالا
وان افاد تأكيدا اعرب نائبا عن المفعول المطلق .

3 — العلامة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما اعرب
مفعولا مطلقا .

وهكذا نرى ان كلا من المفعول به والمفعول المطلق
لم ينكشف الا بعدد من القرائن وان القرينة الواحدة
لا يمكن ان تدل على المعنى الاعرابى .

ويمكن ان نرى مثل ذلك حين نعرض للفاعل فى « ضرب
زيد » ونائبه فى « ضرب زيد » فالقرائن الدالة على
الفاعل فى الجيلة الاولى كما يلى :

1 — البنية :

فهو اسم ولو لم يكن من قبيل الاسماء (او
الصفات او الضمائر) ما كان فاعلا وقد ضمن
النحاة اعترافهم بهذه القرينة فى تعريف الفاعل
حين قالوا : « الفاعل اسم .. الخ » ومن قبيل
هذه القرينة ايضا بنية الفعل الذى قبله فلا
يكون الفاعل فاعلا الا اذا كان هذا الفعل مبنيا
للمعلوم .

2 — العلامة الاعرابية :

فهو مرفوع وعلامة الرفع قرينة من قرائن الفاعل
ولو كان منصوبا مثلا لكان فاعلا .

3 — المطابقة :

لان الفعل معه اسند الى المذكر الغائب فكان
ذلك قرينة على ان احدهما للآخر اما من حيث
الافراد والتثنية والجمع فالمطابقة هنا خارج
نطاق القرائن المطلوبة .

4 - القضا :

1 - البنية :

لان الحال المفردة تفهم من كونها احدى الصفات الخمس التى افردناها فى قسم من اقسام الكلم فاذا جاءت على غير هذه البنية كالمصدر وغيره فذلك من باب النقل واهدار قرينة البنية الوصفية عند أمن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

2 - العلامة الاعرابية :

فالحال المفردة منصوبة ولا تكون غير ذلك .

3 - المطابقة :

يصر النحاة على ان الخبر والحال وصفان فى المعنى ففیهما من المطابقة بعض ما فى النعت الحقيقى فيطابقان افرادا وتنشئة وجما وتذكرا وتأنثا .

4 - الربط :

هذه المطابقة تربط بين الحال المفردة وبين صاحبها ولكن النحاة فضلوا ان يحملوا الوصف ضميرا مستترا مطابقا وهكذا عززوا الربط بعمود الضمير . اما الحال الجملة فأمر الضمير فيها اوضح من ذلك .

5 - الترتيب :

رتبة الحال ان تكون بعد صاحبها واما ما ورد بخلاف ذلك فمداره جواز اهدار القرينة عند أمن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

6 - الاداة :

وتتمثل هذه القرينة فى واو الحال فى مواضع نكرها .

وهكذا تضافرت القرائن المختلفة على بيان باب الحال كما تضافرت على بيان الابواب الاخرى التى فكرتها من قبل . ولعلنى بهذا اوضحت مبدا هاما من مبادئ النحو العربى لم يعطه النحاة من قبل ما يستحقه من اهتمام هذا ان كانوا قد فطنوا اليه فطنة تامة ،

لان الفعل يتطلب هذا الفاعل فلو لم يكن مذكورا لجرى تقديره فى الجملة وللنحاة عبارة مشهورة تقول : « كل فعل فلا بد له من فاعل » .

5 - الترتيب :

فهذا الاسم المرفوع جاء بعد الفعل فأعرب فاعلا ولو سبق الفعل لكان شيئا آخر غير الفاعل . فرتبة الفاعل من الفعل رتبة التأخير وهى من الرتب المحفوظة التى لا تتخلف .

6 - الاسناد :

وهذه هى القرينة المعنوية التى تدل مع ما سبق على ان هذا فاعل اذ لو لم يكن مسندا اليه فى جملة فعلية ذات بنية خاصة ما كان فاعلا .

واما نائب الفاعل « زيد » فى الجملة الثانية فقرائنه ما يتخفى :

1 - البنية : لانه اسم والفعل مبنى للمجهول .

2 - العلامة الاعرابية : لانه مرفوع .

3 - المطابقة : الفعل مسند الى المذكر الغائب .

4 - القضا : الفعل يتطلبه وقدير عند عدم الذكر .

5 - الترتيب : مكانه دائما بعد الفعل .

6 - الاسناد :

هو مسند اليه فى جملة ذات بنية محددة ولا يلزمنا هنا فى فهم الاسناد ان نعتذر لانه مفعول فى المعنى لاننا لا نقدم مثل هذا الاعتذار مع فاعل الفعل المطاوع وله نفس الوضع والافكار النحوية وصفية لا منطقية .

وحين قال ابن مالك :

الحال وصف فضلة منتصب
مفهم « فى حال » كمردا اذهب

كان يحاول ان يحدد القرائن التى يعرف بها باب الحال وهى :

لان كل ما جاء في كلامهم عن شرح هذه القرائن كان ملاحظات متفرقة لا يسلكها نظام كهذا النظام الذى اعرضه .

جواز اهدار القرينة عند امن اللبس :

ان امن اللبس هو اعلى ما تحرص عليه اللغة استعمالا واثمن ما يتطلبه اللغويون تحليلا ومن ثم يصبح الوصول اليه غاية لا يدعو الامر بعدها الى البحث عن مزيد من القرائن . ومن هنا يكون اهدار القرينة عند امن اللبس امرا مقبولا لا ياباه الاستعمال اللغوى والدليل على ذلك اننا في عرضنا اهدار كل قرينة على حدة في الاستعمال سنحرص على ان تكون شواهد من القرآن ومن الشواهد التى استعملها النحاة ومن مسروعاتهم عن العرب ولكنى قبل ان ابدأ في عرض اهدار القرائن واحدة بعد الاخرى احب ان اضرب مثلا يوضح سبب جواز اهدار القرينة . فالمعروف ان الحركة الاعرابية احدى القرائن وان النحاة بالغوا في الحرص عليها وورث الناس عنهم هذه المبالغة في الحرص وارتبطت نشأة النحو في التاريخ بهذه الحركة الاعرابية فكان النحو لمعالج اللحن في الاعراب . وكلنا يبدى تهمره عند الاستماع الى المحاضر او المذيع او المحامى حين يظهر اللحن في كلامهم ولا تنضبط العلامات الاعرابية على السنتهم ولكننا على رغم ذلك كله نفهم ما يقولون بحيث لا يحتمل في فهمنا معنى آخر اى ان امن اللبس قد توغر في كلامهم على الرغم مما اصاب اواخر الكلمات من لحن . فلماذا ؟ لان المعنى النحوى — كما سبق ان اشرت — لا يرتبط بقرينة واحدة ولا يتوقف عليها . فحين اهدرت قيمة الحركة الاعرابية في كلام المحاضر والمذيع والمحامى كانت هناك قرائن اخرى تحافظ على المعنى وهى القرائن التى عرضتها من قبل . وحين كانت هذه القرائن وافية في الدلالة على المعنى اصبح اهدار قرينة العلامة الاعرابية في الكلام امرا غير واضح الضرر لاننا وصلنا الى وضوح المعنى على اى حال .

وسنرى فيما بعد ان ذلك ونحوه وقع في نصوص التراث لا عن خطأ اقترفه العربى الاول كما اقترفه المحاضر والمذيع والمحامى في وقتنا هذا وانما وقع ذلك لاسباب خاصة بالاستعمال كضرورة الشعر او المجاورة او لاسباب بلاغية . ولا يدخل في ذلك بالطبع اختلاف القرينة باختلاف اللهجة .

واول ما نعرض له من ذلك ان البنية باعتبارها قرينة نحوية ربما اهدرت اذا اتضح المعنى بدونها وهناك بعض الامثلة :

1 — تحافظ اللغة على ان تكون صلة ال صفة صريحة ولكن الضرورة الشعرية قضت وامن اللبس لم يمنع ان تكون صلة ال فعلا مضارعا فقرأنا في التراث عبارة « الترضى حكومته » و « صوت الحمار الجدد » وكذلك قول الشاعر : « من القوم الرسول الله منهم » .

2 — قد يستتر الضمير او يحذف المبتدأ والخبر او غيرهما فلا تقوم قرينة البنية شاهد على المعنى لعدم ذكرها فلا يؤدي اهدارها حينئذ الى اللبس .

3 — تحافظ اللغة على ان يكون خبر فعل المقاربة من قبيل الفعل المضارع ولكن ورد اهدار هذه القرينة في قول الشاعر :

فعدت الى فهم وما كنت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

4 — تدخل لو على الفعل الماضى ومع ذلك ما نزال نستمتع بقول الشاعر :

لو بغير المناء خلقتى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

5 — قد تهدر قرينة البنية في المفعول المطلق فيسمى المنصوب حينئذ « النائب عن المفعول المطلق » .

6 — من شأن الحال ان يكون مشتقا وقد اهدرت البنية المشتقة فجاء الحال مصدرا كما جاء جامدا ولم يستطع النحاة حتى تاويله بالمشتق وذلك حين يكون موصوفا نحو قرأنا عربيا او معدودا نحو فتم ميقات ربه اربعين ليلة او تفضيليا نحو هذا بسرا اطيب منه رطبنا او محددا نحو هذا مالك ذهبنا او مفرغا نحو وتنحشون الجبال ببوتا او مؤصلا نحو اسجد لى خلقت طينا .

7 — من شأن الحال ان تكون نكرة وقد اهدرت قرينة البنية فيها فجاءت معرفة نحو كلمته فاه الى فى وارسلها المراك وجاعوا الجباء الغفير .

8 - من شأن صاحب الحال ان يكون معرفة وقد ورد نكرة فلم يجد النحاة مسوغا لتنكيره وهذا من اهدار البنية عند امن اللبس نحو مررت بماء تمعة رجل وعليه مائة بيضا « وصلى وراءه رجال قياها » .

9 - من شأن « اما » ان تتكرر ولكن قرينة بنيتها قد تهدر فلا يتم تكرارها نحو « اما ان تتكلم بخير والا فاسكت » وكقراءة ابي : « وانا او اياكم لاما على هدى او ضلال مبين » .

10 - من شأن الشرط والقسم اذا اجتمعا ان يكتفى بجواب ما تقدم منهما مع حذف جواب المتأخر ولكن ذلك تخلف في بنية جواب القسم في قول الشاعر :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا
اصم في نهار القيت للشمس باديا

11 - ورد في النسب كثير مما اختلف مع القواعد المتصلة ببنية المنسوب نحو يمانى وسليقى وعميرى وقرشى وسلمى وهذلى وفقمى وعبدري ومرقسى وعبقرى وعشمى وبصرى ومروزي ورازى وبحراني .

12 - قال الراجز : في كلت رجلها سلامى واحدة .. فاطرح البنية الاصلية وهى كلتا للوزن .

13 - ولعل خير ما يمثل اعتراف النحاة بظاهرة اهدار قرينة البنية عند امن اللبس قول ابن مالك :

ولا يجوز الابتداء بالنكرة
ما لم تفد كعند زيد نكرة

اذ لو ترجمنا عبارته بعبارة هذا البحث لكان « ما لم تفد » في صورة « ما لم يؤمن اللبس » فيجوز اهدار المعرفة واستعمال النكرة » .

واما اهدار قرينة العلامة الاعرابية عند امن اللبس فما اكثره في التراث العربى حتى لقد وجد النحاة فيه مجالا خصبا للتخريج والتأويل والتقدير وسنحاول فيما يلى ان نورد امثلة على هذه الظاهرة التى كانت من

اسباب تضخم كتب النحو لمخالفتها لفلسفة العامل النحوى كما كانت سببا في الكثير مما اعان اشتهاى النحو العربى بالصعوبة وعدم الاطراد ولا سيما ان النحاة بنوا منهجهم على اساس وحيد هو اختلاف المعانى باختلاف الاعراب .

1 - واول ما نبدا به من هذه الامثلة ما سمع من قولهم : « خرق الثوب المسمار » برفع الثوب ونصب المسمار . وواضح ان اللبس مأهون في هذه الجملة لاتضح قرينة الاسناد بين « خرق » و « المسمار » وان قرينة التعدية واضحة بين « خرق » و « الثوب » فلما اتضحت القرينتان المعنويتان دون حاجة الى القرينة اللفظية اهدرت القرينة اللفظية (وهى العلامة الاعرابية) في الكلام .

2 - قال تعالى : « ان هذان لساحران » ومن الواضح ان الاشارة اسم ان وان الصفة خبرها بالقرائن الآتية :

(ا) الاشارة معرفة وهذا موضع المعرفة والصفة نكرة مشتقة وذلك شأن الخبر المفرد وهذه قرينة البنية .

(ب) دخلت ان على الاشارة ومن شأن « ان » ان تدخل على اسمها الا في حالات محددة وهذه قرينة التضام .

(ج) اقترنت الصفة باللام ومن شأن ما اقترنت به اللام ان يكون خبرها الا اذا تقدم اللام ظرف او جار ومجرور فيكون الاقتران بين اللام واسم ان المؤخر نحو ان في الدار لزيدا وان عندك لزيدا وهذه قرينة التضام ايضا .

(د) تقدمت الاشارة على الصفة حسب قاعدة الاسم والخبر وهذه قرينة الرتبة .

فلما تضافرت هذه القرائن جميعا اصبح اللبس مأمونا فاهدرت العلامة الاعرابية لتكون هناك مناسبة صوتية بين الاسم والخبر . وكثيرا ما تكون المناسبة الصوتية مطلبا من مطالب الاسلوب الادبى ولا سيما اسلوب القرآن وما فيه من الفواصل واسلوب الشعر وما فيه من القوافي .

وشبيه بهذه الآية قوله :

إذا مت كان الناس صنفان شامت
وأخر مثن بالذى كنت اصنع

وقوله :

إذا اسود جنح الليل فلتكت ولتكن
خطك خفانا ان حراسنا اسدا

3 - ومثل ذلك ما يقال في « جحر ضب خرب »
بالجر في الكلمة الأخيرة إذ ان قرينة التبعية تبدى ان
الخراب مما يوصف به الجحر ولا يوصف به الضب فلما
اتضحت قرينة التبعية وما يتضافر معها من المطابقة
والرتبة اهدرت الحركة الاعرابية ليم بها نوع من
المناسبة الصوتية التي عللها النحويون بالجوار .

4 - قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى ... » برفع الصابئين ومن الواضح
ان قرينة التبعية (عطف النسق) مفهومة بين هذه
المتعاطفات جميعا ولا يتطرق الى ذهن القارئ معنى
ايسر من معنى العطف وقد تضافر مع التبعية من
القرائن قرينة الاداة التي تمثلها واو العطف فأمن
اللبس فاهدرت العلامة الاعرابية وربما كان ذلك للتنبيه
الى عزل الصابئين عن اصحاب الديانات السماوية
الثلاث لانهم ليسوا منهم .

5 - قال الشاعر :

ان اباها وابا اباها
قد بلغا في المجد غايتها

ففي نهاية الشطرة الاولى كما في نهاية الشطرة
الثانية اهدار للعلامة الاعرابية لان اللبس مأمون وذلك
للمناسبة اللفظية . وقد يقول قائل في هذا الموضع كما في
« ان هذان لساحران » ان هذه لغة قوم والرد على ذلك
ان هؤلاء القوم قد اهدروا العلامة الاعرابية انكالا على
وضوح القرائن الاخرى ولو لم يؤمن اللبس ما استطاعوا
ذلك . هذا الا اننى اتشكك في ان هاتين اللفتين لغتا
قوم واميل الى الراى بأن النحاة هنا يحاولون الاعتذار
عن النصوص وهى ليست في حاجة الى ذلك . وقد
انكر البرد لغة من يلزم المثنى الالف .

6 - قال الشاعر :

وتضحك منى شيخة عبشمية
كان لم ترى قبلى اسيرا يمانيا

لاحظ اهدار العلامة الاعرابية في « ترى » لا من
اللبس .

7 - قال الشاعر :

وحلت سواد القلب لا انا باغيا
سواها ولا عن حبها متراخيا

والمعنى واضح واللبس مأمون ولكن النحاة تردوا
وتاولوا وتخللوا ما شاعوا .

8 - وقال :

كان اننيه اذا تشوفا
قادمة او قلما محرفا

وحكى قوم منهم ابن سيده ان قوما من العرب تنصب
بها (كان) الجزئين معا . فمن هؤلاء وابن بقيقة
ما روى عنهم من النصوص ؟

9 - وقد قال :

ان تقرأن على اسماء ويحكى
منى السلام والا تخبرا احدا

والقرائن واضحة واللبس مأمون والعلامة الاعرابية
مهدرة .

10 - وقال :

الم يأتيك والانباء تنمى
بما لاقت لبون بنى زياد

وقرينة الجزم في يأتيك مهدرة والمعنى واضح واللبس
مأمون ببقية القرائن .

11 - وقالت الزبياء :

ما للجمال مشيها وثبيدا
اجندلا يحملن ام حديدا

فنصب الخبر ولكن الكوفيين راوه من قبيل تقدم
الفاعل واوله البصريون على حذف الخبر والخبر مائل
امامهم .

12 - وقال :

الارب مولود وليس له اب
وذى ولد لم يلد له ابوان

ناهدر الجزم ولكن وضوح القرائن الاخرى حفظ
المعنى من اللبس .

13 - وقال :

اما ترى حيث سهيل طالعا
نجما يضيء كالشهاب لاجعا

ناهدار الحركة واقع في « سهيل » لان خبره « يضيء »
تد اوضح المعنى .

3 - وقال :

فمن يك اضحى بالمدينة رحله
فانى وقياريها لغريب

وقدر النحاة ذلك « لغريان » . وسبيله احد امرين :

(ا) اهدار القرينة عند امن اللبس وذلك بعدم المطابقة
بين المتعاطفين وغريب .

(ب) ان تكون جملة « وقياريها » حالا من الياء في « فانى »
وغريب خبرا لان . ويكون المعنى : فانى لغريب بالمدينة
على الرغم من وجود قيار وعليه رحلى بها .

4 - وقال :

اكل عام نعم تحوونه
يلحقه قوم وتنتجونوه

تارن ذلك بقوليه :

قوى نرى المجد بانوها وقد علمت
بكنه ذلك عدنان وقحطان

« فالقوم » و « النعم » من اسم الجمع فاما ان تكون
المطابقة للفظ والقرينة مهذرة في الثانى واما ان تكون
للمعنى والقرينة مهذرة في الاول .

5 - سمع عن العرب : « الغناء رقية الزنى » ولا
مطابقة بين الاول والثانى في التفكير والتأنيث ولكن
المعنى واضح واللبس مأمون بغير المطابقة من القرائن .

6 - يقولون : امرأة حائض وطالق ومرضع وناشز
وفاقد . واللبس مأمون بقرائن ليس بينها المطابقة في
التذكير والتأنيث ، ومن ذلك :

« فلو انك في يوم الرخاء سألتنى
طلاقك لم ابخل وانت صديق »

7 - قال الشاعر :

بتيهاء قفر والمطى كئيبا
قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

فوصف التيهاء بأنها قفر واهدر المطابقة .

2 - وقال الشاعر :

فلا ودقة ودقت ودقها
ولا ارض اقبل ابقالها

ناهدرت قرينة المطابقة في خبر « لا » التى في الشطرة
الثانية لوضوح المعنى وأمن اللبس .

8 - قال الشاعر :

من الاطراب يقبل ولا يتمسك به . وهاك امثلة توضح
الانحدار هذه القرينة :

كرب القلب من هواء يذوب
حين قال الوشاة هند غضوب

يريد شديدة الغضب وقد اغنت هنا قرينة الرتبة
والعلامة الاعرابية والاسناد عن قرينة المطابقة فاهدرت
المطابقة .

9 - قال المتنبي :

(ا) فمن حيث البنية نجد بنية الموصول والصلة جارية
على العرف الاستعمالي العربي فالموصول هو
« الذي » والصلة جملة فعلية .

(ب) ومن حيث التضام استوفى الاسم الموصول صلتها
التي يفتقر اليها بايراد هذه الجملة معه .

(ج) ومن حيث الرتبة جاء الموصول متقدما وجاءت
الصلة متأخرة كما جرى عرف الاستعمال .

(د) ان افراد الموصول وغييبته وتذكيره وما عهد من
مطابقة الضمير العائد للموصول صير امر فهم
الضمير ممكنا بالنسبة للسامع والمعرّب .

فالقرائن الاربع (البنية والتضام والرتبة والمطابقة)
يسرت امن اللبس فلم يعد من الضروري ذكر لضمير
الرابط فاهدرت المطابقة ولو ذكر الضمير ما اضاف الى
الفهم شيئا .

2 - قال الشاعر :

قومي نرى المجد بانوها وقد علمت
بكنه ذلك عدنان وقحطان

فقد اغنت البنية والرتبة والتضام والمطابقة بين الذرى
وضميرها وعدم المطابقة بين الضمير والقوم عن ذكر
ما يعود على القوم من ضمير بارز .

3 - وقال :

فأبنت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ففى « آيبا » اطراح البنية وفي خبر كاد اطراح
« الربط » لان « آيبا » تحتل انا وانت وهو لان الصفة
لا تتغير بحسب ضمائر الأشخاص ومع ذلك ظل اللبس
مأمونا ببقية القرائن .

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى

واسمعت كلمتى من به صمم

ولم يقل « ادبه » و « كلماته » فلم يطابق بين الصلة
والموصول وطابق ضمير المتكلم اتكالا على ان الخبر
واصف للابتداء .

10 - قال الشاعر :

واعلم ان تسليما وتركيا
للامتشا بهان ولا سواء

فترك التشبية في سواء من قبيل اهدار المطابقة واللبس
لمن بقرائن أخرى .

11 - ما يسميه النحاة « التغليب » نحو : فرح الصبية
والبنات بملابسهم الجديدة يحمل في طيه صورة من صور
اهدار المطابقة عند امن اللبس لان القرائن الاخرى
تغنى عن المطابقة .

12 - وربما توسعنا في تطبيق ذلك الى ان يشمل
معاملة جمع التكسير معاملة المؤنث من حيث المطابقة
وفي ذلك اهدار المطابقة في الجمع والامر كذلك في
الالفتات من ضمير الى آخر في السياق .

اما اطراح قرينة الربط عند امن اللبس فقد تسبب في
الكثير من التقديرات التي حاول بها النحاة ان يجبروا ما
ظنوه نقصا في عناصر الجملة وما كان اجدرهم ان
يدركوا ما للغة العربية من مزاج في الاستعمال يحرص
على امن اللبس ولا يتمسك بعد ذلك بالقرائن الزائدة
عن الحاجة . ولو تمكن السامع او المعرب من فهم وجه
الترايط بين الكلمات بدون القرينة اللفظية الخاصة فلا
حاجة اذن لدهما الى هذه القرينة ويصبح ابقاؤها نوعا

4 - وقال :

ويوما توافينا بوجهه مقسم
كان ظبية تعطو الى وارق السلم

فتخفيف « كان » اهدار لقرينة البنية وحذف الضمير بعدها اهدار لقرينة الربط بين جملة التشبيه وفاعل « توافى » والتشبيه في البيت على معنى كأن واسمها وخبرها والمعنى واضح بغير الربط من القرائن وربما اهتم النحاة برواية الجر من قبل الاهتمام بما كانوا يسمونه « الغريب » ورواية الرفع اوضح ويعززها تخفيف كأن في قوله :

وصدر مشرق النحر
كان شدياه حقان

5 - مما جرى في الاستعمال : « مر زيد يد تلوح
وغم يبتسم » ولا يفهم السامع في اليد الا انها يده ولا في الغم الا انه غمه . ومن هنا ساغ اهدار قرينة الربط بحذف الضمير .

6 - قال الشاعر :

جزى الله عنا والجزاء بفضلته
ربيعه خيراً ما اعف واكرماً

وكل القرائن تدل على معنى : « ما اعفها واكرمها » . وهذا هو المقصود بقول ابن مالك : « ان كان بعد الحذف معناه يضح » اي ان قرينة الربط هنا مهدرة عند امن اللبس فقط .

7 - ان ما يسمى تعدد التعت وتعدد الخبر الخ هو في الحقيقة اهدار للربط بحرف العطف مع امن اللبس .

8 - قال الشاعر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها
لا يذهب العرف عند الله والناس

ولما كان المعنى واضحاً مع اسقاط الفاء اهدرت قرينة الربط عند امن اللبس .

9 - ومثل ذلك يلحظ في قول الشاعر :

ومن لا يزل ينقاد للغى والصبا
سيلفى على طول السلامة نادها

حيث اهدرت قرينة الربط باسقاط الفاء عند امن اللبس .

10 - قال الشاعر :

فأما القتال لا قتال لديكمو
ولكن سيرا في عراض المواكب

فأسقط الفاء من جواب اما فكان ذلك اهدارا للربط عند امن اللبس .

لقد سبق ان شرحت المقصود باصطلاح « التضام » وبينت انه قرينة نحوية سواء في معناه الإيجابي حين تستدعى الكلمة كلمة أخرى او بمعناه السلبي حين تتنافى إحدى الكلمتين مع الأخرى وفيما يلي من أمثلة يتضح ان الاستعمال العربي يشتمل على الكثير من الصور التي اهدرت فيها قرينة التضام عند امن اللبس وذلك بواسطة الحذف او الزيادة او تحوّلها . وهك بعض هذه الأمثلة :

1 - من شأن الوصف الذي يرتفع معه فاعل (يغنى عن الخبر) ان يعتمد على نفي او استفهام الخ . ولكن اقترانه بذلك قد يتخلف عند امن اللبس كقول الشاعر :

خير بنو لهب فلا تك ملقيا
مقالة لهبي اذا الطير مرت

فحذف الاعتماد واهدرت قرينة التضام في احد المواضع لان القرائن الأخرى اغنت عن ذلك ومن هذه القرائن :

(أ) البنية فالذى معنا هنا جملة وصفية المسند فيها صفة مشبهة والفاعل من الاسماء الخمسة وذلك متسق مع العرف الاستعمالي للغة .

(ب) قرينة العلامة الاعرابية فالصفة مبتدأ مرفوع بالضمة والفاعل من الاسماء الخمسة مرفوع بالواو .

(ج) قرينة التضام وذلك ان الصفة المشبهة لم يتقدم ما يوصف بها فأهدر اعتمادها ثم تطلبت فاعلاً فذكر الفاعل معها وهذا هو المثال الآخر من أمثلة التضام في الجملة الوصفية .

(د) قرينة الرتبة لان من شأن الفاعل ان يتأخر وقد تأخر هنا .

ولقد كان الكوفيون على صواب عند عدم اشتراط الاعتماد وكان عليهم ان يضيفوا : « عند أمن اللبس » .

2 - يقول النحاة انه يجوز حذف ما علم من مبتدا او خبر . ويقول ابن مالك :

وحذف ما يعلم جائز كما
تقول زيد بعد من عند كما
وفي جواب كيف زيد قل دنف
فزيد استغنى عنه اذ عرف

والذى يصدق على جميع صور الحذف في اللغة العربية انه اهدار لقرينة التضام عند أمن اللبس لان المحذوف في كل الحالات ضمنية تطلبها ضمنية اخرى .

3 - لا يفصل بين الناسخ المنقول عن الفعلية وبين اسمه ببنية خبره الا الظرف والمجرور حسبما يقول البصريون . ومع ذلك قال الشاعر :

فنافذ هذا جون حول بيوتهم
بما كان اياهم عطية عودا

نفصل بالضمير وهو مفعول في جملة الخبر بين كان واسمها فاهدر قرينة التضام عند أمن اللبس . وهذا موضع آخر اصاب فيه الكوفيون جادة الصواب اذا جازوا الفصل مطلقا .

4 - كل امثلة زيادة كان في الحشو اهدار لقرينة التضام بالفصل بين متلازمين حقهما الا يفصل بينهما ، كالصفة والموصوف في قوله :

في غرف الجنة العليا التي وجبت
لهم هناك بسعى كان مشكور

وكالمتعاطفين في قوله :

في لجة غمرت اباك بحورها
في الجاهلية كان والاسلام

وبين فعل المدح والمرفوع الذى بعده كقوله :

ولبست سربال الشباب ازورها
ولنعم كان شبيبة المحتال

وبين الجار والمجرور كقوله :

سراة بنى ابى بكر تسلمى
على كان المسومة العراب

واللبس في كل اولئك مأمون بفضل القرائن الاخرى

5 - « لا يكون خبر افعال المقاربة مفردا الا شخوذا » .
هكذا تقول القاعدة . واقول انها يكون ذلك اهدارا لقرينة التضام عند أمن اللبس لان بين افعال المقارنة والخبر المفرد تنافيا اى تضاما سلبيا ومن امثلة وروده : « نطفق مسح بالسوق والاعناق »
وقول الشاعر :

نأبت الى فمهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

6 - قال ابن مالك :

وكونه بدون ان بعد عسى
نزر وكاد الامر فيه عكسا

فالقطة من امثلة خبر كل من هذين الفعلين المذكورين يشتمل على اهدار لقرينة التضام بين « ان » المصدرية والمضارع المخبر به في الجملة المنسوخة .

7 - تدخل لا النافية للجنس على الاسماء ومع ذلك قال الشاعر :

فقام ينود الناس عنها بسيفه
وقال : الا لا من سبيل الى هند

فاهدر التضام عند أمن اللبس .

8 - قال ابن مالك في باب « لا النافية للجنس » :

وشاع في ذا الباب اسقاط الخبر
اذا المراد مع سقوطه ظهر

وكأنه في هذا البيت يردد قولى : « يجوز اهدار القرينة عند أمن اللبس » .

9 - قالت العرب : « لا عليك » وفهمت من ذلك : « لا بأس عليك » وفي ذلك اسقاط اسم لا النافية للجنس وهو اهدار للتضام عند أمن اللبس .

10 — قال ابن مالك في باب ظن واخواتها :

ولا تجز هنا بلا دليل
سقوط مفعولين او مفعول

والاصرار على الدليل هنا اصرار على التأكد من
امن اللبس قبل اهدار التضام .

11 — من امثلة اهدار التضام عند امن اللبس ان يدخل
حرف الجر الزائد على الفاعل كـ « ما جاعنا من بشير ولا نذير » وقوله : « وكفى
بالله شهيدا » بل ان الحكم بزيادة الحرف هنا
يحمل بعض الاعتراف باهدار التضام .

12 — يحذف الفعل ويبقى الفاعل عند امن اللبس « كمثل
زيد في جواب من قرا » .

13 — ليس من شأن « حاشا » ان تضام « ما » ولكن
ذلك التضام ورد مع امن اللبس نحو قوله :

رايت القوم ما حشا قريشا
فانما نحن افضلهم فعلا

وقد حكم النحاة بشذوذه .

14 — قال النحاة ان جملة الحال اذا كان فيها مضارع
منفى بلا امتنع اقترانها بالواو . وقال الشاعر :

اقداموا من دمي وتوعدوني
وكنتم ولا ينهنهني الوعيد

وقال ايضا :

اكسبته الورق البيض ابا
ولقد كان ولا يدعى لاب

والمعنى واضح مع الواو بل انه في البيت الثاني
متعلق بها . فلو حذفت لكنت لا وما بعدها خبرا لكان
وهذا أولى من اعرابها حالا .

اما اهدار الرتبة عند امن اللبس فيكفي في الاقتناع به
ان بعض الرتب غير محفوظ فيمكن اهدارها كما يمكن
اعتبارها ولا بأس على من يستعمل اللفظة من هذه
الطريقة ولا من تلك الا اذا وقع اللبس من جراء
اهدار قرينة الرتبة فيتعين حينئذ الاحتفاظ بالرتبة التي
كانت غير محفوظة والبقاء عليها لتعلق المعنى بها .

ومن امثلة الرتب غير المحفوظة الرتبة بين المبتدا والخبر
والرتبة بين الفاعل والمفعول وبين اسم ان وخبرها
واسم كان وخبرها وبين المفعولين بعضهم وبعض وبين
الحال وصاحبها الخ . وفيما يلي امثلة على اللجوء الى
حفظ الرتبة غير المحفوظة عند خوف اللبس :

1 — يجوز تقديم المبتدا على الخبر وتقديم الخبر
على المبتدا الا اذا خيف اللبس نحو اخى صديقي فان
المعنى يتعلق بالرتبة حينئذ فتحفظ الرتبة . هذا وما
تقدم من جواز تقديم الخبر عند امن اللبس فيه اهدار
لقرينة الرتبة اتكالا على غيرها من القرائن .

2 — ومثل ذلك يقال في اسم كان وخبرها نحو كان
زيد قائما وكان قائما زيدا فاذا خيف اللبس حفظت
الرتبة نحو كان هذا اخي .

3 — ومثله اسم ان وخبرها الظرف والجار والمجرور
فيمكن اهدار الرتبة بينهما ما دام المعنى واضحا فنقول
ان زيدا في الدار وان في الدار لزيدا فاذا قلت كان موسى
عيسى حفظت الرتبة .

4 — ويجوز في مفعولي اعطى ان يتقدم ايها ويتأخر
الآخر اتكالا على ان الاول منهما ما صلح فاعلا للمطاوع
(وهذه من قبيل قرينة الاسناد) نقول اعطيت زيدا
هدية واعطيت هدية زيدا فيكون زيدا هو المفعول الاول
في الحالتين لانه صلح فاعلا لما طاول اعطى وهو اخذ
اما اذا خيف اللبس بأن قلت اعطيت هذا زيدا تعين
حفظ الرتبة حفاظا على المعنى .

5 — والقاعدة ايضا يتقدم الفاعل على المفعول او
يتأخر فيكون ذلك من قبيل اهدار الرتبة عند امن اللبس
فاذا خيف اللبس كما في ضرب هذا ذلك تعين حفظ الرتبة
حفاظا على المعنى .

6 — ومفعولا ظن واخواتها يتقدم اي منهما او يتأخر
ما دام اللبس مأمونا . نقول حسبت زيدا قائما وحسبت
قائما زيدا فاذا خيف اللبس حفظت الرتبة كما في حسبت
موسى عيسى .

7 — ومن امثلة اطراح الرتبة عند امن اللبس تقديم
المعطوف على المعطوف عليه في قول الشاعر : « عليك
ورحمة الله السلام » .

8 - ومن امثلة ذلك عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة كالحال في ضمير الشأن فما دام اللبس مأمونا فلا يلبس من ذلك كما في نحو قوله تعالى : « قل هو الله احد » .

قد راينا من ذلك كيف تهدر قرينة الرتبة عند امن اللبس .

ولقد سبق ان فكرنا 'ن' الادوات تفيد الربط وان منها ما يربط بابا نحويا بباب آخر ومنها ما يكون امينا على معنى الجملة كلها فلو حذفنا الجملة وعليها دليل لكنت الاداة بمفردها وافية بالمعنى . ومن العبارات الشهيرة في الاستفهام الام وحتام وعلام ومتى واين الخ دون ذكر الجملة .

على ان الاداة ولها كل هذا الخطر باعتبارها احدى قرائن المعنى في السياق يمكن ان تهدر عند امن اللبس . وقد سبق ان شرحت كيف امكن للقرائن الاخرى وبخاصة قرينة النغمة ان تغنى عن اداة الاستفهام في قول ابن ابي ربيعة :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

وكثيرا ما يجرى في كلامنا الآن ان نؤدى معنى الاستفهام والعرض والنغمة دون الاداة وفي الكلام الفصيح ايضا يمكن ان نتصور رجلا يقص على سامعه قصة كفاحه للوصول الى غاية كان يأمل في الوصول اليها فاذا فرغ سأل السامع : « ووصلت الى ما اردت ؟ » دون ان يستعمل اداة الاستفهام .

والنغمة نفسها يصعب اسقاطها من الكلام اتكالا على الاداة . دعنا نتصور رجلا جاء يقص علينا قصة جريئة حدثت فيدور في الذهن معنى الاتهام له بالمشاركة في الجريمة فتلقى عليه سؤالا في صورة « هل كنت هناك » لكن لا بنغمة الاستفهام « بهل » بل بنغمة الاستفهام مع استعمال « ماذا ؟ » ويكون المنطوق حينئذ « هل كنت هناك » ولكن المفهوم يكون « ماذا كنت تفعل هناك ؟ » ومعنى هذا ان النغمة كما اغنت عن الاداة في بيت ابن ابي ربيعة حورت معناها في هذا المثال

على ان السحرة والكهان وخطباء المسجد يهملون تنعيم الكلام الى حد كبير فيبدو كأنهم يرتلون على نغمة

واحدة ومع ذلك يظل كلامهم مفهوما فهل هذا من اطراح قرينة لنغمة عند امن اللبس . اظنه كذلك . ولكنى اقطع ان كل نص مكتوب لا يمكن الا ان نتصور عند فهمه اننا قد اهدرنا النغمة نهائيا عند امن اللبس لان الكتابة لا تبدو فيها النغمات ويكون ذلك اكثر صدقا عند الوصول الى الفهم بواسطة القراءة الصامتة .

اسقاط العامل والتقدير والحل :

وبعد فقد وصلت فيها سبق الى ثلاثة من اهم الامور وهى :

1 - احصاء القرائن النحوية معنوية ولفظية وتقدير دراسة لكل واحدة منها على وحدة .

2 - انشاء مبدا هام جدا لم يظن اليه النحاة هو مبدا تضافر القرائن .

3 - انشاء مبدا آخر اهم وهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس .

فالما احصاء الذى قيمت به للقرائن فقد اوضح ان القرائن المعنوية هى العلاقات التى تقوم بين الابواب في السياق من حيث المعنى الوظيفى الصرفى والنحوى وان اتضح العلاقة بين باب وباب في السياق ليعتبر بذاته قرينة على المعنى ومن هنا كانت العلاقات الواضحة خير دليل من ادلة الفهم بالنسبة للسامع ومن ادلة التحليل بالنسبة للمعرب .

على ان هذه القرائن المعنوية قد لا تتسم بالوضوح في بعض الحالات فلو توقف المعنى عليها والحالة هذه لتطرق اللبس الى الفهم وهذا شر ما يبتلى به الاتصال اللغوى لذلك عمد الاستعمال اللغوى الى الاستعانة بظواهر الاصوات والصرف لتسخيرها في بيان معانى النحو فاستهد منها عددا من القرائن اللفظية التى تعين على الكشف عن المعنى جنباً الى جنب مع القرائن المعنوية . ولا شك ان هذه القرائن اسهل منالا في الفهم من القرائن المعنوية لانها مدركات حسية تبدو كمعالم الطريق يهتدى بها سالكه عند ما تنتشعب الطرق ويميز الرفيق . والذين جربوا الاسفار يعرفون قيمة العلامات التى توضع على الطرق مشيرة الى الاتجاهات واسماء الاماكن والمسافات وهلم جرا والذين سلكوا الصحراء يدركون قيمة الشمس والنجوم والكواكب والجبال

سليما . ومن هنا تخطيط النقاد كما تخطيط النحاة . فقد رفض النقاد العامل النحوى واقاموا في مكانه عاملا آخر هو المتكلم حيث انكروا بذلك الطابع الاجتماعى للغة او هو الله سبحانه وتعالى حيث لجأوا الى الاعتراف بالتوقيف ورفض المواضعة العرفية أيضا .

ان القول بان الفرد المتكلم هو العامل ينسب ان هذا المتكلم ليس له حرية التصرف في اللغة وانه لو خالف الاستعمال لم يسلم له ذلك لان اللغة ليست ملك الفرد وانما هى ملك المجتمع . وان القول بان العامل هو الله سبحانه وتعالى ليس الا عودا الى قضية حسمت تماما منذ ازمان وهى ما اذا كانت اللغة توقيفا او مواضعة وقد استقر الناس على ان اللغة مواضعة وتعارف وانها من صنع المجتمع .

على ان النحاة في انشغالهم بالعامل لم يستطيعوا تجاهل القرائن الاخرى فراحوا يلمون بالاشارة اليها المما خفيا كما دعا الامر الى ذلك ولم يسلكوها ابدا في نظام واحد كالذى حاولته في هذا البحث كما لم يبينوا تضافرها للكشف عن المعنى النحوى كما شغلوا بالشذوذ والقلة والندرة ونحوها عن جواز اهدار القرينة عند امن اللبس .

مبدأ تضافر القرائن اذن يفسر التعليق النحوى كله على حين لا يفسر العامل النحوى منه الا قرينة واحدة هى العلامة الاعرابية وهذا المبدأ ييسر ادراك العلاقات النحوية بما يحدد من الامور المحسوسة على حين يفسح العامل النحوى الطريق امام التخييل والتأويل والتقدير وهى امور فردية لا ضابط لها وكثيرا ما اختلف النحاة فيها فانفرد كل واحد منهم بتخريجه وتأويله وتقديره وليس هناك مجال للتقدير في حدود مبدأ تضافر القرائن لان كل شىء محدود او ملفوظ .

واما المبدأ الثالث الذى انشأته فهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس فيذهب تماما بالاعراب التقديرى والاعراب المحلى وينبى الخلافات النحوية حول المسائل كما يزيل فكرة الشذوذ والندرة والقلة الخ فالاعراب التقديرى الذى يقوم على تقدير الحركة لعدم ظهورها يضيف على العرب من الاعباء أكثر مما يفسر من المعانى فالحركة الاعرابية تقدر على المبنيات وعلى المقصور والمنقوص والواضح السدى لا شك فيه ان المعنى النحوى لهذه الكلمات اسرع بلوغا الى الذهن

والدروب المطروقة والمياه في تمكينهم من تحديد اتجاهاتهم وادراك مواقع وجودهم وتحديد غايات مسيرتهم . ذلك هو شأن القرائن اللفظية في الكلام فاذا رايت بنية ادركت بهناتها الوظيفى واذا رايت علامة اعرابية خطر ببالك من الابواب ما يمكن ان تدل عليه واذا رايت مطابقة من نوع ما فالابواب ذات المطابقات معروفة ومحصورة واذا رايت رابطة ادركت اشارتها الى ما بين عنصرين او أكثر من عناصر الجملة من علاقة معينة واذا رايت احد المتلازمين بحثت بمقتضى التضام عما يلزمه واتخذت الاول قرينة على الثانى واذا رايت رتبة فهمت معناها او اداة ادركت وظيفتها او نغمة لمحت فحواها .

واما المبدأ الثانى وهو تضافر القرائن على الكشف عن المعنى النحوى فقد كان الضربة القاضية في حلبة الصراع مع العامل النحوى لانه اوضح ان العلامة الاعرابية وهى مناط القول في العامل لا تعدو ان تكون واحدة من القرائن الدالة على المعنى لا أكثر من ذلك ولا اقل . فاذا بنينا المعنى النحوى عليها وبنينا النحو كله على أساسه فقد رجحنا دون مرجح واهتمنا بدور احد الممثلين على المسرح دون بقية الادوار فضاغ معنى القصة وغابت معالم الحوار واصبح فهم المسرحية مجالا خصبا للتخمين والتأويل والتخيل ومحاولة ملء الفجوات التى غفلنا عنها اثناء التفرج على المسرحية . لقد قصر النحاة منهج النحو على تقسيم النحو الى حالات اعرابية اربع هى :

الرفع - النصب - الجر - الجزم

وقرروا ان العلامات الدالة على كل حالة قد تكون أصلية كالحركة وقد تكون فرعية كالحرف . وقد جعلوا الضمة من الحركات علم الرفع والفتحة علم النصب والكسرة علم الجر والسكون علم الجزم . وتنوب احدى الحركات عن اختها كما ينوب الحرف عن الحركة .

وقالوا ان الاعراب اثر يجلبه العامل في آخر الكلمة وان هذا العامل نفسه اما ان يكون لفظيا واما ان يكون معنويا وراحوا يحددون العوامل اللفظية والمعنوية حتى بلغوا بعدها مائة كاملة . وانشأوا لها الفلسفات حتى أصبح فهم النحو عسيرا على المبتدئين وأصبح استيعابه عسيرا على غيرهم . وطالت الكتب وضج الناس بالشكوى حتى تصدى المتأخرون للعامل بالنقد وكان سبب التصدى واضحا ولكن منهج النقد لم يكن

من الاعراب التقديرى ولو ان استعمال اللغوى رأى ان القرائن التى تدل على كلمة مبنية فى موضع ما من الجملة لم تؤد المعنى المقصود كاملا لعدل عن استعمال هذا اللفظ المبنى الى استعمال المعرب ولكن القرائن الدالة على الباب النحوى لهذا المبنى فى الجملة لم تترك حاجة الى العلامة الاعرابية فاهدرت العلامة لان اللبس ملبون . ولكن النحاة لم يعترفوا باهدارها فراحوا يتمسكون بها فقدروا لها حركة و اضافوا بهذا التقدير عبئا على المعربين وشجعهم على ذلك او الجأهم اليه انهم بنوا النحو على القول بالعامل فكيف يغفلون تقدير اثره فى آخر الكلمة اذا لم يظهر هذا الاثر ؟ والذى قيل فى المبنيات يقال مثله فى المقصور والمنقوص . وهكذا نرى ان العامل هو المسئول عن الاعراب التقديرى فاذا بطل العامل بتضافر القرائن بطل الاعراب التقديرى ببطلانه ثم بجواز اهدار القرينة عند أمن اللبس .

ولهذا السبب نفسه يبطل الاعراب المحلى ايضا . صحيح ان الجملة ذات المحل الاعرابى حلت محل المفرد . ولو ان المفرد كان فى الاستعمال لاستحق حركة اعرابية ما ولكن الامر يحتاج الى نظرة ادق من نظرة النحاة الى المشكلة كما يلى :

1 — ان العدول عن استعمال المفرد المعرب الى استعمال الجملة يقوم على أساس من النمطية النحوية والبلاغية التى تجعل مواضع للمفرد ومواضع اخرى للجملة كالذى يحدث فى الخبر والحال والتمتع . والدليل على ذلك انك اذا حاولت ان تستبدل بالجمل ذوات المحل مفردات معربة ما استقام لك ذلك ولوجدت انك تحل محل الجمل الاسمية او الفعلية جملا اخرى وصفية دون المفردات .

2 — ان استعمال الجملة ذات المحل الاعرابى فى جميع الحالات يحصن المعنى النحوى للجملة بعدد من القرائن يجعل السياق فى غنى عن العلامة الاعرابية ومن ثم عن المحل الاعرابى ولو صح ان الامر يستدعى وجود الحركة على محل الجملة لضرورتها ما استعملت الجملة ولكانت اللفة قد لجأت الى حيلة اخرى تضمن الوفاء بمطالب الافهام وأمن اللبس .

3 — ما فائدة الاعراب المحلى اذا كان فهمه اعسر من فهم المعنى العام للجملة وما المانع من ان نقول ان الجملة خبر او حال او نعت النخ دون ان نقول انها فى محل كذا ؟

4 — من الواضح ان القول بالعامل هو السبب فى القول بالمحل وانه اذا ثبت بطلان العامل ثبت بطلان الاعراب المحلى تبعا لذلك .

اما ما قال عنه النحاة انه نادر او شاذ او قليل فقد سبق ان فسرنا طائفة من امثله تحت عنوان جواز اهدار القرينة عند أمن اللبس فعد الى ذلك ان شئت .

وفى ختام هذا الباب احب ان اشير الى اقتناعى بأن من الممكن ان يقوم النحو العربى على أساس القرائن وتضافرها وجواز اهدار احداها وذلك فى تبويب جديد يناسب مطالب المنهج العلمى والطريقة التعليمية وينفى من النحو نظرية العامل والاعراب التقديرى والاعراب المحلى ويزيح عن كاهل المتعلمين جبهة الشاذ والقليل والنادر والضرورة ويرد اعتبار القراءات القرآنية والحديث النبوى الشريف والله ولى التوفيق .

تطور الحرف العربي

الدكتور
ممدوح حقي

الخطوط التافهة متأثرة بـسريالية الرسم والرقص والموسيقا وتجريدها يدعم نشاطها عاملان قويان هما:

1 — الحرب المستمرة والمفضوحة من الاجانب والشعوبيين ضد العربية .

2 — تزايد استعمال الآلات الكاتبة بحروفها النقية الواضحة ، وانعدام البرامج التعليمية من مادة الخط، مما ادى بالطلاب والاجيال التى توالى بعضها وراء بعض الى اهمال خطوطها حتى اصبحت اشبه بخريشة السجاج .

ولا شك ان عدد مربعات الحروف الطبيعية العربية اكثر من مربعات الحروف اللاتينية وان الحاجة الى الاتلال منها وتيسيرها امر ضرورى جدا لكن على شرط الا تخل بجمالية الخط العربى الاصيل ، وهذا ما ندعو اليه ونحث عليه وان كنا نفتتح صدر مجلتنا — كما قدمنا — لكل محاولة ومنها المقالات التالية ،

ممدوح حقي

فى العالم العربى اليوم اهتمام جدى باصلاح الحروف المطبعية العربية وتطويرها تمشيا مع التاريخ وكسب الوقت الذى يتسم به العصر الحديث ، ولقد فتحن صدر المجلة لكل محاولة فى هذا الموضوع مهما كان شأنها ، ايمانا منا بوجوب خدمة الفكر العربى فى جميع صوره ومظاهره ، واذا كان الحرف العربى قد تطور منذ بدايته حتى اوائل هذا العصر تطورا متباديا فانه كان يتمشى باستمرار مع النظرة الجمالية لفن الخط ، ولقد ذهب بذهاب الخلافة العثمانية عام 1924 ذخائر فنية ومخطوطات رائعة ولوحات نادرة لا نملك اكثر من دمة حرى نخرنها على ضياعها وفقدانها ، وما بقى منها فى مساجد استانبول وبورصة وقونية لا يزيد على قطرة من بحر ، ولولا نهضة الخط الفنية فى مطلع هذا العصر فى سوريا على يد رثا التركى وممدوح الشريف وبدوى وحلى وفى لبنان على يد البابا وفى مصر على يد الهواوينسى وسيد ابراهيم ومدرسة الخط العليا ... لضاعت البقية الباقية من هذه الجمالية الرائعة ، ولقد بدأت بعد الحرب العالمية الاولى حركة رجعية ضد الخط العربى وتفاقت بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت انواع من

الحُرُوفُ العَرَبِيَّةُ والمَطَابِعُ

الأستاذ خير الدين حَمَّي
سورية

احمد الاخضر قد وجد لهذا حلا موفقا جدا ، اذ اختصر الحروف الى عدد مقبول . والنماذج التي أوردها في المجلد التاسع نفسه هي على غاية من الاهمية وقد يكون النموذج المشتق من الكوفي اجملها واوضحها .

ولقد عالجت قضية الحروف العربية طوال اعوام كثيرة ، والذي دعاني لذلك هو ان الامم التي تكتب بالحروف اللاتينية اعتمدت نمونجا موحدا للمخططات الهندسية والخرائط ، بينما نحن لم نعتد نمونجا معينة . وطلابنا في كلية الهندسة يتقنون مصوراتهم لكنهم يشوهونها بخطهم الرديء غالبا . فابتكرت لهم نمونجا مبسطة مشتقا من الخط الكوفي المشجر والشطرنجي تسهل كتابته بادوات الهندسة ، وهم مجبرون على تعلمه مع تعلم الرسم ويمكنهم اتقانه مهما كانت موهبتهم ضعيفة في كتابة الخطوط المألوفة ، والتي تحتاج الى مهارة خاصة . ومع هذا المقال نموذج من هذه الكتابة .

وقد جرتى هذا الى تبسيط الحروف الطبيعية فاختفت بطريقة الاستاذ الاخضر من حيث فصل ذيل

قرات في المجلد التاسع من مجلة اللسان العربي نقد الاستاذ يحيى بلعباس للحروف العربية واننى اذ اقره على كثير مما جاء في مقاله لكننى لا ارى في الحل الذى اقترحه لحروف الطباعة ما يحل المشاكل التى طرحها للأسباب التالية :

1 — يلاحظ تاثر الاستاذ بلعباس بالخط اللاتينى من حيث ايجاد حروف صغيرة واخرى كبيرة ، فما اغنانا عن هذا التعقيد ؟ لعل الحروف الكبيرة تنفع للدلالة على اسماء الاعلام ، وعندها يكفى وضع اشارة فوق الحرف الاول من الاسم لتمييزه شبيها بما كان اقترح في وقت ما في مصر وسميت بحروف التاج ثم اهلكت مع ذلك ، اذ ثبت عدم جدواها . فما فائدة اثقال مطابعنا بمجموعة كاملة من الحروف لا لزوم لها .

2 — ان القصد ، باعتقادي ، من اقتراح الاستاذ بلعباس بجعل الحروف منفصلة هو للتخلص من كثرة اشكال الحروف بين ان تكون في اول الكلمة او في وسطها او آخرها او كانت منفصلة . لكن الاستاذ

الحرف عن صدره ، وكونت الحروف المبينة في الشكل رقم (4) من الكراس وعددها اربعة واربعون حرفا، هي كل ما يلزم لكتابة اى نص كان . وفي الشكل رقم (5) نموذج من استخدام هذه الحروف كأنها سبكت ورصفت .

وقد قرأت مؤخرا في جريدة الاهرام القاهرة نقلا هي كل ما يلزم الكتابة اى نص كان وفي الشكل عدد اشكال الحروف الى واحد وعشرين شكلا .

وفي بيروت اقترح المهندس نصرى خطار نماذج لحروف منفصلة اخذت بعض المجلات اللبنانية باستخدامها في العناوين كمجلة الصياد ومجلة الشبكة مع تحريف بسيط لا يمس الجوهر كثيرا . وهناك محاولات كثيرة كما فكرتم في تعليقاتكم على النماذج التي نشرتم صورها عنها .

حتى ان الاستاذ المستشرق في جامعة امستردام الدكتور ادوار بلويج له محاولات لتطويع الحرف العربى لآلة الطباعة (اوفسيت) مع تبسيطه . فها حبذا لو ان مجلة اللسان العربى تأخذ المبادرة في جميع الجهود المبثرة هنا وهناك وتنشرها فلعلها تجد من تستهويه هذه القضية فيبتكر شيئا ترضى عنه الناس .

3 - لقد جمل الاستاذ بلعباس حروفه بطول واحد (عدا الالف والراء والزين) وهذا الاقتراح يتعب النظر في القراءة لصعوبة تمييز الحروف بعضها عن بعض . وقد دلت تجارب اجريت على قراءة نصوص طبعت بحروف لاتينية صغيرة مرة وكبيرة مرة اخرى ، فكان تمييز الحروف الصغيرة اسرع واسهل من تمييز الكبيرة ، ذلك لان حروفا تعلو واخرى تنخفض وبعضها يمتد واخرى تقصر يريح النظر والإعصاب ويساعد على سرعة ارتسام الكلمة في الذاكرة بمجرد القاء نظرة خاطفة عليها .

4 - ينتقد الاستاذ بلعباس وجود التقاط على الحروف وفكر انه قد تخلص منها بلصقتها بالحرف تارة بنقطة وتارة بعقفة . ولعل انفصالها يكسبها وضوحا اكثر لا سيما عند ما يصغر حجم الحرف .

5 - ان الحرف العربى قد اكتسب على الزمن طابعا جميلا لا يمكن اغفاله ، وفي الحروف التى اقترحها الاستاذ بلعباس تساوة بالغة . ولا ادعى ان الحروف التى اقترحتها قد حافظت على جمال الحرف

العربى لكنها حافظت على الاقل على طابعه . فاذا اردنا ان نطوع الحرف العربى للتكنيك الحديث والمطابع الحديثة فيجب ان لا يكون هذا على حساب تجريد الحرف من صفاته الجمالية . ومن المؤكد اننا سنصل الى الحل المناسب اذا اجتمعت جهود المهندسين والخطاطين وعلماء اللغة . وفي يقينى ان ما توصل اليه الاستاذ الاخضر هو خطوة مباركة وواسعة نحو الامام .

6 - وفي مقال الاستاذ بلعباس نقطة هامة جدا هي موضوع الحركات . وجدير بنا ان نقف عندها قليلا . فقد كنت انا نفسى فيها مضى متحمسا لاعطاء الحركات اشكالا تدخل بين الحروف ، او بتعبير آخر ايجاد اشكال للحركات بحجم الحروف كما جاء في اقتراح الاستاذ بلعباس لكننى عدلت عن هذه الفكرة لاسباب عديدة هي :

ان الحركات تمثل حروف علة صغيرة لكنها في الواقع هي علة كبيرة . فالحركات في لغتنا عامل صرفى لبيان جذر الكلمة وعامل نحوى لوظيفة الكلمة . فالعامل الصرفى سماعى ويجب حفظه بالتلقين . فكلية لعب مثلا مكسورة العين وكلمة ضرب مفتوحة العين . وكذلك المضارع والامر وغيره . لكن العامل النحوى يتغير بحسب وظيفة الكلمة ان كانت فاعلا او مفعولا او مضافا او غير ذلك . ولا يمكن الا لذى ثقافة لغوية من وضع الحركة المناسبة ، كما لا يمكن الا لذى ثقافة لغوية الى حد ما من فهم الوظائف من خلال الحركات . ولاوضح هذا بمثال ، فلو قرأنا على رجل علمى الآية الكريمة « انما يخشى الله من عباده العلماء » يفهم منها ان الله سبحانه وتعالى يخشى العلماء من عباده وليس العكس كما هو واضح لذى ثقافة لغوية من الفتحة على اسم الجلالة .

ونو الثقافة العادية في اللغة لا يحتاج على الغالب لجميع الحركات الا لما يوجب الالتباس فقط . فلماذا اذن حشر الكلمة بكل الحركات واطالة الكتابة بها لا طائل تحته ؟ لا سيما وان وضع الحركات على وجهها الصحيح يحتاج الى ثقافة عالية في اللغة وقد يخطئ حتى المتخصصون فيها ، ويكون هذا الخطأ سببا في تعميم الخطأ . فعدم وجود الحركات كلها احفظ نظرى للغة وايسر للكتابة الا لما يوجب الالتباس . فمثلا لو كتبنا كلمة « كسرت » لوحدها فيمكن ان تقرأ بثمانية اشكال لكلها معانيها وهي :

كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت
كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت

فقد يكون وجودها في الجملة يدل على المقصود من هذه الحالات الثمان ولكن ليس ذلك دوما . فلو كتبنا « كسرت القلم » فقد ينطبق على كلمة كسرت الحالات الأربع الأولى من الثمانية الواردة اعلاه .

اما لو كتبنا « كسرت المحبرة » فينطبق عليها الحالات الأربع الأولى والحالة الثامنة ايضا .

نفى مثل هذه الحالات يكون لوضع الحركات جدوى بل يصبح ضرورة . على انه في الجملة التالية مثلا « صنع النجار المقعد من خشب الجوز » فلا تحتاج الى حركات تثقل الكتابة . وعلى هذا فان اعطاء الحركات اشكالا كالحروف يصبح ادخالها في الكلمة الزاميا مما سيشوش الكتابة بالاعطاء الفادحة التي سترتكب الا اذا كان الكاتب على درجة عالية من الثقافة وكذلك القارئ . وفي مثل هذه الحالة ولمثل هؤلاء لن

تبقى هنالك ضرورة للحركات الا في مجالات ضيقة . فلنتصور انسانا ذا ثقافة متوسطة في اللغة وقواعدها فهل سيسلم من حشو ما يكتب بعشرات الاخطاء في الصحيفة الواحدة ؟ فان كان القارئ عالما سيتشوش فيما يقصد الكاتب وان كان ذا ثقافة ضعيفة فانه سيفهم المعنى المقصود بصرف النظر كليا عن الحركات وبخاصة اذا راعى الكاتب ترتيب الجمل بحسب سليقة اللغة العربية بأن جعل الفعل أولا والفاعل يسبق المفعول به .

لعلني تمكنت من شرح وجهة نظري في هذا الموضوع ، وما اقصده اصبح واضحا وهو انه يجب عدم انتقال الكلام بالحركات والاكتفاء بالضروري منها فقط لذلك فدمجها بين الحروف لا يحقق الغرض والافضل ان تبقى اشارات اضافية كما هي وان نركز اهتمامنا على تطويع الحرف العربي للمطابع الحديثة واختصار مئات السبائك بأقل عدد منها مع المحافظة على جمال الخط العربي وصرف النظر كليا عن موضوع اعطاء الحركات اشكال حروف .

خير الدين حقي جامعة حلب كلية الهندسة الجمهورية العربية السورية

نماذج مفترمة من الخطوط
للمصورات الهندسية والطباعة والكتابة الطائرة

ا ب ت ت ج ج ج ج ج
 ر ز س ش س ص ص ض
 ط ط ظ ع ع غ غ خ ف
 ق ق ك ك ك ك ل
 م م م م م ن ن ه
 و و و و و ي ي ي .

الشكل رقم (١)

يمثل هذا الشكل حروف الابجدية المقترحة لمكاتب المهندسين للكتابة على المخططات . وهي لا تحتاج لغير المسطرة والدور . وهذه الحروف التي نعلمها لطلاب كلية الهندسة مأخوذة من الخط الكوفي الشطرنجي والخط الكوفي المشجر .

وعددا ابوابه تسعة: ثلاثة ذي صحنه
 غرباً وشرقاً وجوفاً وأربعة ذي بلاطاته
 اثنان شرقيان واثنان غربيان ، وذي

الشكل رقم (٢)

يمثل نموذجاً للكتابة بالحروف المبينة في الشكل السابق بمقاييسها ذاتها وضم بعضها لبعض .

وصورة الغلاف نموذج آخر لاستعمال الحروف المبينة في الشكا
 رقم (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموات وما في
الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا
بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم
ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
وسع كرسيه السموات والأرض ولا
يؤده حفظهما وهو العلي العظيم

الشكل رقم ٥١

نموذج من الكتابة بالأحرف المقترحة للطباعة في الشكل (٤) كأنما سبكت
ورسفت.

٤ ج ت ث ل ذ ي

الشكل رقم (٦)

صور مقترحة للحروف الضيقة لتأخذ عرضاً يساوي عرض
بقية الحروف تماماً بنية تبسيط الآلة الكتابة اليدوية ليكون للدرية
حاملة الورقة ازاحات متساوية لجميع الحروف فيسهل ميكانيكها
ويرخص ثمنها .

خمودیجی من ۱۴ خط ۱۴۱۱ ۱۴۱۴ ک۱۴ تج۱۴

نموذج من الكتابة بهذه الحروف المعدلة والمبينة في الشكل (٦)
 كأنما صنع آلة كاتبة بها. ولئن بدت النقطة في الألف واللام مستغربة،
 إنما اقتضت الحاجة لها، وهي مأخوذة من الخط الديواني.

الشكل رقم (٨)

هو محاولة اخرى للطباعة بحروف دون نبرات . ويقارن هذا الشكل على الشكل رقم (٥) وله المزاياداتها .

ج د ذ
ص ض ط ظ لا
الأصطلاح الدخيل
الأصطلاح الدخيل

الشكل رقم (٩)

اقترح بديل لبعض الحروف الواردة في الشكل (٤) بنية
تقريب شكلها من شكل الحروف المألوفة في الكتابة مع نموذج
لكتابة هذه الحروف .

بَحْثٌ فِي تَطْوِيرِ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ

للأستاذ جودت نور الدين

العربية ليقراها ، وإن كل من تعلم أو علم يواجه هذه الصعوبة : بالنسبة للطفل صعوبة في تمييز الصور المتعددة للحرف الواحد (حسب موقعه من الكلمة) ، وكثرة الحروف المنقطة ، بالإضافة الى الحركات او العلامات الصوتية التي يبلغ عددها ثمانية على الأقل (مع الشدة والتنوين) ، أما في غير المشكل فهي صعوبة بالنسبة للراشدين المتعلمين ونادرا ما تجد بينهم — وبين اساتذة الادب العربي — من يخرج اللفظ أخراجا صحيحا — حتى عند قراءته جريده يومية — الا بمزيد من التأنى وارهاف الذاكرة واجهاد الاعصاب ، حسب تعبير محمود تيمور (1) . اما المتفرن فانه «يعرض نفسه لحول عينيه اذ هو لا يقع بصره على الكلمة الا وهو يجيله فيها بعدها من الكلمات حتى يعرف معنى تلك الكلمة هل هي اسم او حرف او فعل ، وما وظيفتها في الجملة وما تستجته من البناء او حركات الاعراب» (2) ولهذا يعمد الكثيرون الى تسكين اواخر الكلمات كى يتفادى التحريك الخاطئ .

اما في الكتابة فتواجه المتعلم — بالمعنى الحرفي — صعوبتان : اختلاف صورة الحرف الواحد بين مخطوط ومطبوع ، ثم صعوبة املائية ناتجة في الدرجة الاولى عن طبيعة الهزة ومنزلتها بين الحروف العربية ، والصعوبة الاولى قائمة في اللغات الاخرى ، ولكن هذا لا ينفي انها صعوبة وينبغي تذليلها ، لا سيما واننا في عصر متسارع ينبغي نسمح الوقت فيه امام التفكير والانتاج وتخصيص اقل قدر منه لاتقان استعمال الوسائل .

هذا البحث انما هو محاولة لحل مشكلة الكتابة العربية ، وهي ليست المحاولة الاولى ولن تكون الاخرى وهو ليس بحثا في علم اللغة ولا في فن الخط ، وان اتى على جوانب مهمة منها لها علاقة بالكتابة والحرف ، وللكتابة والحرف علاقة بها .

وفيما خص الحرف بالذات ، انى اتناوله من ناحيته العلمية ، اى مجردا من قدسيته الدينية وقيمه السحرية ، وبعبدا عن الخلفيات والواجهات السياسية ولا يعنى هذا في اى حال انى لن اعرض لجوانب وظروف دينية وسياسية كموامل فاعلة فيه .

القسم الاول : مشاكل الكتابة العربية

اولا — مشاكل الكتابة :

— لا ينكر الا مكابر ان للكتابة العربية مشكلة واحدة على الاقل هي صعوبة قراءتها ورسما على وجه صحيح تام ، ومع ظهور الطباعة برزت مشكلة جديدة لها تعقدت مع تقدم هذا الفن ، وكان من نتائج هاتين المشكلتين ثالثة هي الضعف في اللغة ، ويزيد البعض مشكلة رابعة : مساهمة الكتابة العربية في ازمة الخلق الادبى .

1 — المشكلة التربوية :

قال قاسم امين وردد من بعده طه حسين ، ان المرء يقرأ اللغات الاوروبية ليفهمها بينما ينبغي له ان يفهم

ان مشكلة الحرف التربوية مشكلة تهجئة وتحريك وإملاء واقتصاد في الوقت .

2 - مشكلة الطباعة :

— جاء في مقال بتوقيع شعيب احمد الدريسي ان عيون صندوق الحروف في اول مطبعة عربية (مطبعة حلب التي اسسها الشماس عبد الله زاهر سنة 1706) كان عددها 222 — اما المطبعة الامريكية التي نقلت من مالطة الى بيروت فقد كان عدد العيون فيها بالحروف المشكولة 900 (ولنا ان نتصور العناء الذي يلاقيه العامل الفني في تنفيذ النصوص المحركة) وبعدها جرت محاولات عديدة لاختصار عدد اشكال الحروف في اتجاهين اثنين : اولهما يحافظ على طبيعة الابجدية العربية في الاتصال والانفصال ومن رواده اللبناني الشيخ ابراهيم اليازجي بالنسبة لطبعة التنضيد اليدوي (المونوتيب) ومن لاحقيه اللبناني كامل مروه بالنسبة لطبعة التنضيد السطري الحديثة (اللينوتيب) . والاتجاه الآخر يفك الكلمة كلياً باستعمال صور الحروف المنفصلة ، واول من نادى به سفير ايران الاسبق في لندن ناظم مالوكي خان 1882 ، وتبعه اسماعيل حقي الميلاسي في اوائل القرن العشرين ، وروجت جريدة « المقطم » القاهرية لـ « حرف اديب » سنة 1936 وغير هؤلاء (3) .

والمشكلة بالنسبة لطبعة التنضيد اليدوي (القديمة) اننا اذا اردنا طبع نص مشكول مع تعدد صور الحرف الواحد لزمنا جهد كبير ووقت طويل ، لان عيون الصندوق لن تقل عن 226 في هذه الحالة . والمشكلة بالنسبة لطبعة التنضيد السطري السريعة ان مجساتها لا تعدو الـ 90 وعلى احسن تقدير الـ 96 ، واننا لا نستطيع وضع الحركة على الحرف لانه غير مجوف ولا يمكننا ذلك الا اذا اعتبرنا الحركة بمقام الحرف تسبقه او تتلوه مباشرة ، اما في الآلة الكاتبة المستعملة حالياً — او الراقنة — فلا يمكننا كذلك طبع نص مشكول لان فيها 47 طارقة في طرف كل منها شكلان فيكون المجموع 94 شكلاً (في الراقنة الفرنسية 44 طارقة) . وصنع راقنة جديدة تنسج لها كلها غير عملي فنيا ومادياً .

3 - المشكلة اللغوية :

— شهر عن العربية انها بصعوبة الالمانية والروسية والفرنسية ، وبعضهم يقول بانها اصعب منها ، لاسباب ترجع الى تواعدها في الدرجة الاولى (وجود مجرد ومزيد ، ومعلوم ومجهول ، وصحيح ومعتل ، ومغرب ومبني ، ومصرف وممنوع من الصرف ، ومقصود ومحدود ، وتعدد الاوزان للثلاثي وتعدد المصادر للفعل الواحد . وتعدد المفاعيل ، وتعدد الجموع ، وتعدد المفردات للاسم الواحد ...) وتجيء مشكلة الحرف

التربوية والطباعية لتزيد في تعقيد العربية والتخوف منها فيؤدي ذلك الى الصدف عنها او تفضيل احدي اللغات الاجنبية عليها او الى التطيرف والدعوة الى احلال العامية محلها ، اقتناعاً او اصطناعاً . ولا شك في ان جزءاً من حل مشكلة اللغة — وبالتالي تشجيع الاقبال عليها والعناية بها ودفع الاتهامات عنها — يكمن في حل مشكلة الكتابة .

4 - المشكلة الادبية :

— يرى التونسي البشير بن سلامة (4) ان العربية في الجاهلية كانت مكتملة كلمة (ضبط في الاعراب وتوازن في النبرة الموسيقية) وبدائية ككتابة (خالية من الاعجام والتحريك رثية التصوير لانها رموز) ، وما زال هذا النقص — ولو جزئياً — الى ايامنا . ويرد بدايتها الى نزعة السماع والرواية التي سادت ما قبل نزول القرآن وحتى ما بعد نزوله ، على الرغم من اعتباره « حدثاً لغوياً » — على حد تعبير المستشرق الفرنسي بلاشير Blachere — من حيث كونه لا شعراً ولا نثراً ومن حيث دعوته الى القراءة والكتابة في العديد من الآيات.

وان القراءة الكاملة المعتمدة على الكتابة الكاملة تحرر الانسان من « سلطان الذاكرة » الآسر للترتيب او « الذاكرة المنشدة » (والتعبيران للكتاب الفرنسي Alain وتؤكد الافكار المنطقة نحو المجهول والمغامرة الكبرى ، اي نحو الخلق .

ويرى السيد بن سلامة ان التفاوت بين بناء الثقافة وبناء اللغة الموروث النقص ادى الى عزلة العربية واقتصارها منذ القدم على نخبة معينة . ويتخلص ادب الرواية والسماع الذي كان يعوض النص المشكول ويبقاء هذا على صورته اتسعت الشقة بين الفصحي والعامية وزادت الفصحي « برعاجية » فظهرت ككائن مصطنع بعيد عن الحياة الحق المتفتحة على جميع التيارات .

ويتبنى الكاتب مقولة محمود تيمور بأن « المسألة ليست في القراءة الصحيحة وفي تجنب اللحن فقط بل هي تتعلق بتقديم العرب اذ خلوا الحروف من الحركات يعد مظهرًا من مظاهر التخلف » . ويتساءل هو بدوره عن « حظ اللغة العربية من التقدم الفكري » فيقول : « هل سمعنا في ايامنا هذه بعالم عربي قدم اختراعاته واكتشافاته باللغة العربية ؟ وهل سمعنا ان نظرية من النظريات الفلسفية اكتسحت عالمنا الحاضر وهي نابعة من فكر عربي وزاحمت الماركسية والوجودية وحتى الماوية وغيرها من الفلسفات ، وهل سمعنا ان قصة او ديوانا من الشعر باللغة العربية صار بالنسبة لمتقني العالم الشغل الشاغل ؟ (5) .

ومن وجهة أخرى ، نرى ان انصراف الناس في ايامنا الى المسوع المرئى ينعكس انعكاسا سلبيا على المطبوع المقروء ، ولا سيما على الانتاج الادبي وتسويقه وهذه المشكلة قائمة بالنسبة للغات الاجنبية ايضا ، فكيف تكون الحال اذا كان هذا المطبوع صعب القراءة وفي بلاد عدد اميها يفوق عدد المتعلمين او يساويه على احسن تقدير ؟

ثانيا - حلول سابقة :

— لن اتوقف هنا — ولا في الحل الجديد — عند المشكلتين الفرعيتين الثالثة والرابعة الا بمقدار : قبل كل شيء — وهذا هو الاهم — لاعتبار ان ما يعود فيهما للكتابة نتيجة تزول بزوال السبب ، ثم لان المقام ليس مقاما لبحث مشكلة الخلق الادبي من حيث الجوهر . ولنبدأ بالثانوى بالنسبة للبحث :

1 — ان تساؤل السيد بن سلامة عن حظ العربية من التقدم الفكري واعتباره اللغة مسؤولة عن عدم تقديم عالم عربي اختراعاته واكتشافاته بها فيه عكس لبعض الحقائق ، فاللغة هي التي تجد في التقدم الفكري قاعده ترتكز عليها لان التقدم هو الذي يطور اللغة ايضا من حيث الكتابة والمفردات والتراكيب والاساليب والنفس . وكما يقول مواطنه التونسي الاديب محمود المسعدى فان الفكر النير يفرز بطبيعة الحال لغة مناسبة له . ان التخلف لا يتجزأ وكذلك التقدم . فمثلا لو لم يكن الاسلام ثورة اجتماعية جفرية في جميع مناحي الحياة العربية (ولعله الثروة العربية الحقيقية الوحيدة حتى الآن) لما تمكن من فرز لغة جديدة — من حيث الاسلوب — ولا كتابة جديدة — من حيث الشكل .

ان النقص في الكتابة هو فعلا مظهر من مظاهر التخلف ولكن بمعنى انه نتيجة لا سبب . ولو كان العرب اقوياء اقتصاديا وعسكريا وسياسيا لازدهر انتاجهم الفكري ولكانت لهم اختراعات عربية يعطونها اسماء عربية ، ولنشروا بل لفرضوا لغتهم بحكم كل ذلك وبحكم اضطرار الآخرين الى التعامل بها — شأنهم في العصر العباسي مثلا — وكما كان الشأن بالنسبة للاسبانية ، وكما هو الآن بالنسبة للفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية ، وكما سيكون بالنسبة للصينية ، من يدري !

ومن جهة أخرى ، من المستحيل ان يتعايش تخلف الكتابة مع تقدم الامة كما ان من النادر تعايش تقدم الكتابة مع تخلف الامة . وان مجرد استيراد اى مظهر من مظاهر التقدم — كاحدى الكتابات مثلا — لا يقدم امة متخلفة .

اما الدعوة الى العامية ، فهي من وجهة نظر ادبية خالصة مناهضة لحقائق الادب :

أ — سبب انتشار العامية هو عرقلة نمو الفصحى وانتشارها الناتج في المقام الاول عن الامية ، وفي المقام الثانى عن عدم العناية بها ومزاحمة اللغة — وحيانا اللغات — الاجنبية لها في كثير من البلدان العربية منذ المرحلة الابتدائية ، بل ومنذ مرحلة الروضة احيانا .

ب — اذا اخذنا بالعامية وجب علينا ان نضع القواعد لها كما توضع لاي لغة يراد لها ان تبقى بعيدة عن الفوضى ، وتعلم القواعد الجديدة قد يبلغ درجة الاستحالة بسبب وجود العديد من العمليات حتى داخل البلد الصغير الواحد . اما تسهيل قواعد اللغة الحالية فهو ايسر نظريا وممكن عمليا ، واعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة معروفة في هذا الحقل (6) ، « واحرفية » اللبناى يوسف السودا مثل تطبيقى قابل للتحسين (7) .

ج — من اهداف الفن الصحيح السمو بالفوق العام . والفن العامى نفسه — كالرجل في لبنان مثلا — يلتزم بموازين موسيقية تقربه من الفصحى ، وتتقرب مفرداته ولغته من الفصحى كلما عمقت معانيه وغنيت صوره .

والشاعر اللبناني سعيد عقل — احد دعاة العامية — يعلم جيدا انه لم يخلد من شعراء العامية في فرنسا كلها وعلى مدى قرون الا واحد هو شاعر الاقالييم فريدريك ميسترال ، بل ان شاعرنا نفسه اذا كان الامر جدا لا ينظم الا بالفصحى وادى فصحى . ومن يقرأ مطولاته الرائعة او قصيدته « الجاهلية » في نهرو يخرج بهذا الانطباع والاعتناع ، حتى انه في كتابه الغزلى النثرى الاخير « كتاب الورد » يتغزل متوحدا مع فصاحه ، لا مع محبوبه ، كما قال احد النقاد .

د — اتجاه الادب هو نحو الانتشار والشمول الانسانى لا نحو التقوقع والتحجر على الذات . وان الكتابة بلغة يقرأها عشرات الملايين انجح للادب رسالة وسوقا وحافزا في الحوافز على الابداع — من كتابته بلهجة يحكى بها بضعة ملايين في بضعة بلدان (وهذا ، بالاضافة الى مناخ الحرية ، ما يفسر ازدهار النشر والطباعة في لبنان ، لا غير ذلك) .

ه — ان القول بازواجية لغة الحياة ولغة الكتابة ثم اعتبار الفصحى بمقام اللاتينية المتخفية فيه تضيق على المعنى . فقد سبق ان قلنا بأن العامية ظاهرة تخلف لانها تعكس واقع الامية الناتج عن التخلف العام . ولا اظن احدا يوافق على ان التخلف هو الحياة الصحيحة . ومن جهة اخرى لا يصح تشبيه العربية باللاتينية المنقرضة لان للعربية شعوبا تتكلم بها وتكتب وتقيم شعائرها الدينية اليومية ، بينما حلت محل اللاتينية لغات مختلفة ولم تعد تلك مستعملة الا لاقامة بعض الشعائر الدينية وفي نطاق محدود .

و — ان تبسّر الفصحى وتطوّرها كلفة مستطاع لمن يريد . ولنا في لغة مارون عبود وكمال يوسف الحاج ومحمود المسعدى الجريئة الحية امثلة على ذلك . واما تسهيل كتابتها وقراءتها دون الخروج على عبقريتها واصولها — ولكل لغة عبقرية واصول — فأمس ان تساهم محاولتي هذه الى جانب المحاولات السابقة — ان فعلا اورد فعل — في اكمال القاموس لا في نقضه .

بقيت اذن المشكلة الرئيسية :

2 — صورة الحرف وقراءته :

1 — في 6 — 2 — 1941 اصدر وزير المعارف المصري الدكتور محمد حسين هيكل قرارا عهد بموجبه الى مجمع مؤاد الاول للغة العربية « بدرس ما من شأنه تبسّر الكتابة العربية » وذلك بناء على اقتراح من عبد العزيز فهمي في جلسة سابقة للمجمع « بوضع طريقة لرسم الكتابة العربية تقى القارىء اللحن والخطا » (8) . ثم قدم عبد العزيز فهمي نفسه اقتراحا عمليا باعتماد **الحروف اللاتينية** مع الابقاء على عشرة من الحروف العربية الحالية (انظر البيان رقم 1) ، كما قدم على الجارم اقتراحا آخر يدعو الى ان تكمل حروف الكلمة بزوائد في صلبها تدل على الحركة « بحيث يؤدي كل حرف صورته الصوتية صادقة » (انظر البيان رقم 2) (9)

وابرز الدعاة الى الحروف اللاتينية في ايامنا هو الشاعر اللبناني سعيد عقل نفسه . وهو يدعو في نفس الوقت الى اعتماد اللهجة المحكية كـ « لغة قومية » وتعلم « لغة حضارية » او لغتين من اللغات الحية (الفرنسية ، الانكليزية ، الالمانية ...) وابقاء « لغة الجيران » للجيران ، وسى كل ذلك « ثورة اللغة والحرف » (10) . ويبلغ عدد حروفه 36 بها فيها الاحرف الصائتة او الحركات . وطريقته — كطريقة فهمي تدعو الى حرف موحد الشكل والى كتابة الصوتيات في صلب الكلمة كما هو الحال في العديد من اللغات الاجنبية .. واول ما طبع بها كتاب له بعنوان « يارا » في مطلع الستينات .

ب — سبق ان فكرنا ان اول من دعا الى استعمال **الحروف العربية المنفصلة** هو ناظم ما كوم خان سفير ايران الاسبق في لندن سنة 1882 اذ « قام بعمل احرف طباعية منفصلة وطبع عليها بعض الكتب بالعربية ومنها اقوال الامام على ، وبالفارسية كتاب « كلستان » . ودعا الى هذا الاتجاه اصحاب مجلة « المقتطف » ويوسف غسطين مدير جريدة « الاهرام » الاسبق ويوسف صفي وغيرهم (11) .

ومنذ بضع سنوات وضع المهندس اللبناني نصرى خطار صورا موحدة لاحرف عربية منفصلة سبكت

للاستعمال التجارى وللعناوين على امل الاخذ بها في الطباعة العادية ، واشكال بعضها تشبه اشكال بعض الاحرف العبرية (12) .

وظهرت في جريدة « النهار » البيروتية مقالة بقلم عطا الله ذبابة يؤكد فيها انه « ابتكر ابجدية جديدة وسهلة لاصلاح الحروف العربية وتنوير الرسم العربى ... انطلاقا من روح عصرنا الثورى واستلهاما لآخر المحاولات وارقاها في العالم كله » (13) والابجدية الجديدة تقوم على حروف منفصلة متساوية الارتفاع بعض هياكلها مستمد من صور الحروف الحالية وبعض صورها تفكر بصور الابجدية الارمنية . ومن خصائصها الغاء التنقيط منها جميعها والغاء الشدة واعتبار الهمزة حرفا قائما بذاته « واكتشاف حروف صوتية عربية تنوب عن الضمة والفتحة والكسرة وتدخل في صلب بناء الكلمة » ، واخيرا ادخل ثلاثة احرف لاتينية اساسية (G, P, V) بقصد استعمالها عربيا عند كتابة اسماء ومصطلحات معربة وذلك لعدم توافر حروف عربية بمثل مخرجها « (14) .

واطلعت مؤخرا على اقتراحين لمغربيين هما مصطفى النعمان ويحيى بلعباس في مجلة « اللسان العربى » يكرر اولهما اقتراح على الجارم ويكرر ثانيهما اقتراح نصرى خطار (15) .

هذا مع الاشارة الى ان اقتراح خطار نفسه (وكذلك اقتراح ذبابة) يعيد الى الذهن اقتراح محمود تيمور الذى قدمه للمجمع اللغوى بالقاهرة وطبع سنة 1951 بعنوان « ضبط الكتابة العربية » ، وهو يرى « ان تقتصر من صور الحروف على صورة واحدة .. الصورة التى لا تقبل الاتصال من بدء الكلمات » باستثناء بعض الاحرف (الالف ، الدال ، الواو ، التاء المربوطة ...) مع وضع الضوابط على الحروف : « حروف مألوفة وضوابط معروفة » (16) .

ج — قدم المغربى احمد الاخضر غزال الى مجمع اللغة العربية في القاهرة مشروعا يقضى باختصار اشكال **الحروف الحالية** الى « تسعين شكلا بها في ذلك حروف الضبط والشكل وعلاماته والارقام والوقف » وبوضع الحركة بعد الحرف مباشرة . وتبنت الحكومة المغربية هذه الطريقة سنة 1956 ورحب بها المؤتمر الاول للجان العربية الوطنية للاونيسكو سنة 1958 واوصى المؤتمر العربى الاول للتعريب سنة 1961 بالانفتاح بها . كما ان هذه « الطريقة المعيارية » اعجبت الاب كورون مدير الطبعة اليسوعية سابقا في بيروت ومدير دار المنشورات العربية حاليا في باريس وليسون بفرنسا ، لان الحركات المستقلة تمكن من اختصار امهات الحروف وتقلل كثيرا من عدد الحروف المطبعية التى يزيد عدد صناديقها حاليا عن 250 صندوقا . واننا

نجد الحركات موضوعة بعد الحروف مباشرة في كثير من الكتب المطبوعة في لبنان منذ أوائل الخمسينات ومنها « لسان العرب » (17) .

واختصر اللباني كامل مروءة اشكال الحروف المطبعية من 104 الى 56 فقط فاصبح من الممكن استعمالها في المطبعة الحديثة التي تتسع لـ 90 قناة . وقد وازنت طريقته بين مقتضيات الاقتصاد والمحافظة على الشكل المعتاد للحرف العربي .

واستوحى التونسي البشير بن سلامة طريقة احمد الاخضر المعيارية في وضع طريقة سماها « الكتابة النونجية » ، ولاحظ ان « الحركة اذا كانت مصحوبة برابط (بين الاحرف) يكون مدروسا شكله بحيث يمكن ان يربط بين جميع الحروف من دون ان يخل بجمال الخط امكن لنا استنباط حروف يضبط الخطاط نوعيتها ويختصر العدد الكبير منها . وقد توصلنا الى ذلك فاصبح عدد الحروف 58 حرفا بعد ان كان يزيد عن المائة . واذا اضفنا الحركات مع الروابط وادوات الوقف والشدة والتعريقة تحصلنا على آلة ذات 91 حرفا » (18) . ويلاحظ صاحب هذه الطريقة ان حروفه الـ 58 تظهر (وهي مستقلة) « مبتورة لان جزءا منها سواء كان الايسر او الايمن او الاثنى مما موجود في الرابط الذي يحمل الحركة ، ولكنها كلها اقترنت به اصبحت كاملة لا يميزها عن الكتابة العادية شيء ... وانه بالنسبة للحروف الهجائية النهائية تظهر الحركة بدون رابط وتفصل هكذا عما بعدها » (19) فلا تختلط الكلمات في السطر الواحد (البيان رقم 3)

د - بقيت محاولة اخرى ، « تلك التي حددها وروج لها الدكتور اديب ابو غزالة ودعاها « الكيان الجرد للحرف العربي » . وهي فكرة تدعو لحذف الكاسمات والفيول والتطاريق من الاحرف العربية لتكون ذات شكل واحد موحد اينما وقعت من الكلمة على ان تبقى متصلة » (20) . وبكل اسف لم يتوصل الى علمي تفاصيل عنها غير هذه ، ولا ادري اذا كانت تدعو الى الغاء التنقيط ووجوب التحريك .

3 - الإملاء العربي :

اقر باديء ذي بدء بأن ليس للحرف العربي مشكلة املائية صعبة جدا . فالعربية - بخلاف الفرنسية او الانكليزية مثلا - لغة صوتية تكتب اجمالا كما تلفظ . وليس من صعوبة حقيقية في املائها الا الهمزة ، ويليها الالف ، فهذه تلفظ احيانا دون ان تكتب (مثل هذا ولكن واولئك) او تكتب دون ان تلفظ (كواو الجماعة) كما تكون تارة ممدودة وطورا مقصورة . وقد جرت عدة محاولات لتسهيل الإملاء العربي اذكر بعضها .

- في مصر دعا على الجارم الى تسهيل كتابة الهمزة باتباع قواعد اربع اهمها الثانية وهي تقضى بأن « تكتب الهمزة المتحركة في وسط الكلمة وفي طرفها على حرف مناسب لحركتها وبذلك يستغنى عن الحركة هكذا : سل ، سئل ، ضؤل ، النبؤ ، في جزئي الكتاب .. (21)

وفي لبنان دعا الشاعر جوزف نجيم الى تسهيل كتابة الهمزة فتكون اطلاقا في اول الكلمة على الالف (اخذ) وفي وسطها على ياء مهملة (سئل) وفي آخرها مستقلة (جاء) ، وذلك بصرف النظر عن حركتها او حركة ما قبلها .

- وبشأن كتابة الالف سبق لنادى دار العلوم بمصر في منتصف الثلاثينات (وكان وقتها سعد زغلول وزيرا للمعارف) ان ناقش « رسم الالف المتطرفة الفا ممدودة سواء اكانت واوية ام يائية » (22) وجدد العراقي منير القاضي الاقتراح وقدمه الى المجمع العلمي العراقي ببغداد فنشره المجمع في كراس مستقل (23) . ومؤخرا بعث اللباني احمد اللواساني نفس المشروع على صفحات ملحق جريدة « النهار » البيروتية .

- واقترحات الكتابة الصوتية ليست جديدة . ومعروف ان طه حسين دعا اليها وانه كان الى سنة 1960 يوقع مقالاته في جريدة « الجمهورية » القاهرة باسمه كما يلفظ .

القسم الثاني : الطريقة الطبيعية

اولا - في الإملاء :

1 - يبدو اقتراح كتابة الالف المتطرفة الفا ممدودة على الاطلاق معقولا ووجيها لان اختلاف صورتي الالف مع وجود صوت واحد لهما لا يمرر له في الواقع الا الدلالة على مصدر واوى او يائي وعلى ما ينجز عنه في التصريف مثلا بالنسبة للانفعال (ما ينتهي ماضيه بالالف ممدودة ينتهي مضارعه بواو مثل دعوا - يدعوا ، وما ينتهي ماضيه بالالف مقصورة ينتهي مضارعه بياء مثل رمى - يرمى) . وفي الالف المقصورة دلالة على التانيث في كثير من الكلمات (كبرى ، سلوى ..) ولكن النحاة انقسموا في هذا الشأن ، وذهب فريق منهم الى ان ما كان اصله ياء اجازوا كتابته الفا ممدودة وما كان اصله واوا لا يجوز كتابته الفا مقصورة (24) . وذكر على الجارم انه جاء في كتاب الشيخ نصر الهوريني ما معناه « ان جماعة من النحاة جروا على كتابة الباب كله بالالف (الممدودة) حملا للخط على اللفظ كما في الشافية ووجهه شيخ الاسلام بأنه القياس ، وقال البطليوسي في شرح ادب الكاتب : ان ابا على الفارسي اختار هذا الرأي » (25) . وهكذا فالأفضل والأسهل

ان تكتب الفا محدودة كل الف مقصوره في حرف او اسم او فعل في اعراب او بناء .

صورة في الكتابة دون النطق . لكنهم لم يتخرجوا من اطلاق اسم الالف على الهمزة في كثير من الموارد ،، والظاهر في ترتيب سيبويه لحروف الهجاء ان الالف اول حروف الحلق ، وعلى ذلك جلة الائمة . لكن الخليل بن احمد في « العين » وابن سيدة في « المحكم » عدما بين حروف الجوف التي لا تخرج في مدارج الحروف بل تخرج من الجوف . واراد سيبويه بها الالف المتحركة واراد بها الخليل الالف اللينة . ولم يهمل سيبويه الالف اللينة معد الحروف معها تسعة وعشرين حرفا « (28) .

ومن جهة اخرى ، يقول « لسان العرب » : « قال (ابو العباس) واختلف العلماء بأى صورة تكتب الهمزة ، فقاتلت طائفة : نكتبها بحركة ما قبلها وهم الجماعة ، وقال اصحاب القياس : نكتبها بحركة نفسها ، واحتجت الجماعة بأن الخط ينوب عن اللسان قال وانما يلزمنا ان نترجم بالخط ما نطق به اللسان . قال ابو العباس وهذا هو الكلام » (29) .

وعند اجتماع الهمزتين بمعنىين نجد من يحقق الاثنتين كعاصم والكسائي ، ومن يحقق الاولى ويخفف الثانية كالخليل ومن يخفف الاولى ويحقق الثانية كأبي عمرو بن العلاء . ومنهم من يخفف الاثنتين كأهل الحجاز ،، « (30)

وفي « اللسان » نجد ان الهمز على ثلاثة انواع ،، التحقيق (وهو اعطاء الهمزة حقها من الاشباع في اللفظ) والتخفيف (قليل من الاشباع والاعراب) والتحويل (الى ياء مثل خبات - خبيت او الى واو مثل رفات - رفوت) ، « وتميم اصحاب النبر واهل الحجاز اذا اضطروا نبسروا (31) .

من هذه النصوص يبرز اختلاف علماء اللغة في ثلاثة امور : في منزلة الهمزة وفي املائها وفي اخراجها .

وضع الامر في نصايه يقتضينا اعتبار الهمزة حرفا مستقلا قائما بذاته لعدة اسباب :

— لان لها صوتا مستقلا مميزا (ع) ، واذا كان لصوت اساسي صورة في النطق دون الكتابة فينبغي ايجاد صورة مكتوبة مستقلة لهذا الصوت .

— لانه في حالة تعادل الآراء ترجع القاعدة الاكثر بساطة .

— لان علاقة الهمزة بالالف من حيث اللفظ كعلاقة بعض الاحرف الاخرى فيها بينها (التاء والطاء ، السين والصاد ، السين والزاي ، والقاف والكاف ،،)

اما الكلمات التي تلفظ فيها الالف ولا تكتب كاسم الاشارة المسبوق بهاء التنبيه (هذا ، هذان ..) او لكن والرحمن .. فينبغي ان تكتب — على قلتها — كما تلفظ ما دامت كتابتها بهذا الشكل لا تفسد جوهر اللغة ، بعكس الالف في واو الجماعة اذ يجب اثباتها كي لا يختلط المفرد بالجمع على الاقل (ويمكن ان يحافظ على صورة اسم الجلالة « الله » كما هي ، دون ان يكون في هذا الاستثناء الوحيد خروج ينكر على الواعد التي وضعاها) .

وينكر الشيخ احمد رضا العالمى في معرض تفسيره لاقيم نص عربى وصل الينا — وهو نقش النجارة كما سيأتى فكره — ان نزع الالف من الكتابة يرجع الى تأثير الخط النبطى على الخط العربى « اذ ليس في الاول لحرف اللين ولا للهمزة صورة » (26) .

وما دام الشكل واجبا على الحروف — كما نقترح — فان الاسماء الموصولة تكتب هي ايضا كما تلفظ (الذى ، اللين ..) ، وقس على ذلك ،

2 — اما بشأن كتابة الهمزة فارى ان على الجارم خطا خطوه بسيطة على طريق الحل بدليل انه اضطر الى وضع اربع قواعد على الاقل لضبطها ، وان جوزف نجم قام بخطوة عملية فقط عند ما اقترح الاقتصار على صور ثلاث لها حسب موقعها في الكلمة لانه انطلق من الوجود على علته واستخرج قاعدة على مبدأ الشبوع والاغلبية دون الذهاب الى ابعد من ذلك . وارى ان الحل ينبغى ان يكون جنريا وكاملا من حيث منزلة الهمزة في الهجاء العربى ووظيفة احرف العلة الثلاثة التي تجلس عليها سميدة في اكثر الاحيان .

« يقول لسان العرب » كبير امهات المراجع المتأخرة التي وعت ما قبلها ما يلى : « قال الازهرى : اعلم ان الهمزة لا هجاء لها انما تكتب مرة الفا ومرة ياء ومرة واوا ، والالف اللينة لا حرف لها ، انما هي جزء من مدة بعد فتحة . والحروف ثمانية وعشرون حرفا مع السواو والالف والياء ، وتتم بالهمزة تسعة وعشرين حرفا . والهمزة كاللحرف الصحيح غير ان لها حالات من التلين والحذف والابدال والتحقيق تعتل ، فالحقت بالاحرف المعتلة الجوف وليست من الجوف ، انما هي حلقية في اقصى النغم » (27) .

ويقول « معجم متن اللغة » : « ان الالف والهمزة ليسا حرفين تامين بل يعدان حرفا واحدا ، لان الحرف التام يتعين له صورة في النطق وفي الكتابة معا . ولكن الهمزة ذات صورة في النطق دون الكتابة والالف ذات

الالف «ا» «وكان في الامكان اختيار شكل آخر لها مثل «ء» الهمزة الفارسية المألوفة مع زيادة سن عليها للسماح بوصلها من الجهتين لولا الحرص على قواعد اللغة والبيان بوجود همزة قطع وهمزة وصل.

ثانياً - صورة الحرف العربي :

تتميز الكتابة العربية اولا باتصال معظم الحروف في الكلمة الواحدة وثانياً بأن ضبط لفظها يتم بحركات صوتية توضع فوق الحروف او تحتها وثالثاً باتجاهها من اليمين الى اليسار .

هذه الخصائص الثلاث هي الاساسية في نظري ، اما الميزات الاخرى كالأعجام (التنقيط) وتعدد صور الحرف الواحد حسب موقعه من الكلمة ، وغيره ، فهي فروغ :

1 - لدعاة الحرف اللاتيني : فضل في وضع الاصبع على بعض ادواء الكتابة العربية وفي طبيعة هذه اهمال اثبات الصوتيات في الكلمة ثم تعدد اشكال الحرف الواحد وكثرة الحروف المنقطة حتى ان الكتابة المنقطة والمشكولة تبدو كغابة يتعب فيها النظر ولا سيما اذا كان النص مخطوطاً .

واما « الامراض » الاخرى التي اشار اليها هؤلاء الدعاة فلا وجود حقيقياً لها :

أ - اختلاف الحجم بين الاحرف العربية لا يقتصر على العربية بل هو قائم في الحروف اللاتينية ولا سيما في الشكل العادي (قارن بين g-h, i-w, m-n ...)

ب - عدم استعمال حرف التاج في العربية (وهو قائم في اللغات الاوربية ويدل على بداية الكلام او اسماء الاعلام) يمكن تعويضه - اذا كان لا بد من ذلك - اما بكتابة اول كلمة بحروف بارزة كما هو الحال الآن واما بكتابة اول حرف من الكلمة بشكل بارز او اكبر من الاحرف الاخرى .

ج - ان استعمال احرف لاتينية ليس لخارجها مقابل في العربية عند كتابة اسماء ومصطلحات عربية يقودنا الى زيادة كبيره في عدد هذه الاحرف لان في كل لغة من اللغات الحية اصوات لا يقابل لها في العربية ، ففي الفرنسية وحدها اكثر من عشرة اصوات (هي عدا اللفظ الخاص لبعض المقاطع . فكيف بنا اذا اضفنا الاصوات الاخرى في الانكليزية والاسبانية والالمانية والروسية وغيرها ؟ ام ان علينا ان نكتفي بأسماء الاعلام من جميع الجنسيات مكتوبة بلغة اجنبية واحدة ، اي مترجمة ؟ لماذا لا نترجم اذن الى لغتنا مباشرة ؟

يقول ابن جنى مخالفاً رأى ابي العباس ثعلب : « ان جميع هذه الحروف انما وجب اثباتها واعتدادها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط . والهمزة ايضا موجوده في اللفظ « كالهاء » و « القاف » وغيرها ، فسبيلها ان تعدد حرفاً كغيرها . فلما انقلابها في بعض احوالها لعارض يعرض عليها من تخفيف او بدل فلا يخرجها من كونها حرفاً . وانقلابها اول دليل على كونها حرفاً . الا ترى ان « الواو » والياء ، والتاء ، والهاء ، والنون ، وغيرهن قد يقبلن في بعض الاحوال ولا يخرجهن ذلك من ان يعددن حروفاً ؟ » (32) .

لننظر بعد هذا في املائها ولنورد مجموعات الامثلة التالية : جرؤ ، تجرأ ، يجترىء - تأمل ، يؤمل - سأل ، سئل ، مسؤول - أخذ ، اخذ - امر ، امر .

بفضل من التلمل نستنتج ان ما دعا الى كتابة الهمزة على كرسى . في المجموعات الثلاث الاوليات هو تسهيل قراءتها او قراءة احرف غيرها بالضم او الفتح او الكسر . وبعبارة اخرى ان كراسيها الثلاثة هي مجرد حركات مكتوبة في صلب الكلمة . ولو وضعنا الحركات العادية على الاحرف في كل كلمة واستغنيانا عن الكراسى لما تغير اللفظ اطلاقاً . ان الواو تلفظ مخففة كضمة والياء ككسره والالف كفتحة (البست الالف « جزءاً من مدة بعد فتحة ») ولنا دليل آخر هو انه عند ما تكون اصلية في اول الكلمة كما في المجموعتين الاخيرتين تبقى على صورتها برغم تغير حركاتها ، اما عند ما يشبع لفظ ما قبلها من احرف العلة فانها تكتب مستقلة (مجزؤ ، مقرأ ، اسماء ، مسيء ..) ، وفي هذه الحالة الاخيرة لا تكتب على كرسى الا لمجرد التحريك عند الاضافة (اسماءهم ، من مجزؤه) وكل هذه التعميدات لان الهمزة مهضومة الحقوق لا تعامل كحرف كامل ، بينها صوتها ليس اخفت الاصوات في الابجدية العربية ، وهذه تتم بها فعلاً تسعة وعشرين حرفاً كما يقول « اللسان » (33) .

لذلك ارى بالنسبة للهمزة ما يلي :

- معاملتها معاملة الحروف الاخرى .

- وضع الحركة عليها كما توضع على الحروف الاخرى ،

- كتابتها على صورة واحدة ايئماً وقعت من الكلمة .

- اختيار شكل لها قابل للاتصال والانفصال قدر الامكان . والشكل الانسب هو صورتها الموحدة مع

علامات العمليات الحسابية ، مدة الالف ، علامة الاستفهام ، القاطعة ... ثم انه كأحمد الاخضر — وهنا الاهم — لم يوحد شكل الحرف ولم يتخلص من الاحجام وبقيت صورة الكتابة هكذا مثقلة .

ما الحل ان ؟

ثالثا - الطريقة الطبيعية :

تعتبر الاغلبية ان الخط العربى انبثق من الخط النبطى . وان نقش النجارة الذى اكتشفه العالم الفرنسى ديسو والذى يرجع الى سنة 328 ب م ، ونقش حران بحوران وكتابة ام الجمال تظهر العلاقة الحميمة بين الكتابة النبطية والكتابة العربية التى حلت محلها (راجع البيانات 4 و 5 و 6) . كما ان تفحص النقوش الاثرية التى وصلت الينا تدل على ان الكتابة النبطية تأثرت كثيرا بالكتابة الارامية وانها حملت تضاعيف من الكتابات الحميرية والسبائية والسريانية والنسبورية والعبرانية قبل ان تفرز فى النهاية الخط العربى القديم : الكوفى المكى والكوفى الحيرى وغيرها (35) .

والخط الكوفى خط هندسى بربعاته وزواياه وخطوطه المستقيمة الخالية من التنقيط (انظر البياني 7 و 8) . وبحكم التوسع ومتطلبات الادارة والتجارة تخلص على يد « قطبة الحرر » فى العصر الاموى من زواياه الدقيقة (انظر البيان رقم 8 - 2) . وجاء ابن مقلة فى اواخر القرن الثالث الهجرى (اوائل القرن العاشر الميلادى) فأكمل ما بداه قطبة وطور الكوفى الى النسخى الدور غير المزوى ووضع مبادئ الخط : اعتماد الهندسة فى رسم الحروف (استعمال الدوائر كإطار) وتحديد التناسب بينها (ولا سيما جعل الالف وحدة للخط) .

اما ضبط الكتابة وبالتالى اللغة فقد بدا منذ بدء اللحن بدخول شعوب غير عربية فى الاسلام . ومعروف ان ابا الاسود الدؤلى هو الذى وضع اصول النحو عن على ابن ابي طالب بدعم من زياد بن سمية امير البصرة ليعرف به العرب كلامهم — على حد تعبير ابي الاسود — وللحفاظ على القرآن بطبيعة الحال . وابو الاسود هو اول من وضع الحركات على الاحرف بشكل نقط : النقطة فوق الحرف فتحة ، وتحت كسرة وفوقه مع تأخرها عنه قليلا ضمة (انظر البياني رقم 8 - 1 و 9 - 1) . وصارت بعد ذلك على التوالى : نقطة مدورة ونقطة نصف مدورة ونقطة كالمعين (الشكل الهندسى) . واعتقادى انه لم يكن يتيسر لابي الاسود وضع حركاته بتلك الاشكال لو كانت الحروف معجبة ، وان هذه الصعوبة نفسها هى التى دفعت الخليل بن احمد واضع النقط على الحروف

د — ان استعمال الحرف اللاتينى امر ليس سهلا من ناحية نفسية حظرية ، ذلك ان اللغة الام — اى لغة ام — هى بمعطياتها الاساسية فيض من ذات الامة وجزء من شخصيتها ، وليست كاللغة الاجنبية بالنسبة لها : مجرد اداة للتخاطب ونقل الافكار والثقافة . اللغة الام هى الجلد من الجسد وليست الثوب منه .

هـ — بقى سؤال هام : ما هو محير تراث ضخيم يمتد على مدى الف عام مكتوب بالحرف العربى ؟ هل انه كله غير ذى قيمة وينبغى اهماله ؟ ام ان علينا ان نختار الجيد الصالح منه ونعيد طباعته بالحرف اللاتينى ، وفى هذه الحال نسال : باى معيار وبأى ذوق نفعل ما نفعل ، مع العلم بان للاجيال القادمة حقها هى ايضا فى الاختيار والانتقاء وقد ترى غير رايانا كما قد تجد فى التراث ينابيع لقيمتها الخاصة بها وموارد ؟

يتوجب ان طباعة التراث كله بالحرف اللاتينى ، وهذا عمليا مستحيل وخيالى النفقات .

2 — ان استعمال الاحرف المنفصلة كليا ، لاتينية كانت ام عربية ، لا يتماشى مع وجه الكتابة العربية وروحها . ولو افترضنا افتراضا ان الاخذ به ممكن لاعترضتنا صعوبات كثيرة ابرزها البطء فى الكتابة وامكان اختلاط حروف الكلمات وصعوبة التشكيل ..

3 — ان اقتراح احمد الاخضر اختصار اشكال الحروف ووضع الحركة مباشرة بعد الحرف اقتراح عملى ملائم . ولا يغير الكلمة العربية ان تطول قليلا بالحركات لان الكتابة الحالية ليست « مختزلة من تلقاء نفسها » كما يقول محمود تيمور ، واختزاليتها ليست من المثالية بالقدر الذى يصوره خطاط ليسان كامل البابا (34) ، لان هذه الاختزالية قائمة على حساب القراءة واللفظ الصحيح . وان مد الكلمة بالحركة عود بها الى حجمها الطبيعى المناسب للفظها

ولكن عيبى هذا الاقتراح الاساسيين انه لم يتخلص من الاعجام ولم يوحد شكل الحرف .

وإدى كامل مروءة خدمة جليلة للطباعة العربية باختصاره اشكال الحروف الحالية ، الا انه لم يمكن الى الغاية فيوجد اشكال الحرف ويلغى التنقيط ويثبت الحركات . وعذره فى ذلك ان حاجته كان اقتصاديا فقط .

واما البشير بن سلامة فبوصوله فقط الى 58 شكلا للحروف الابجدية اضطر الى اهمال عدد من العلامات كى يبقى فى نطاق استيعاب المطبعة الحديثة:

الاوروبية الا في حال الكتابة بالحرف المنفصل
« السكربت ») .

6 - وجوب تشكيل الكلمة في حالي الكتابة
والطباعة بالحركات الثلاث المعروفة ، بالإضافة الى
الجزمة منعاً للتحريف (اذ ان تركها للدلالة على
السكون كما يرى سيويه لا يكفى في كثير من
المواطن) ، على ان توضع الحركات مباشرة بعد
الحرف في الطباعة وموقعا او تحتها عند الكتابة باليد.

1 - ان من خصائص العربية ان عددا من
صوتياتها حروف صغيرة تسمى حركات وتكتب فوق
الحروف الاخرى او تحتها . وليس ثمة فرق بين ان
تكتب الصوتيات في صلب الكلمة امتدادا افقيا او ان
تكون ملازمة لها بشكل آخر في صلب حيزها المكاني .

وكمثل تطبق على الطريقة اقدم فاتحة القرآن اذ
فيها ايضا جواب على اكثر من سؤال (البيان 11) .

— فوائد الطريقة :

يمكن ترتيب الفوائد العديدة لهذه الطريقة الطبيعية
كما يلي :

أ - في القراءة :

— سهولة تعليم القراءة للصغار والكبار بوجود
الحروف .

— سهولة تعلم القراءة للصغار والكبار بوجود
حرف موحد الشكل .

— تشجيع الاقبال على قراءة الكتاب العربي .

ب - في الكتابة :

— بوجه عام ، رفع المستوى العام في اللفة
العربية بحكم التشكيل عند الكتابة والنطق الصحيح
عند القراءة .

— بوجه خاص — تحل مشكلة كتابة الهزء من
الاساس باعتبارنا اياها حرفا عاديا وبوضع الحركة
عليها كغيرها .

— تصبح الكتابة صورة طبق الاصل عن الطباعة
والعكس بالعكس .

— لا يبطء ولا ثقل في رسم الكلمات بطول الحركات
الثابتة محل النقط من حيث الوقت والحيز .

للتمييز بين اشكالها الى تطوير اشكال الحركات كي
لا تختلط بنقط الحروف فصارت الحركات كما نعرفها
الآن (راجع البيان رقم 9 — 2) .

هذه العودة الى الينابيع ، مضافة الى كل ما تقدم
مكتنى من استخراج اشكال للحروف العربية تذل
الصعوبات التي تشكو منها القراءة والطباعة ،
وتصلح لان تسمى « الطريقة الطبيعية » : طبيعية
لأنها تعود الى الينابيع كما قلت ، وطبيعية لأنها تبسط
شكل الحروف وتخلصها من الزوائد والمثقلات ،
وطبيعية لأنها تعامل الحرف كحرف ، وطبيعية اخرا
لان القراءة بها تصبح سهلة تامة والطباعة سريعة
واضحة والتماثل بين الحرف المخطوط والحرف
الطباعي ادق واكمل . والمبادئ التي تقوم عليها هي :

1 - المحافظة على الصلة الوثيقة بالتراث
واستخراج صور الحروف الجديدة من صورها الحالية
دون التقيد بنوع واحد من أنواع الخطوط المعروفة
(النسخي ، الثلث ، الفارسي ، الرقعة ، الديواني ،
الكوفي ...) ، والصور المعتدلة هي اجمالا الصورة
الاساسية الوسطى للحروف القابلة قدر الامكان
للانصال والانفصال عن اليمين وعن الشمال
(البيان قسم 10) . هذا مع اماكن قسمة احرف
الكلمة الواحدة بين آخر السطر والسطر الذي يليه
والاشارة الى ذلك بواسطة واصلة (Trait-d'union)
مثلما تدعو الحاجة احيانا في اللغات الاوروبية ومثلما
كان الشأن بالنسبة للقرآن نفسه عند كتابته بالحرف
الكوفي (راجع البيانات 7 و 8 — 1 و 9 — 1) .

2 - وجود شكل واحد للحرف الواحد اينما وقع
من الكلمة : ولم يخرج على هذا المبدأ الا حرفان
ولا اعتبارات لغوية او بيانية : التاء بشكليين قصيرة
وطويلة (للدلالة على المؤنث او على الضمير او على
الجمع ...) والهزء بثلاثة اشكال : عادية وعند ما
تكون همزة وصل وعند ادغامها في الالف (مثل آدم) .

3 - الغاء التنقيط من الصور الجديدة جميعها
(كما كان في الماضي : انظر البيانات رقم 6 و 7 و 8 و
9 و 1) . ولا يتناقض هذا مع المبدأ الاول لاننا ابقينا
على العلاقة بين الاحرف المتشابهة ولكن بشكل آخر:
بشكل سن اجمالا في صلب الحرف بدلا من النقطة
التي تميزه عن شبيهه (36) .

4 - المحافظة قدر الامكان على الاحجام المعتادة
للحروف ومراعاة حركة اليد عند كتابة الكلمة
الواحدة بحيث نخصر الوقت الى ادنى حد ممكن .

5 - التوافق بين صور الحروف والكلمات في حالي
الكتابة والطباعة (وهذا غير موجود في الابجديات

ج - في الطباعة :

1 - اختصار عيون المطبعة بحيث لا تعود تتجاوز الثمانين عينا كما هو مثبت في البيان رقم 12 :

- اشكال الحروف 32 (بينما عددها لا يقل عن 60 في مطبعة اللينوتيب السبعينية الحديثة جدا) .

- الحركات 22 (ويمكن تخفيفها الى 13 لو وضعت الحركة بعد الشدة مباشرة لا عليها ولكن صورة الكلمة تصبح مشوشة) .

- علامات الوقف 12

- الارقام وعلامات الحساب 14

فيكون المجموع 80 عينا في صندوق الطباعة بالنسبة لجميع النصوص .

2 - اختصار الوقت في عملية الطبع وسهولة اقتناء اليد العاملة وانخفاض تكاليف الطباعة .

3 - التمكن من طباعة نص مشكول بالرافقة فيتم التطابق بينها وبين المطبعة .

- الصعوبات :

انا موثق بأن دون الاخذ بهذا المشروع مصاعب عدة منها الفنى ومنها النفسى ومنها السياسى ومنها المادى :

أ - **الصعوبات الفنية :** معظمها طباعى واهمها ضروره وجود مصصح مثقف في المطابع ثم ضرورة سبك الحروف بشكل لا تختلط فيه عند الطباعة ويمكن من وضع الحركات او الشدة دون الاخلال بجمال الخط ، ثم ضبط المسافة بين السطر والسطر . وكل هذا من شأن الخطاط والفنى وسهل تنفيذه ولا يشكل صعوبات جوهريه .

ب - **العادة القديمة :** والمادة طبيعة ثانية - فالصور الحالية تاصلت فينا واتخذت مسحة من التقديس لا لجرد كتابة القرآن بها (اذ انه كتب اول ما انزل بالخط الكوفى) بل « لشدة اللفة بها وطول العهد معها » على حد تعبير محمود تيمور . وغذى هذا الشعور تحول الخط العربى عن وظيفته الموضوعية الى مادة فنية وطاقه جمالية (تعويضا عن فن التصوير والنحت في البلاد الاسلامية) .

ولكن العادة ، كما هو ثابت في علم النفس ، يمكن تعويضها بعادة جديدة . والواقع ان الاخذ بصور

الحروف المقترحة (او باى صور اخرى تقوم على نفس المبادئ وتكون اكثر ملائمة) لن يكون عادة جديدة بكل معناها بل مجرد تحويل بسيط للمادة القديمة لان معظم الصور باقية كما هى والباقى شديد الشبه او وثيق العلاقة بسلفه . وستحدث لا محالة اخطاء في البداية ، ولكنها ستقل بالتدريج تبعا للتعود وجهود النقاد ، وسيكون شأن القارىء او الكاتب في ذلك « شأن الشاعر المطبوع حين ينظم منا ينظم صحيحا لا خلل فيه طوعا لما اذن من قراءة الشعر ولو لم يعرف من علم العروض شيئا » (37) .

ج - السياسة التربوية : وهى ذات شقين :

- الاول . تبنى المشروع من قبل السلطات التى بيدها مقاليد التربية والتعليم في كل بلد عربى ، وفرضه في جميع المدارس الرسمية والحره . واذا لم يحظ بسلطة تنفيذية تتبناه يبق حبرا على ورق ويلقى على احسن تقدير مصر الكثير من توصيات اللجان والمؤتمرات والجامع اللغوية .

والآخر اعطاء اللغة العربية حتها الكامل كلفة ام في البرامج التربوية ولا سيما في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، مرحلتى التأسيس ، كما تفعل جميع البلدان المتقدمة - كفرنسا وانكلترا مثلا - بالنسبة للغاتها ، هذا مع التاكيد على ضرورة اتقان لغة اجنبية حية لا يمكن الاستغناء عنها لكل مثقف ثقافة حقيقية.

ان الانتقاس من حق اللغة الوطنية في التعليم هو السبب الاساسى في تدنى مستوى الطلاب (والمعلمين الذين كانوا من قبل طلابا) في اللغة العربية . وبدلا من الجهر بالعلّة الحقيقية وتلافيها يرددها البعض جهلا او تجاهلا الى صعوبة اللغة بحد ذاتها ، كأن اللغات الصعبة الاخرى لا يتعلمها اهلها لهذه العلة ، والا فمما معنى ان تكون المدارس في الماضى - ومنها مدرسة الحكمة في بيروت مثلا - قد خرجت طلابا واباستاذة اسلمت اللغة لهم قيادها وملكوا ناصيتها؟

د - قد يلقى المشروع تحفظا لدى غريسق من **الخطاطين العرب** ممن يتعلقون بالجمالية الحالية للخط او ممن يتكسبون منه . ولكنى اعتقد بأنه سيجد لدى الخطاط الفنان كل ترحيب لانه سيتيح له الفرصة لرسم صورا وتراكيب جديدة - وربما خطوطا جديدة ، على ما فعل ارباب هذا الفن مثل ابن مقلة وابن البواب وياقوت والحافظ عثمان - فيوفر له متعة الخلق والابتكار ، ولا سيما ان الصور الجديدة مستمدة من صور الخطوط المعروفة المألوفة على تنوعها ، وانها ما زالت سهلة المد قابلة للانشاء والاستطالة . فالخط بها ما زال منسوبها وما زال على معيار الجودة عند الصولى في « اعتدال اجسامه واستطالة الفه

ولامه واستقامة سطوره وعدم اشتباه رائه ونونه وتناسق دقيقه وجليله . والفه ما زالت على اعجاب كامل البابا بها عند مصطفى راقم « كالتقاة الفرعاء » . واذا لم تعد العين عندنا كحاجب الحسناء والنسوان ككدي الناهد فان الهزة عندنا كصولجان الملوك ونوننا الرتمية جناحا طائر والعين كقلب العميد .

* *

١٠. ويعد ، أمل ان ينال هذا المشروع الاهتمام الذي يستحقه من قبل ذوي الشأن الغيورين على اللغة العربية لانني اعتقد بان التطور هو في هذا الاتجاه ، اتجاه التبسيط لا محالة . و لا حاجة بي لتكرار ما نوهت به اكثر من مرة من ان محاولتي هذه لا تدعى الكمال بل هي قابلة للتهذيب والتحسين . وحسبي انني لم اكتب بموقف المتفجع على حال اللغة ، بل قمت بخطوة عملية ايجابية في سبيل النهوض بها ، فاذا اصبحت فلي اجران ، وان لم اصب فلي اجر واحد على الاقل !

جودة نور الدين

اهم مراجع البحث

1 - محمود تيمور - ضبط الكتابة العربية ص 7 - الطبعة الاولى - مطبعة الاستقامة القاهرة 1951 .

2 - مجمع اللغة العربية (عبد العزيز فهمي) محاضر جلسات الدورة العاشرة - ص 285 - القاهرة 970 .

3 - جريدة « النهار » البيروتية بتاريخ 28 - 11 - 1971 .

4 - البشير بن سلامة - اللغة العربية مشاكل الكتابة - الطبعة الاولى - الدار التونسية للنشر تونس - 1971 .

5 - المصدر السابق - ص 107 .

6 - مجمع اللغة العربية - محاضر جلسات الدورة العاشرة ص 266 - 274 (مذكرة احمد امين بـ « اقتراح ببعض الاصلاح في متن اللغة ») .

7 - يوسف السودا - الاحرفية - دار الريحاني للطباعة والنشر - بيروت 1970 .

8 - مجمع اللغة العربية - محاضر الجلسات 7 و 8 و 9 - ص 50 و 53 - 54 - القاهرة 1970 .

9 - راجع التفاصيل والمناقشات في محاضر جلسات الدورة العاشرة من 18 / 10 / 43 الى 29 / 5 / 44 .

10 - جريدة « النهار » تاريخ 27 / 6 / 1972 .
11 - شعيب احمد الدري - قضية الحرف العربي ملحق جريدة « النهار » بتاريخ 28 - 11 - 71 .

12 - مجلة التجارة - الابجدية الموحدة - عدد شباط - آذار 1968 - بيروت .

13 - جريدة « النهار » بتاريخ 27 - 2 - 1972 .

14 - المصدر السابق ..

15 - ضبط الكتابة العربية ... ص 35 و 36

16 - لسان العرب - ابن منظور - دار صادر دار بيروت - بيروت 1955 .

17 - مجلة اللسان العربي - المجلد التاسع - الجزء الاول ص 219 - 221 يناير (كانون الثاني) 1972 - المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

18 - اللغة العربية ومشاكل الكتابة ... ص 83 - 84 .

19 - المصدر السابق ص 86 .

20 - قضية الحرف العربي - المصدر 11 .

21 - المصدر 6 - ص 320 - 321 .

22 - المصدر 8 - ص 55 .

23 - منير القاضي - تسهيل الخط العربي - ص 6 - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد 1958 .

24 - المصدر 2 - ص 341 .

25 - المصدر السابق - ص 330

26 - الشيخ احمد رضا العاملي - مولد اللغة - ص 48 - دار مكتبة الحياة - بيروت 1956

جدول بالبيانات

الرقم :

1 - أبجدية عبد العزيز فهمي - مجمع اللغة العربية
الدورة 10 - ص 313

2 - علامات على الجازم - مجمع اللغة العربية -
الدورة - ص 323

3 - حروف البشير بن سلامة - اللغة العربية
ومشاكل الكتابة - ص 84

4 - (1) كتاب النهي محمد الى المخضر السماوي امير
البحرين (متحف الآثار العراقية رقم 100 -
115 ص 14) .
(2) جدول مقارنة بين الكتابة النبطية والكتابة
العربية القديمة - فن الخط العربي .

5 - (1) نقش النمار « 328 ب . م . » - فن
الخط ص 16
(2) نقش حران بحوران - فن الخط ص 16

6 - (1) كتابة الجبال - القرن السادس ق . م -
فن الخط ص 17
(2) كتابة منقوشة في المدينة على ايام الخلفاء
الراشدين - فن الخط ص 17
(3) خط كوفي منقوش على ضريح ثابت بن يزيد
- السنة 64 للهجرة - فن الخط ص 17

7 - صفحة من قرآن حروفه غير منقوشة (متحف
الفن الاسلامي - القاهرة) - فن الخط ص 21

8 - (1) صفحة من قرآن منسوب الى الخليفة عثمان
- فن الخط - ص 19
(2) كتاب منسوب الى اعكرمة (سنة 143
هجريه) - فن الخط - ص 19

9 - (1) الضبط في النقط صفحة من قرآن يرجع الى
القرن الثالث الهجري - فن الخط - ص 22
(2) حروف منقطة ومشكلة (مخطوطة عربية من
معهد المخطوطات في ميلان بايطاليا رقم 56 x
ص 22

10 - كيفية استخراج صور الحروف الجديدة

11 - نموذج من الكتابة بالطريقة الجديدة - فاتحة
القرآن .

12 - صندوق الطباعة الجديدة .

27 - لسان العرب - الجزء الاول ص 17 - دار
صادر ودار بيروت - بيروت 1955 .

28 - الشيخ احمد رضا العاملي - معجم متن اللغة
المجلد الاول - ص 131 - دار مكتبة
الحياة بيروت 1958 .

29 - المصدر 26 - ص 18

30 - المصدر السابق ص 18 - 19

31 - المصدر السابق ص 22

32 - دار المعارف للبتاني - المجلد الاول - ص
17 - الطبعة الاولى - بيروت 1956

33 - اما اللام الف فليست حرفا مستقلا وانما هي
اجتماع حرفين : اللام والالف كما يدل عليها
اسمها . « وانما ارادوا بها الالف اللينة
الهوائية ففقدوها باللام دون غيرها ليمكن
النطق بها . ولعله روعي في هذا التخصيص
اقترانها به في اداة التعريف « ال » فجرت هنا
كذلك « (معجم متن اللغة - 12 - ص 131) .

34 - مجلة « الحساء » البيروتية - العدد 536
- تاريخ 3 - 12 - 1971 .

Mohammad Aziza - La calligraphie arabe - STD
(35) - Tunis - 1971
مع الملاحظة ان الوثائق التاريخية المصورة
مأخوذة عنه .

وراجع ايضا في نفس المعنى مصور الخط
العربي - ناجي زين الدين - مطبعة المجمع
العلمي العراقي - بغداد 1970 .

36 - نشر على سبيل التفكهة الى ما ذكره «اللسان»
في باب «القاب الحروف وطبائعها وخواصها» عن
الشيخ ابي العباس احمد البوني - رحمه
الله - من ان ما كان من الحروف مهملًا غير
منقوط فهو أشبه بمنازل السعود ، وما كان
معجمًا منقوطًا فهو في منازل النحوس يندرج
فيها تبعًا لعدد النقط فيه . ان كان الأمر
كذلك فان حروفنا الخالية كليًا من التنقيط هي
في سعد السعود !

37 - ضبط الكتابة العربية - ص 28 .

البيان 10 : كيفية استخراج الصور الجديدة

- الالف : لم تتغير . 1 ←
- الهزة : — ادمغت صورتها العادية في الالف . 1 ← 1 ←
- ابقى صورتها الممدودة كما هي . 2 ←
- همزة الوصل جعلت صاعدا في رأسها . 1 ←
- الباء : على صورتها في أول الكلمة مع الغاء النقطة . 1 ←
- التاء : — التاء المربوطة في آخر الكلمة بصورة كوفية مع الغاء النقطتين . 1 ← 1 ←
- والتاء الطويلة هي القصيرة مطولة ومعرقة .
- الثاء : هي الصورة الوسطية العادية مكبرة سنها لتماثل نقطها السابقة بالرقمى او السديوانى . 1 ← 1 ←
- الجيم : جعلت نقطتها سنا في وسط قاعدتها . 1 ← 1 ←
- الحاء : هي مع تطويل قاعدتها ليكن وصلها في الطباعة (كالجيم) . 1 ←
- الخاء : جعلت نقطتها في وسط جزئها الاعلى . 1 ← 1 ←
- الدال : هي مع وجوب ابقائها زاوية جاده كى لا تختلط بالباء اذا قصرت . 1 ←
- الذال : جعلت نقطتها سنا في ذيلها لا في رأسها كى يسهل رسمها في الكتابة باليد . 1 ← 1 ←
- الراء : لم تتغير . 1 ←
- الزاي : جعلت نقطتها سنا في ذيلها . 1 ← 1 ←
- السين : لم تتغير . 1 ←
- الشين : صورة الشين الكوفية القديمة . 1 ← 1 ←
- الصاد : حذفت سنها الزائدة . 1 ←
- الضاد : حذفت سنها الزائدة وجعلت في قاعدتها بدلا من نقطتها . 1 ← 1 ←
- الطاء : لم تتغير . 1 ←
- الظاء : جعلت نقطتها سنا في قاعدتها فقط . 1 ← 1 ←
- العين : الصورة الوسطية للعين النسخية العادية . 1 ←
- الغين : الصورة الوسطية للغين النسخية العادية مع جعل نقطتها سنا في وسطها . 1 ← 1 ←
- المطوى . 1 ← 1 ←

الفاء : حذفت نقطتها فقط .

ف ←

القاف : جعلت نقطتها سنا من جهة اليمين .

ق ← ف ←

الكاف : الصورة النسخية العادية مع تطويل قاعدتها قليلا ليتمكن وصلها بدون رابط .

ك ←

اللام : لم تتغير .

ل ←

الميم : لم تتغير وإنما يقتصر على ربطها من اسفل كي لا تختلط بصور بعض الاحرف عند الأخرى عند سرعة الكتابة باليد .

م ←

النون : لم تتغير وإنما يستعمل لها الشكل الرقعى .

ن ←

الهاء : لم تتغير وإنما تبدىء برابط ليسهل وصلها من اليمين .

ه ←

الواو : هى هى .

و ←

الياء : يمال شكلها الحالى وتخفف تعريقها ليسهل وصلها من الجهتين .

ي ← ي ←

ملاحظة : لا لزوم للام الالف ما دام الالف واللام موجودين ولا لصورة الهاء فى ضمير المذكر الفائب ما دامت الهاء العادية تفى بالمطلوب دون اخلال لقواعد اللفظة .



بيان أهم الفوائد الصحية من سيرة الألف ليلة وليلة، التي تلزم من العناية مع أسرارها

87

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript or document.

۱۰۸
 سید ابو الکلام علی محمد
 د/الموجود

3
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُ وَكَبِيرٌ كَسْبًا وَوَلَا
 لِحَمْدِ اللَّهِ كَسْبًا وَسُبْحًا
 لِلَّهِ تَكْرَهُ وَاصْلًا وَلِلَّهِ
 طَوْلًا وَاللَّهُمَّ رَبَّ
 جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَسُورَةَ
 قِيلَ أَعْمَرَ لِسَبِّكَ يَدِيدُ
 الْأَسْلَافِ مَا نَعْدَاكَ مِنْ
 كَسْبٍ وَمَا نَحْدُو لَمْ نَقَالِ
 أَمَّا أَمْرُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

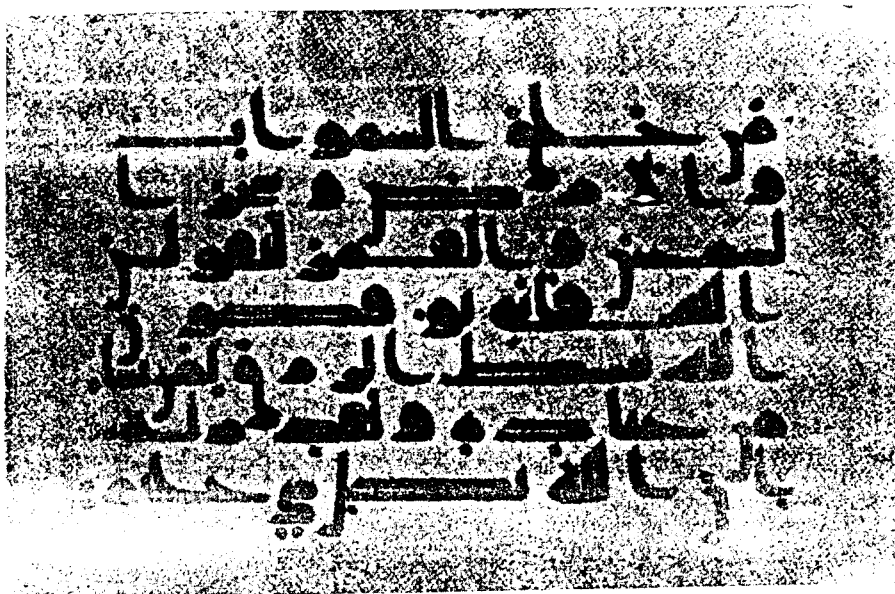
[illegible]

و حسب هذا الحسب
سوال مرسته اربع و
ست

و نو مر آرا
عبد آرا
کر

[illegible]

سلا مرا هل يوسف و اوحمر
 ارسل الله و السلام عليك
 و رحمته الله و رب عكرمه
 من باب دوان اسفل الارض
 و هو الاسر لا يسخره لله
 سب من حرا لجهنم
 و اسرو ما به



البيان رقم (9)

هَذَا مَا بَيْنَنَا عَلَى أَعْمَلٍ
 مَا لَا نَأْتِي مَا بَيْنَنَا عَلَى أَعْمَلٍ وَبِكَوْنِ الْعَمَلِ عَلَى فِعْلٍ يَفْعَلُ وَالْمَعْدُ
 كَمَنْ عَلَى نَفْسِهِ وَبِطَائِنِ الْعَمَلِ عَلَى فِعْلٍ يَفْعَلُ وَهَذَا لَهُ قَوْلُهُ
 وَبِطَائِنِ الْعَمَلِ وَبِطَائِنِ الْعَمَلِ مِنْهُ وَأَمَّا مَا بَيْنَنَا وَبِطَائِنِ الْعَمَلِ
 لَيْسَ بِمَنْصُوبٍ وَفِيهِ يَفْعَلُ فَهِيَ وَهَذَا يَكْفِي كَهْمُ
 وَقَالَ كَهْمُ يَكْفِي وَشَهْدُ لَيْسَ بِمَنْصُوبٍ وَقَالَ وَاحِدٌ بَصَدَّ
 صَدَّ وَقَالَ أَنَا صَدَّ كَمَا قَالَ الْعَبْرُ وَالْأَعْمَرُ الْعَبْرُ

[[بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ *

إِنَّمَا تَعْبُدُ وَإِنَّمَا تَسْتَعِينُ * أَهْدِهَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ خَيْرٌ مِنَ الْغَضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ * [[صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَصَدَقَ رَسُولُهُ الْكَرِيمُ]]

- كُتِبَ فِي تَمْرٍ وَفِي سَنَةِ ١٩٧٢ -

البيان رقم (11)

وَأَمَّا حِينَئِذٍ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

البيان رقم (7)

الوجبة

۲۷

الحركات

55

عبدالله الوقف

15

عمدة الحساب

13

^

البيان رقم (12)

نقد للصُّور المقترحة في إصلاح الكتابة العربيّة

للأستاذ مهدي الظالمی
العراق

حينما فتحنا الباب امام الكتاب لبحث موضوع الحرف العربي تجنبنا الخوض في المعركة وتركنا رجاها تدور فيما بين الهاجسين على الحرف العربي والمدافعين عنه وكنا واثقين سلفا بانها معركة لها دوافع طيب وبعضها شعوبى خبيث ، والمحا الى مقدار الجمالية في حرفنا هذا عند التعليق البسيط على بعض المقالات التى نشرناها وننشرها باستمرار ولعلنا نبدي رأينا الكامل قبيل اغلاق الباب ، لكن لا بد هنا من بيان ما يلى تنويرا للاذهان .

1 - في اكثر لغات العالم نوعان من الحروف احدهما للكتابة باليد والثانى للطباعة ، اما الحرف العربي فهو واحد في كليهما وفي ذلك ميزة ذات قيمة لا يمكن نكرانها ولكن فيه كذلك بعض ما يتعب رصا في الحروف في المطبعة لكثرة تداول الحرف ما بين اول ووسط وآخر ، ويهدر من وقتهم كثيرا .

2 - واليوم وقد حلت هذه المشكلة بوجود المونوتيب الالكترونى فقد اصبح صف الحرف العربى اكثر اختصارا للزمن من رصفه حرفا حرفا كما كان من قبل .

3 - كما ظهرت محاولات ناجحة لاختصار الترابط بين الحروف المطبعية الى ادنى حد مما سهل مهمة الطباعة ، اما الخط اليدوى فقد بقى على صورته وجماليته .

4 - ونحن من رأى صاحب المقال الاستاذ مهدي الظالمى بأن هذه المحاولات قد فاتها الزمن ، ولكن ما حيلتنا والكتاب والمصلحون ومحاولو الاصلاح والمتهمون كلهم ما زانوا يعيدون ويكررون البحث في هذا الموضوع ؟ افلا نترك للأراء المختلفة حريتها وننتظر نتيجة المعركة ؟ ونحن على شبه اليقين بأن الحق والجمال والصورة الحلوة والتاريخ والمستقبل كلها مع حرفنا المتناسق بكل حلاوته المستساغ بكل لطفه الخالد بالرغم من المعارك الدائرة حوله .

مدح حتى

نشرت « اللسان العربى » فى الجزء الاول من المجلد التاسع صورتين مقترحتين لاصلاح الحرف العربى للاستاذين مصطفى النعمان ، ويحيى بلعباس (ص 219 ، ص 221) ..

واود ان اشير - قبل مناقشة الاقتراحين - الى ان الفكرة بمجموعها قد جازها الزمن ولم يعد لها من الاهمية ما كان لها قبل عقدين من السنين . وفكرة اصلاح الحرف العربى بوضع حروف بديلة منه تقع ضمن دائرة الاتهام للحرف العربى بالقصور عن تادية المعانى الجديدة التى طرحتها الحضارة المعاصرة ، وهى حلقة فى سلسلة طويلة بدأت بالشكوى من صعوبة اللغة العربية ، وتهويل لهذه الصعوبة حتى صور بعضهم تعلمها ضربا من المستحيل (1) ، ثم بمقترحات طرحتها الاوساط الاستعمارية والمشبوهة (2) ، والساثرون فى الركاب (3) ، وبلغت ذروتها حينما تسلمت الى اروقة بعض المجمع اللغوى فى البلاد العربية (4) . وطرحتها على صفحات « اللسان العربى » من جديد ينبىء بانها لم تنته بعد .

اما سحنة الحرف العربى ، والمستشرقون المنصفون (5) فلم يقنوا من هذه الدعوات موقف الرفض السلبي ، بل تدارسوا كل دعوة بوعى وتفهم واتخذوا بحقها ما يجب من المواقف التى وحدها الايمان بقدرة الحرف العربى على احتواء الفكر الانسانى المعاصر ، وصلاحيته للتعبير عنه ، كما صلح بالامس لاحتواء الفكر اليونانى والرومانى والهندي والفارسى . وكان لمجمع اللغة العربية فى القاهرة دور بارز فى هذه الدراسات ، فقبل كل دعوة واقتراح للاصلاح المزعوم ، ودرسها فى ضوء الواقع اللغوى الذى تعيشه الامة ، والنتائج المترتبة على تطبيق كل اقتراح (6) .

ودعوة الاستاذين النعمان وبلعباس تقس ضمن عشرات الدعوات من امثالها والتى باعت جميعها بالفشل ، وتحجرت على صفحات الكتب والمجلات التى نشرت ، ولم يعد لها على صفحات الواقع اللغوى وجود (7) . وفى مجال مناقشتنا للاقتراحين لا نجد بدا من اعادة الاعتراضات التى رد بها المدافعون عن صلاحية الحرف العربى على تلك الصور المقترحة بديلا للحرف العربى ، ولا بد لنا ايضا من الوقوف عند نتائج دراسات اللجنة التى افها مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والتى استمرت دراستها لهذه الحروف البديلة ما يزيد

على العشرين عاما ، اى منذ ان الف المجمع عام 1938 لجنة « تعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار من ذلك لتسهيل القراءة العربية الصحيحة على ان لا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة العربية عن اصول اوضاعها العامة » (8) حتى انتهاء اللجنة الفرعية الى استبعاد كل « المقترحات التى ابتكرت حروفا او علامات شكل متصلة او منفصلة للاسباب الآتية :

1 - انها تخرج حروف الكتابة عن طبيعتها واصولها واوضاعها المتعارف عليها .

2 - انها تباعد بيننا وبين تراثنا المكتوب بالحروف العربية المألوفة .

3 - تقضى على فن الخط العربى الموروث .

4 - ان فيها من التعقيد والتشكك ما يحول بيننا وبين غرض التيسير والاختصار » (9) .

ويلاحظ ان الاسباب المتقدمة التى دفعت بها اللجنة مثل هذه المقترحات تصلح تماما لدفع الاقتراحين الجديدين اللذين طرحتها « اللسان العربى » ، وربما كان فيها من التشويه والتشكك اكثر مما فى بعض تلك المقترحات المرفوضة ، فكلية « كتب » مثلا على مقترح الاستاذ مصطفى النعمان تكون صورتها كالاتى : وعلى مقترح الاستاذ بلعباس ولا اظن احدا ينكر ما فى الصورتين من تحريف وتشويه لجمال حرفنا الاصيل .

ونستطيع ان نضيف الى ما فكرته اللجنة من اسباب مقنعة لاستبعاد هذه المقترحات اسبابا اخرى منها :

5 - ان المقترحين ينادان الكتابة العربية انسيابيتها بما يضمن لنظام النقط من تعقيد ، وما يفترضان بها من اتصال ، وما يتطلبان من كثرة الخطوط المختلفة الاتجاهات ، وما يستتبع ذلك من جهد يضاع ، يلاحظ هذا فى رسم حروف كلمة « كتب » المتقدمة .

6 - ان الحروف المقترحة تفتقد اهم خصيصة من خصائص الحروف العربية « حيث ان الحروف العربية تعين على الاختزال عند الحاجة اليه بسبب السرعة والاقتصاد » ، وللسرعة والاقتصاد قيمتهما فى هذا الزمن » (10) .

7 - « ان الحروف العربية قد استعملت لا في لغتنا فقط بل ان امما كثيرة ، اسلامية وغير اسلامية استعملتها ايضا » (11) .

فاستبدال هذه الحروف الشوواء بها لا تفقدنا صلتنا بترائنا فحسب بل تفقدنا صلتنا بهذه الامم وصلتها بنا ايضا .

8 - ان الحروف العربية « لطول عهدنا بها قد اصبحت جزءا من اللغة لا ينفك عنها ، فناها والفتها افواقنا ، وتكونت من هذه الالفه عادات ذهنية من الصعب علينا ان نعبدل عنها الى غيرها لغير حاجة قاضية لهذا العدول » (12) .

اما ما يتعلق من الاقتراحين بشأن الحركات فلم يكن جديدا في المحاولات التي زعمت اصلاح الحرف العربي فهو نفس الاقتراح الذائع الصيت الذي طرحه احمد لطفي السيد عام 1899 بضرورة الدلالة بحروف المد الثلاثة على الحركات (13) ، والاختلاف الوحيد هو في صورة هذه الحروف ، فهي عنده نفس الحروف العربية المألوفة وعندها صورها المقترحة ، واقتراح السيد لم تستطع شهرة صاحبه ولا عليه ولا منصبه اخيرا كرئيس لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، لم تستطع كل هذه الاعتبارات ان تقربه من النجاح كما لم يستطع تعديله من قبل الاب انستاس ماري الكرملى (14) - وهو من هو في علو كعبه في الدراسات اللغوية - ان يمنحه شيئا من القوة . وقد وجهت اليه جملة من الاعتراضات ، ترد نفسها اعتراضات على الاقتراحين الجديدين منها :

1 - انه يستدعى تطويلا في الكتابة العربية ، وما يستلزم ذلك من استنزاف للجهد والوقت والمال في الكتابة اليدوية والطباعة ، ويجرد الخط العربي من ميزته الفذة (الاختزال) ، يقول العلامة (نللينو) في معرض رده على الاقتراح الداعي الى استعمال الحروف اللاتينية يقول عن الحرف العربي : « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربي ليس في حاجة الى الاختزال لان طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال » (15) .

2 - في حالة تطبيق مثل هذا الاقتراح سيحصل لبس بين صور حروف المد الاصلية ، وصورها المعوض بها عن الحركات فكلمة « محمد » عنده ينبغي ان تكتب « موخامدون » - وكان من مقترحه فك الاذغام

واثبات التونين - فلا يدري حينئذ هل هذه الواوات والالفات ومثلها الياءات اهي حروف اصلية ام حركات ؟

وهذا ما دفع الاب انستاسي ماري الكرملى ان يقترح شكل الصور الموضوعة للحركات ، ولا يخفى ما في هذا من تكلف وتعسف وتشويه لحرفنا العربي الجليل .

3 - نحن في كتبنا المطبوعة وفي كتابتنا اليدوية نستغنى عن كثير من الحركات ، اما في ضوء المقترحين اللذين يلزمان بوضع صور للحركات تندمج في جسم الكلمة ، فذلك يعني التزام الكاتب وضع الشكل كاملا « وفي هذا بالطبع - علاوة على ما فيه من فرض راي الكاتب على القارئ من حيث الخطا والصواب - تطويل في كتابة الكلمة طباعة وكتابة » (16) .

4 - وبالتالي فهل هناك ضرورة قصوى تفرض علينا ان نخرج من رسنا العربي البسيط الى رسم مركب معقد يساعد في قطع الصلة بين حاضر الامة وتراثها الضخم ؟

ونعود - اخيرا - الى ما ورد في معرض التقديم للمقترحين من القول : ان الجامعة العربية جادة الآن في دراسة امثال هذا الابتكار للاتفاق على حل نهائي ، فهو - ان صح - يعني ان المؤسسات الثقافية للجامعة العربية تشغل نفسها بمواضيع غير ذات جدوى ، لان مؤسسات ثقافية اخرى انتهت من بحث هذه المواضيع وهو يخالف ما عهد بمؤسسات الجامعة الثقافية نى مثل هذا المجال ، وعن امثلة الثقة التي توليها الجامعة لباحث مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ان اللجنة التي افتتها الادارة الثقافية في الجامعة للنظر في تيسير الكتابة العربية عند ما اجتمعت اجتماعها الاول في اواخر مارس عام 1956 رأت ان تنضم الى لجنة التيسير بالمجمع وان توالى اجتماعاتها بدار المجمع للاطلاع على جهوده في موضوع التيسير ، فهل ان هذه المؤسسات عادت الآن لتلقى من حسابها كل الجهود الميؤولة في هذا المجال ، لتبدأ من جديد دراسة لصور حروف مبتكرة ؟

كما ان المكتب الدائم للتعريب الذي قال عن نفسه انه « يأمل ان يكون اتصاله بالجامع اللغوية اكثر عمقا ... كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تناس هيئة منها في موضوع تقوم هى على

خدمته » انه بطرحه لهذه النماذج من الحروف المقترحة الزم نفسه هو الآخر بأن يبدأ من حيث بدأت تلك المؤسسات لا من حيث انتهت ، وهو ما ينبغي ان يكون .

وختاما ، ليس من حق الانسان العربى ان يتساءل عن مبررات طرح مثل هذين المقترحين على صفحات « اللسان العربى » التى تؤلف نقطة ارتكاز فى الدراسات اللغوية ، والتى تضع خدمة اللغة العربية وتيسيرها ، ونشرها بين المتعلمين الهدف الاساسى لها ، وليس فى الاقتراحين تيسير ولا تجديد ، بل تعقيد وتشويه ..

- 1 — قال احد المستشرقين عند ما بدأ يتهم العربية : « اننى اوتر ان اجتاز افريقية كلها ماشيا من الاسكندرية الى الرجا الصالح على ان اشرع ثانية فى تعلم اللغة العربية » حاصر اللغة العربية : سعيد الافغانى ص 176
- 2 — من امثال دعوة « ولهم سبينا » عام 1880 لاصطناع العامية وكتابتها بحروف لاتينية فى كتابه « قواعد العربية العامية فى مصر » . ورددها القاضى الانكليزى « ولور » فى كتابه « لغة التاهرة » عام 1903
- 3 — يلاحظ هذا فى كتاب « ياره — شعر » لسعيد عقل والذى كتب على غلافه : اول كتاب لبنانى يطبع بحروف لاتينية ، نقلا : عن القومية العظمى للدكتور عمر فروخ ص 147 . ويلاحظ كذلك « حروف الهجاء العربية » للدكتور انيس فريجة . وغيرهما .
- 4 — طرح عبد العزيز فهمى رايه باستبدال الحروف اللاتينية بالعربية على مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1943 وشغل اعمال المجمع طيلة ثلاثة اعوام (يلاحظ رايه مفصلا فى كتابه « الكتابة العربية بحروف لاتينية ») .
- 5 — امثال المستشرق الفنلندى « يوحنا اهتين كرسكو » (يلاحظ دفاعه عن الحرف العربى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق 4 — 486 الصادرة عام 1924) نقلا عن حاصر اللغة العربية ص 175) .
- المستشرق « نلليو » الذى دافع عن الحرف العربى ، ورد دعوة القائلين باستبدال الحرف اللاتينى به (يلاحظ ذلك فى « الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر : للدكتور محمد محمد حسين : 2 — 355) .
- 6 — يلاحظ مجل هذه الدواسة فى « مجموعة البحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الخامسة والعشرين ابتداء من ص 77 »
- 7 — اورد الدكتور انيس فريجة نماذج من هذه الصور فى كتابه « حروف الهجاء العربية » .
- 8 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة : 25 ، ص 77 .
- 9 — المصدر السابق : الدورة : 26 ص 239 .
- 10 — تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر : الدكتور نفوسة زكريا سعيد ص 219 .
- 11 — المصدر السابق ص 219 .
- 12 — يلاحظ رأى الكرملى فى « الاتجاهات الوطنية » 2 — 351 .
- 13 — المصدر السابق 2 — 255 .
- 14 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة : 25 ص 79 .
- 15 — المصدر السابق ص 81 .
- 16 — اللسان العربى ج 1 م 9 .

متاعِبُ اللِّغَةِ العَرَبِيَّةِ

في العَصْرِ الرَّاهِنِ

الدكتور عبد الله الصوفي
- صوفيا -

1 - تنتفى الحاجة تماما الى كتابة الحركات .

2 - ويزول الالتباس بالنسبة للناسخ والقارىء والسماع والمتكلم .

3 - ولا يعود هناك حاجة للمهزة والتضعيف والتنوين .

4 - وتحل مشكلة الحروف الطباعية على نحو مرض اذا ما تم اعتماد الاحرف المنفصلة على غرار اللغات الاوروبية ومشاكل كثرة الرموز والحروف والمفاتيح فى الآلة الراقنة .

5 - يسهل تعلم القراءة بساعات لا بايام و .. الخ وفيما يلى ننشر بقية المقال الخاص به لان الآراء المتقدمة قد كثر تداولها وآخرها ما نشرناه فى العدد التاسع واصبحت معروفة لدى القراء .

قال الدكتور الصوفي :

لا شك فى ان اعتماد الحروف المنفصلة فى الطباعة والرقن يجعل القراءة والمطالعة فى متناول سائر المبتدئين ويعجل عملية محو الامية اذ يصبح فى مقدور

تلقينا من الدكتور عبد الله الصوفى مقالا جاء فيه ان لغتنا تواجه مصاعب عدة تقف حجر عثره تحول دون تعلمها . وحصر هذه المتاعب فى ثلاث هى :

ا - وجود لغتين فصحي وعامية .

ب - وجود حركات الفتح والضم والكسر والسكون والتنوين .

ج - عدم ارتباط العربية التاريخية التكوينية باللغات العالمية الواسعة الانتشار فى عالمنا المعاصر وهو عالم يتميز بثورة صناعية تقنية علمية جبارة لم يسبق لها مثيل ..

ورأى لحل المعضل الاول ان يمارس التعليم فى جميع درجاته باللغة الفصحى وان يكرس يوم فى العام للتخاطب بها على نطاق الوطن العربى بأكمله .

ورأى لحل المعضلة الثانية ادماج الحركات فى صلب الكلمة ، وابتكر لها صورا خاصة تجدها فى الصفحة الأخيرة التى ننشرها مصورة فى آخر هذا المقال ثم قال :

كل امي مطالعة الصحيفة العادية بعد تعلم شكل الحروف الطباعية فقط اى الحروف الكاملة ، بل وسيصبح في مقدور المواطن العاقل الامي تعلم القراءة لا في ايام وانما خلال ساعات قلائل فكل ما يحتاج اليه هو تعلم شكل الحروف الهجائية المستقلة ، اما الكتابة المتصلة فلسوف تظل مقصورة على النسخ باليد كما هو شأن غالبية لغات العالم . ولن يدوم طويلا الارتباك او الاستغراب جراء اعتماد الحروف المنفصلة في الطباعة والرقن ، فحالة الارتباك ستكون وقتية وعارضة لن تتاثر الاجيال القادمة بها وسيزول استغراب جيلنا الحالي لها بعد حين كما كان الامر عند وضع النقاط على الحروف في عهد الحجاج . ونورد في الصفحة الاخيرة نموذجا للطباعة بالطريقة المقترحة.

تصبح كتابتنا ابطأ مما تعودنا حتى الآن ، ولكن هذه التضحية اصبحت ضرورية في نظري .

ان الراى المفادئ بتحويل الاسم اللاتينى بشكل يلائم العربية جدير بالاهتمام فاطلاق كلمة « تلفاز » — على وزن مفعال ، اسم الآلة — على جهاز التليفزيون يهـىء لنا امكان استخدام فعل من هذه الكلمة فى التصاريـف (تلفز يتلفز تلفزة) ولكن هل هناك كلمات كثيرة من هذا النوع ؟

7.00

دوما اللجوء الى « فعال » في سائر اعضاء البدن .
والسألة تحل نفسها من تلقاء ذاتها ، فمن المعروف
ان مصطلح « ذات الجنب » يستخدم منذ امد بعيد
للدلالة على التهاب الفشاء المحيط بالرئة ، بل والتهاب
الرئة يسمى ايضا بـ « ذات الرئة » فماذا لو اعتمدنا
كلمة « ذات » للدلالة دوما على حدوث الالتهاب ؟ مثل
ذات الكبد ، ذات الدماغ ، ذات الشفافة ، ذات
الحنجرة .. وبالتالي فان كلمة « ذات » ستلعب في
العربية دور Itis في التسميات اللاتينية .

ان كل ما اقترحه لا يخرج عن كونه امثلة قياس
تصلح كمطلقات مبدئية يمكن السير على نهجها في كثير
من المصطلحات العلمية ، وفي الواقع فان طبيعة عصرنا
الدينامي تتطلب القيام بخطوات انعطافية جريئة
تستهدف السهولة والدقة ، واستئصال كل النوازل من
الاستعمالات العادية . اوليس في مقدورنا مثلا ، بغية
التخفيف والتيسير ، الغاء كان واخواتها وكاد وشقيقتها
واعبارها جميعا افعلما ما تشبه باقى الاعمال الاخرى
بالنسبة للتلازمة والمواطن العاديين على الاقل ؟

حرف الفتحه : ل
حرف الضمة : ي
حرف الكسرة : د

قَلْبٌ : قلب
عَرَبٌ : عرب
قُلٌ : قول
أَمْرٌ : امر
أَلٌ : ال

للكل شيء إذا ما تم نقصان
فإن يعزَّ طيب العيش إنسان
للكماله شاعرين إذا ما نلوا
فلا يغفلوا بسطيد العليش إنسان

التراث العربي

وعناصره الصالحة لنهضة عربية حديثة

للشيخ محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب

لان كثيرا من الاختراعات قد استمدتها الانسانية منذ فجر التاريخ من الحضارات السامية القديمة .

ان من يتتبع مقومات الحضارات الانسانية يلاحظ ظاهرة قديمة وهى امكان رد معظم هذه المقومات الى المدنية الشرقية ففى الفلسفة وفى العلوم وفى الاقتصاد يصطدم المؤرخ بطائفة من المعلومات منتشرة فى كتب منها المطبوع ومنها المخطوط يدل مجموعها على ان كثيرا من مظاهر المدنية التى تبناها عصر الاتبعات فى اوربا ترجع لاعمق العصور ولاعرق المدنيات الشرقية .

والحضارات تتكيف تبعا للجو المحلى وطبقا لمؤثرات تتفاعل فتسبب بطابع خاص .

فما هى وضعية الحضارة المغربية بالنسبة للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية بالنسبة للحضارات التى توالى على المغرب قبل الفتح الاسلامى ؟ وما هى علاقة الحضارة الشرقية بالحضارة المغربية فى عدوتى المغرب والاندىلس ؟

الحضارة فى مدلولها العام تستلزم طائفة من العناصر ، ابرزها : شيوع العمران وانتشار العلوم والفنون وحسن انتظام الاجتماع وتوازن الاقتصاد وعظمة الجهاز السياسى وضخامة المقومات العسكرية وما شئت من مظاهر العزة والمنعة والوفرة والامن والنظام . والحضارات تقوى وتضعف بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التى تصطبغ بها ، فهناك حضارات يطغى فيها الجانب المادى على الجانب الروحى اى تسود فيها مظاهر العمران والمدنية الملموسة وتلك سمة يغلب وجودها فى الحضارات الاوربية بخلاف الحضارات الشرقية التى تضم الى جانب هيكلها المادى مجموعة روحية لا تزال الانسانية تستمد منها الى الآن سواء فى ميدان الفلسفة ام الاقتصاد ام الاجتماع وغير خاف ان اقدم الحضارات فى العالم هى الحضارة الشرقية من صينية وهندية ومصرية وآشورية وكلدانية وفينيقية وفارسية ولهذه الحضارات الاسيوية تراث فكرى ومادى كان ولا يزال من اجل دعائم الحضارة الغربية الآرية واقول مادى

الاجتماعية بل والدينية وقد اخترع البربر احرفا هجائية في الوقت الذي اخترع الكتعانيون احرفا خاصة بهم ، والحروف المعروفة بحروف تنفاغ لا تزال مستعملة عند البربر الطوارق الصحراويين الى يومنا هذا . وعند ما انكشف شعاع الحضارات القرطاجنية والرومانية والوندالية من المغرب انساق البربر في تيار حضارتهم الشرقية الاصلية التي تتبلور فيها مثل عليا ملكت منهم المشاعر وتغلغلت في الاعماق حيث كانوا — كالمغرب — يحبون الاستقلال ويشبثون بالحرية وتجمعهم مع العرب كما قال سديو Sédillot (ميول وعواطف واحدة ومبادئ متشابهة كحب الفخر والهيام بالحرية واکرام الضيف) .

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربي الاسلامي ازاء شعب من بنى عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج المنصران ولم يزد توالي القرون هذا التمازج الا قوة فتكونت مع الزمان مدينة مغربية مزودة القوام انصهر في بوتقتها تراثان كلاهما شرقي الاصل طبعه الاسلام ووسسته العروبة ببسبها الخاص

وهنا تظهر حيوية الاسلام في افريقيا الشمالية وخاصة تلك الحيوية التي اقر بها الفريدييل كما اقر بها قبله ويمده مستشرقون منصفون ، فالاسلام هو الذي استطاع وحده ان يخلق في هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنية والرومانية رغم سموها واعنى بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة تراثها وتراثها وهذا الشيء قد أوجده الاسلام الذي انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على مر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى — هي حضارة الاندلس — استمدت روحها من تراث الشرق الذي نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوامل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمتها ولا سداه ليبتدأ الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان العرب لما فتحو افريقية والمغرب وجدوا للحضارات العالمية ؟ وما هي منزلتها كحضارة اسلامية الامم التي تنازعت السلطة في المغرب قبل دخول الاسلام اليه والحضارة القرطاجية قد قضى عليها طفيان الرومان الذين محقوا عاصمة قرطاج واستاصلوا من ربوعها الزاهرة جذور المكنية والعمران ثم بنوا على انقاضها شيئا جديدا ما لبث الوندال ان استاصلوه بدورهم ولكن لم يلبثوا في المغرب زهاء القرن حتى انتقض عليهم الروم سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزانس) فارتكبوا فيهم ما ارتكبوه هم في الرومان وما ارتكبه الرومان في القرطاجيين وقد ذكر المؤرخون انه لم تمض ستة اشهر على انتصاب الروم حتى عفوا على آثار الوندال بالبلاد وخرج المغرب من سلسلة الاحتلال الاجنبية صفر اليد خاوي الوفاض منهوك القوى ووجد سكان البلاد — وهم البربر — انفسهم كما كانوا اول مرة بدائيين في حضارتهم وقد اكد الاستاذ الفريد بيل Alfred Bel في كتابه (ديانة الاسلام في بلاد البربر) (ص 64) ان مما لوحظ كون لغة القرطاجيين والرومان وكل ما استمده البربر خلال الاحتلال الروماني والقرطاجي — قد اندرس بعد انقضاء الاحتلال المذكور وان البربر عادوا الى استعمال لغتهم والى اساليبهم الوحشية مما يدلنا على انهم لم يستفيدوا قلامة ظفر من حضارة قرطاج ولا رومة . ولعل الاستاذ بيل نسي ان يقول بأن الشيء الذي ظل متغلغلا في روح البرابرة هو اللغة البونية التي كانت قريبة من العربية والتي امتد اشماعها على يد الكتعانيين العرب بين ابناء البربر من قرطاج الى قابس ومن طنجة الى بجاية .

ولكن هل كانت للبربر حضارة قبل سلسلة الاحتلال الاجنبية ؟ ام كانوا مغمورين في بوتقة الشعوب المتوحشة كما يزعم كثير من المؤرخين الاجانب ؟ يجب ان نعلم قبل كل شيء ان البربر اسوييون لا افارقة وانهم هاجروا من آسيا الى المغرب عن طريق مصر والبلاد الليبية وجاء برابرة الاطلس المغربي على الخصوص من ربوع الشام حيث كان يجتمعهم قرب الجوار مع ابناء عمهم العرب الكتعانيين فالحضارة البربرية حضارة اسبوية بدائية ترتكز على الزراعة والرعى وقد وصف لنا مؤرخون اجانب التجانس الذي كان ملحوظا بين عادات العرب والبربر والذي كان يبلغ سويداء الحياة

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر في تكيف العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكرى ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلتا نحواً من ثلاثة قرون اى منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتى مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هي المنوال الذى حاك عليه رجال للفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقي والمغربي اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر اديا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلي .

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية ليس فيها اى اثر يذكر للحضارة اللاتينية التى قدر لها ان تمر مر السحاب في هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صبيمة اى شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالأخص مدينتى فاس وقرطبة مع عواصم الشرق في حمل راية الحضارة العربية الاسلامية في العالم ايام كان الجهل رابضا بكله الثقيل على اوربا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكرى والروحي يستمد من نبراسه الاروبيون كما هو معلوم عند من له ادنى الملم بتاريخ الحضارات .

وتراث العروبة نفسه لم يكتمل في كثير من مقوماته الا بمساهمة المغاربة في بناء صرحه كالشريف الادريسي (استاذ اوربا) بجغرافيته وابن بطوطة برحلاته وابن خلدون باجتماعياته والحامى باشراراته وابن رشد بفلسفته ومفقه وطبه وابن الخطيب بادبياته ونكاته (التي يبد بها الجاحظ في كثير من الاحيان) وابن حزم بتنسيقاته الفلسفية والدينية وابن طفيل بنظرياته في الفلسفة الفطرية .

فنحن معشر المغاربة بعنصرينا امة عربية المحتد شرقية الروح اسلامية العقيدة وحضارتنا حضارة شرقية عربية اسلامية في جوهرها ومقوماتها .

وهي حضارة تتمثل فيها كل المؤهلات التى تتكون الحضارة من بعضها فضلا عن مجموعها .

وقد عاش المغرب والاندرلس متحدين نحواً من ثلاثة قرون (من عهد المرابطين الى اوائل عهد المرينيين) وتم الانصهار والتمازج بين العنصرين اللذين كانت تجمعهما عوامل شتى لما كان بين البلدين من اواصر التزاور والمبادلة فكانت الوفود الاندلسية تترى على مراكش عاصمة المرابطين والموحدين ثم على فاس حاضرة المملكة المغربية في عهد المرينيين وكان افراد الشعب المغربي الذين يهبون بين الفينة والفينة لاجاد اخوانهم سكان العدو الشمالية يتصلون بالعناصر الاندلسية ويقتبسون منها فكرا واجتماعيا واستمر الاحتكاك عن طريق رجال مشهورين خلال القرنين الخامس والسادس حيث ظهر فلاسفة واطباء افاذا كابن طفيل وابن رشد وبنى زهر ولم يكد ينصف القرن السابع الهجرى الذى شهد سقوط معظم العواصم الاندلسية في قبضة الاسبان حتى تضخمت حركة الهجرة فكان لذلك اثره الفعال في حياة المغرب الناعمة وقد توالى سيل المهاجرين الاندلسيين ايام السعديين فنقلوا معهم نماذج الحضارة الاندلسية التى طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المغربية وعند ما وقع النفي العام بالاندرلس غصت رحاب بعض كبريات المدن المغربية ككاس وتطوان وسلا بطماء وشعراء وفناتين وتجار وارباب حرف ساهموا فعليا في صهر الحضارتين صهرا طبعهما منذ ذلك العهد بطابع الطرافة والرماسة والسمو وقد امتزجت كثير من العادات والمظاهر المقتبسة من الحضارتين امتزاجا عميقا تعذر معه رد كل منهما الى ينبوعه في كثير من الاحيان .

وقد ابرز الدكتور رينو Reinaud في كتابه الطب القديم بالمغرب (نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72) « امتزاج تاريخ الاندرلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين » فما هي اذن هذه العناصر الخالدة التى بلورت حضارة المغرب والتي لا تزال في روحها ومبناها كتيبة بدعم كل تطور عربى في العصر الحديث ؟

فمن ابرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية حديثة تلك العناصر الاساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكر عليها الانبعاث في اوربا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة الف عام الاطار الزمنى لازدهار الحضارة العربية في مختلف مجاليها الانسانية فقد برهن العرب

طوال قرون عن اصالة نادره وعن روح خلاقة وعن استعداد للتكيف فابدعوا منهجا تجريبيا رصينا لم يكن للانسانية عهد به وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر ودعم التبادل بين الشرق والغرب فى تسامح وموضوعية وانكار للذات وتطلع عارم الى التضلع من اللغات واستكناه مختلف الاتجاهات والنظريات والمذاهب والنظم والعادات لدى الامم والشعوب تفتيقا للفكر وتوسيعا للافق وبذلك شادوا بنيانا شامخا ما زال الى الآن موثلا ومنبعا للفكر الانسانى النزيه .

فلنستعرض اذن الوانا من الكشف المغربى فى مجالات الطب والكيمياء والصيدة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها ثم بعض المجالى الاجتماعية والاقتصادية والفنية لنستشف مدى اسهام المغرب الاقصى فى دعم الكيان العربى الاسلامى خاصة والانسانى عامة — فكرا وحضارة — بعناصر لا تزال غضة فى منهجيتها وقوامها .

كان القرن الرابع فى الاندلس هو عصر النهضة تفتق فيه الفكر العربى سواء من حيث دراسة الفنون والتقنيات ام من حيث الاختراعات والكشوف العلمية (1) وهكذا برز ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعى فى عصره عرب «مفردات ديستوريدس» وزاد عليها الادوية التى جهلها والتى كانت معروفة عند العرب كما برز ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » الذى كان اعظمهم مثل لفن الجراحة فى المدرسة العربية (2) اعتمد

واستند الى بحوثه جميع مؤلفى الجراحة فى القرون الوسطى وكتابه يعد اللبنة الاولى فى هذا العلم اذ هو اول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصى المثانة واستخرجها بتشريح جراحى وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير فى رتق الجراحات والظاهرة التى امتاز بها هذا الكتاب هو روحه التجريبية وتركيز النصوص على آلات اثبت صورها فى كتاب هو اول تعبير للجراحة كعلم (3) ويرى لوكير (4) ان المغرب كان اشد اقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية يشهد بذلك — حسب القفطى (5) عدد اطباء والصيادلة المغاربة الذين رافقوا المعز الفاطمى الى مصر .

وكانت بفاس فى القرن الرابع « مدرسة طبية (6) كما كان البرابرة قبل هذا العصر يستعملون الحقن بجراثيم الجدرى لضمان حصانة المصاب (7) على ان القرنين الخامس والسادس قد عرفا فى المغرب الاقصى تحرر الفكر بصورة لم يسبق لها مثيل — كما قال لوكير (8) تشهد بذلك رعاية البلاط المراكشى لامثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبنى زهر وقد اتصل بهذا الفن علم الصيدلة وعلم العقاقير والفلاحة حيث يعتبر كتاب ابن العوام ابى زكرياء يحيى بن محمد عديم النظر فى الادب العربى (9) « لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة وثمينة » بل هو اعظم ما انتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة « وقد كان الشريف الادريسى السبتي من هذا الطراز فطاف فى آسيا واوروبا ووصف نباتات كل قطر وصفا اصيلا (10) وكتابه فى الادوية ملء بالملاحظات

- (1) لوكير - تاريخ الطب العربى ج 2 ص 350
- (2) لوكير ج 1 ص 334
- (3) لوكير ج 1 ص 456 ويوجد فى المكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د جزء من هذا الكتاب يحتوى على 28 صورة للمكاوى وآلات التشريح .
- (4) ج 1 ص 407
- (5) « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص 85 .
- (6) « شهرات نساء المغرب » للكانونى (مخطوط) نقلا عن « فن الاسنان بالمغرب الاقصى » لكاتب اوربى لم نستتب اسمه فى المخطوطة .
- (7) كودار — وصف المغرب وتاريخه ج 1 ص 239
- (8) ج 2 ص 72 .
- (9) ج 2 ص 11 و 110
- (10) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 34

من اربعة وعشرين كتابا منها « قاتون الطب » في اثني عشر مجلدا وفياتيكيوم (12) في الطب العام في سبعة اجزاء .

ونبع في الشرق العربي في هذا العصر علماء افاضوا تساوقت ابتكاراتهم مع زملائهم في الغرب منهم السويدي صاحب « التذكرة » المتوفى عام 691 هـ وابن ابي اصيبعة وجمال الدين القفطى على بن يوسف المصري (646 هـ) وعبد اللطيف البغدادي (629 هـ) (حيث امتاز في وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصري (687 هـ) الذي كان اعظم اطباء عصره ولعل مما ساعد على تطور الطب وما اتصل به من علوم سهر المنصور الموحدى على مصالح الاطباء وتنظيمه لمهنة الطب وقد سبقه الى ذلك الخليفة المقتدر الذي فرض على الاطباء تأدية امتحان تقنى يبلغ عدد المتخرجين ببغداد عام 319 هـ ثمانمائة وستين طبيا (13) وقد اجري اول امتحان للصيدلة ايام المعتصم عام 221 هـ .

وكانت التجربة هي الطريقة العادية عند الاطباء حيث ظهر كتاب التذكرة لابي العلاء زهر بن زهر الاندلسي الذي كان والده ابو مروان عبد الملك بن ابي بكر رئيس الطب ببغداد ثم بمصر والقروان (14) وهو كتاب ترجم الى الفرنسية عام 1911 م بعد ان تعددت ترجماته عشر مرات بين 1490 و 1554 م) كمجموعة من الملاحظات سجلها ابو العلاء لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة في مراكش وبالأدوية

الشخصية اقتبس منه ابن البيطار في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (لوكلير ج 2 ص 8) واعتمد عليه وحده في ثلاثين موضعا (ص 68) كما اعتمد استاذ فابن البيطار ابو العباس النبطي وهو مع تلميذه ابرز العلماء النباتيين العرب الذين لم ينبج الشرق من يضاھيهم في هذه الآونة عدا فخر الدين الرازي وقد استطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه — كما يقول لوكلير (11) — ان يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الاسلامي ويفضل هذا الانبعاث العربي في الاندلس صارت اوربا تنفض عنها اودية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد استق المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية فنقل جيرار دوكريمون وحده من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او اغريقيا مغربا على ان حركة الترجمة بدأت في المغرب العربي منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد اسس مدرسة سالرنا وهي اول مدرسة من نوعها في اوربا كانت مبعث انوار الطب الحديث في العالم الغربي شارك في التدريس بها الطبيب يونس العربي الفاسي (اللسان العربي ج 5 — بحث الدكتور احمد مكي) وقد ولد عام 400 بتونس (وتوفى عام 475 هـ) وظلت المخطوطات الطبية العربية التي حملها الى سالرنا غذاء اوربا عدة قرون وقد ترجم لللاتينية اهم كتب الطب العربي كزاد المسافر لابن الجزار وكتب للرازي واسحق بن سليمان الاسرائيلي والفرجاني

(11) ج 2 ص 72 وقد اعتمد ابن البيطار ايضا على عبد الله بن محمد بن صالح الكتامي الحريري الشجار الذي كانت له خانوت بمراكش عام عام 583 هـ (اللسان العربي ج 6 ص 1968) اما النبطي فهو احمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية او ابن العشاب ولد باشبيلية عام 561 هـ) ودرس الاعشاب شخصيا دون اعتماد على ديستوريدس وجالينوس واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وقد رحل الى الشرق عام 613 هـ او 614 هـ بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب وصنف معجما للحشائش وفاق اهل زمانه في معرفة النبات وتوفى باشبيلية عام 638 هـ (نفح الطيب ج 2 ص 635) ونذكر لوكلير بصدد ابن البيطار (ج 2 ص 225) انه اعظم نباتي العرب وقد تنقل في جبال الشام صحبة رسام كان يصور له الاعشاب وخلف لنا اعظم مجموعة في العلوم الطبيعية وقد عينه الملك الافضل في مصر رئيس عشابي القاهرة وقيل رئيس اطباء مصر (النفح ج 2 ص 683) وكتابه « جامع المفردات » اكمل ما صنفه العرب في الطب يحتوي على الفى وصفة للعقاقير ترجمه لوكلير الى الفرنسية وقد كان النبطي — حسب احاطة ابن الخطيب اماما في الحديث حافظا ناقدًا .

(12) او (Viaticque) ومعناه زاد المسافر

(13) القفطى ص 130

(14) نفح الطيب للمقرى ج 1 ص 445

المناسبة لها ولا يابى العلاء ايضا « مجربات » طبية جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط لها في الاسكوريال (رقم 844) ولعل ولده ابن زهر ابا مروان عبد الملك مؤلف كتابى « الاقتصاد » و « التيسير » قد بذ سابقه حيث اعتبر اعظم من ابن سينا ولا يعمله سوى الرازى فى الشرق (15) وكان لا يعالج الا بعد الفحص الدقيق وجس النبض والنظر الى قوارير البول لتحليله وقد نهج ابن زهر خاصة فى كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية مستخدما التحميم العقلى للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة يصف الدواء على غرار اطباء عصرنا ويأثر الصيدلة لتجربة الادوية بنفسه ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية فى البلاط المراكشى الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله كالامراض الرئوية (التى منها تشريح القصبة فى مرض الذبحة) وكذلك التخصص فى الجهاز الهضمى حيث استعمل الانابيب المجهزة لتغذية المساكين بعسر البلع والحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة الجرب وارتركز على الطبيعة لعلاج الادواء (16) وكان سر نجاحه هو تشبعه بروح العصر الحديث حيث كان يتسم مثالا بنكران الذات فينسى نفسه ويستغرق فى مريضه وقد عرضت عليه حالات خطيرة حاول ان يعيشها مستمدا من ذكرياته وتجاربته ومنطقه وقد ابرز كودار (17) Godard هذه الميزة عند ابن زهر فلكد انه استعاض بالنهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد فى ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهى الصيدلة والجراحة والطب العام ولعل من النقص الملحوظ فى

عصرنا الحاضر تباعد هذه العناصر المتزايد بعضها عن بعض اما الحفيد ابو بكر بن ابي مروان (596 هـ) فقد اضاف الى تضلعه فى الطب مشاركته فى العلوم الاسلامية حيث كان محدثا يحفظ صحيح البخارى باسانيده (18) ولم يكن فى زمانه اعلم منه باللغة وكان شاعرا يحفظ ديوانذى الرمة وهو ثلث لغة العرب (19) وظاهرة المشاركة هذه توفرت فى كثير من الاطباء كلبى جعفر بن هارون الترجالى تلميذ ابي بكر المعافى فى علم الحديث والمتخصص فى طب العيون وابى يحيى هاتىء بن الحسن اللخمى الفرناطى المشارك فى الحديث والاصول والطب الذى (20) تتلمذ لابن غرتونا بفاس ومن الاطباء الذين كان لهم باع طويل فى التجارب العلمية الوزير ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة شيخ ابن رشد المتوفى بفاس عام 533 هـ (21) وقد تعاون معه تلميذه ابو الحسن سفيان الاندلسى المتوفى عام 537 هـ فى تأليف كتاب التجريبتين (22) على ان ابن رشد نفسه ضرب اروع مثل فى المنهجية التجريبية فاقترح فى شرحه لابن سينا ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء فى الامراض الرئوية مشيرا الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (23) وابن رشد هو اول من اشار الى الدورة الدموية الكبرى وعلمها فى كتابه « الكليات » الذى استمد منه ويليام هارفى (William Harvey) معظم نظرياته وقد سبقه ابن النفيس المصرى الى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى او الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (24) .

وهذه الروح العلمية الفياضة هى التى تمخض عنها ما اشار اليه مؤرخ فرنسى من الد اعداء العرب هو رونان (Renan) فى كتابه « Averroès et

15) فكر ابن عبد الملك فى « الذيل والتكملة » ان ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من اهل عصره .

16) حضارة العرب — كوستاف لويون — الطبعة الفرنسية ص 530 .

17) تاريخ المغرب ص 452 .

18) الاتيس المطرب ج 2 ص 180

19) المطرب لابن دحية

20) ابن ابي اصيبعة ج 2 ص 75

21) جنوة الاقتباس لابن القاضى ص 335 .

22) ابن ابي اصيبعة ج 2 ص 63 والقنطى ص

23) لوكلير ج 2 ص 79

24) حضارة العرب ص 531 (الطبعة الفرنسية)

«l'Averroïsme» (ابن رشد ومذهبه) من اعتراف كريستوف كولومب في رسالة تركها بعد موته بأن الذي اوحى اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه «الكليات» على ان مجلة «نيوزيك» الامريكية اكدت (في عدد ابريل 1960) ان العرب انطلقوا قبل سنة 1100 م (اي قبل كريستوف كولومب بأربعة قرون) من ميناء الدار البيضاء بالمغرب الأقصى فرسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكى واكد هذه النظرية كثير من العلماء (25).

اما المارستانات وهي المستشفيات والمصحات فقد وصف عبد الواحد المراكشي (26) الذي عاش في بغداد — المستشفى الموحدى قائلا :

« وبنى اى المنصور الموحدى بمراكش بيمارستانا ما اظن ان في الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يفرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشبومات والمكولات واجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على اربع برك في وسط احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم يرسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية واقام فيه الصيدلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا هفغ له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى .. ولم يزل مستمرا على هذا الى ان مات .

وذكر ميللي (في كتابه الموحدون) المؤلف عام 1923 ص 129 ان هذا المستشفى « لا يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس » .

ولا بدع اذا كان مستشفى الموحدين بهذه المثابة بالنسبة لاوروبا فقد قال ولتر في مختصر التاريخ: « ازدهر علم الطب والتداوى عند العرب على حين كان الاوربيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون اربابه اذ ان الكنيسة كانت قد حرمته عليهم وحصرت التداوى في زيارة الكنائس والاستشفاء بنخائر القديسين وبالتعاوى والرقى التى كان يبيعها رجال الدين» الى ان قال : وكان الاوربيون يستنكفون من النظافة لانها تشبه الوضوء عند المسلمين » .

وقد كان الاوربيون يضطرون الى اللجوء للمستشفيات العربية فهذا الملك شانجه توجه الى قرطبة من اجل العلاج من مرض الاستسقاء (لوكلير ج 2 ص 351) .

وبدا افول الحركة الفكرية في المغرب آخر الدولة المرينية بعد سقوط غرناطة اواخر القرن العاشر الهجرى وردود فعل الاسبان الانتقامية (Reconquista) فلم ينبغ في البحث العلمى عدا رجال قلائل امثال الوزير الفسائى مؤلف كتاب «حديقة الازهار» الذى نشر عنه الدكتور رينو (27) دراسة اكد فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهجه الواضح جدا في الوصف النباتى الذى يتسم غالبا بطابع الاصاله والطرافة مع محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديدا في وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية وقد ظل المغرب مع ذلك خلال العصور الاخيرة من تاريخه — بالرغم عن احتلال البرتغال والاسبان لبعض مراسيه ومحاولة تدخل الاتراك في شؤونه — يواصل منهجه التجريبي على نطاق ضيق حيث ظهرت اساليب (28) لمعالجة انواع الرمد وتشريح العين لازالة غشاوتها وتخدير —

(25) نشرة المعهد المصرى 26 عام 1934 — بحث بقلم ماكس ما يرهوب ص 33 وقد اشار ابن النفيس الى ذلك في « الكتاب الشامل في الطب » الذى كان يحتوى على ثلاثمائة مجلد اهدى منها المؤلف ثمانين مجلدا لمستشفى قلاوون .

(26) راجع الخليج العربى في تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص 13

(27) المعجب ص 177 — كتاب ميللي (Les Almohades - millet) — 1923 ص 129

(28) نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج 18 ص 195

الجبر والمقابلة الى اللاتينية وقد ابدع العرب في علم
المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي اى المغرب الكبير والاندلس
في بلورة هذا الاثماع العلمى العربى فظهر ابن حزة
المغربى في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في
اللفريتم ، واشتهر في الاندلس ابو عبيدة مسلم بن
احمد ويحيى بن يحيى المعروف بابن السمينه وابو
القاسم اصبح بن السمع (له تأليف منها المدخل الى
الهندسة في تفسير اقليدس وكتاب كبيرى الهندسة)
وابو القاسم بن الصغار وابو الحسن الزهراوى (كان
عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في
المعاملات) وابو الحكم عمر الكرماتى (من الراشخين
في العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان
متصرفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب)
وتلميذه ابو الحسن مختار الرعينى (كان بصيرا
بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطى
(ناقد في الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع
في العدد والهندسة) وابو حى القرطبى (بصير
بالهندسة رحل الى مصر عام 442 هـ) وابو الوقى
الطليطلى (الهندسة) (النسخ ج 2 ص 874) .

وقد احصينا في «معجم الرياضيين بالمغرب الاقصى»
الذى نشرناه عام 1385 هـ - 1965 م في مجلة
« اللسان العربى » (العدد الثالث ص 134) نحو من
مائة وثلاثين من المهندسين والرياضيين وعلماء الهيئة
المغاربية الذين برزوا في هذا القطاع العلمى الهام
وخلفوا لنا تراثا رائعا اسهموا به في دعم صرح
الحضارة والبحث العلمى في العالم ومن بين هؤلاء :

1 - المهندس الحاج يعيش الذى بنى لعبد المومن
ابن على الموحدى مقصورة وضعت على حركات
هندسية ترفع لخروجه وتنخفض لدخوله .

2 - المهندس عبيد الله بن يونس الذى استخرج
مياه السقى بصنعة هندسية (35) .

المرضى قبل العمليات الجراحية واستخدام وسائل
الايحاء والتنويم مع المهارة في طب الاسنان وقد اعطانا
الطبيب احمد بن حمدون بن الحاج (29) المتوفى عام
1316 هـ (30) للمرة الاولى في تاريخ المغرب تقسيما
فنيا للدوية كما صنف الشريف العلمى الذى درس
بالاسبطالية الكبرى بالقاهرة عام 1291 هـ كتاب
« ضياء النيراس في حل مفردات الانطاكى بلغة اهل
فاس » (طبع عام 1318 هـ) يحتوى على مفردات
بربرية ولايتينية وافرنجية مرادفة للمصطلحات الطبية
العربية مع تليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد
والتقطير ووصف العمليات العلمية وهو كتاب متين
التليل يعتبر نقطة تحول في تاريخ الطب المغربى .

ولنضرب الآن مثلا آخر بشعبة من العلوم هى
الرياضيات فقد كان العرب اساتذة النهضة الاوربية
في الحساب (31) وقد فند سيديو (Sédillot) (32)
ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما
اقتبسوا من الاغريق مثيرا الى ما ابدعه الفكر
العربى في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة
للدائرة (tangentes) في الحسابات والاستعاضة
عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة اصبحت اساسا
في علم حساب المثلثات الحديث (trigonométrie)

وقد لاحظ العالم ثال (Chasles) انه كان للعرب
فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة وتاكّد ذلك
بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمى
منذ عام 1836 م من طرف روزن (Rosen) ومن بينها
بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية
بطريق هندسية ويقا لبان الخوارزمى هذا لم يحل سوى
المعادلات من الدرجة الثانية (équation de 2° degré)

وان الذى حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن
ابراهيم (33) ولعل لفظتى الفوريتم واللوغريتم مشتقتان
من اسم الخوارزمى الذى يعتبر اقدم الرياضيين العرب
حيث عاش في عصر المأمون العباسى ونقلت كتبه في

(29) راجع كتابنا « تاريخ الطب والاطباء بالمغرب » 1380 - 1960 ص 72

(30) رينو ص 8

(31) الاعلام للمراكشى ج 2 ص 246

(32) كوتيسى (Gautier) في كتابه عادات المسلمين واعرافهم ص 238 .

(33) تاريخ الطب العربى - لوكلير ج 1 ص 320

(34) حاضر العالم الاسلامى ج 1 ص 151 .

(35) نزهة المشتاق للادريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول افريقية والاندلس .

3 - ابن الياهمين الذى ولد بفاس اواسط القرن السادس والخبر في الجبر والمقابلة .

4 - المهندس المعمارى ابو عمران موسى بن حسن بن ابي شامة مصمم بعض الاجنحة في جامعة القرويين عام 599 هـ .

5 - ابن البنا المراكشى (المتوفى عام 721 هـ) صاحب مقنة اقليدس ومختصر الفلاحة والاصول في الجبر والمقابلة وتلخيص في الحساب شرحه ابن المجدى احمد بن رجب بن طنبغا القاهرى عام 850 هـ واختصره ابن الهائم القرافى المتوفى عام 815 هـ .

6 - على اليفرنى المكناسى (734 هـ) وهو امام الرياضيات في عصره (36) .

7 - على بن احمد التلمسانى صانع منجاة المدرسة العنانية بفاس عام 758 هـ (37) .

8 - امير المؤمنين في الحساب ابراهيم المصمودى 912 هـ (38) .

9 - الفلكى احمد الغزائى الفاسى (39) 920 هـ .

10 - محمد بن هلال امام التعاليم في سبته وشارح المجسطى في الهيئة (949 هـ) .

11 - ابن مشون محمد بن يوسف السبتي صاحب الرجز في الجبر والمقابلة (40) عام (989 هـ) .

12 - السلطان احمد المنصور الذهبى الذى كان يفك كل يوم شكلا من كتاب اقليدس (41) .

13 - شيخ جماعة الفنون بهراكنش احمد التتليتى الاختصاصى في الرياضيات والمساحات والهندسة وهو من رجال القرن الحادى عشر .

14 - محمد بن محمد بن سليمان الرودانى الفاسى (1094 هـ) الخبر الاوحد في الرياضيات والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمساحة وقد عاش في بغداد فذاع صيته واخترع آلة فلكية وصفها صاحب نشر المثنى (ص 87) .

15 - المنجم الرياضى محمد المسناوى مريـنو (1207 هـ) صاحب كتاب « تقدير قرض النفقات » في علم الاقتصاد الرياضى .

16 - الاستاذ المعطى مريـنو (1223 هـ) صاحب كتاب « كنز الاسرار في تعديل الكواكب » وكتاب ابعاد النيرات ورصده وكتاب المزاوول .

17 - احمد بن عبد الله التتسانى الصويرى (1320 هـ) صاحب المؤلفات العديدة في الجبر والمقابلة واللوغاريتم والذى حل اشكالا هندسية نقلها الى الرياضيات وكان رئيس الرياضيين والمهندسين ورئيس المدفعية في الجيش المغربى .

واذا اعتبرنا شعبة اخرى من العلوم التطبيقية كعلم الجغرافيا نلاحظ ان الخرائط العربية الاولى كانت عبارة عن خلاصة لما ورد عن بطليموس وظل العالم طوال الف عام عالية على هذا الجغرافى والفلكى اليونانى الذى هو من رجال القرن الثانى الميلادى حتى ظهر الشريف الادريسى الذى وصفه كوتيبى (42) بأنه استاذ اوربا في الجغرافية حيث ظل الغربيون يستمدون ازيد من ثلاثة قرون من خريطته العالمية فكان اطول باعا من بطليموس واكثر دقة في ملاحظاته وتقريراته لان بطليموس احميت عليه في تقديره للمسافة الفاصلة بين طنجة والاسكندرية وحدها اغلاط بلغت ثمان عشرة درجة طولية بينما نقل اغلاط تقديرات الادريسى للاطوال ما بين طنجة وطرابلس الغرب عن درجة واحدة وقد نبه الادريسى على هذه

(36) درة الحجال ص 441

(37) جنوة الاقتباس لابن القاضى ص 31

(38) درة الحجال ص 107 وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) .

(39) درة الحجال ص 91

(40) الاعلام للبراكشى ج 3 ص 263

(41) درة الحجال ص 176 + الدرّة ص 51

(42) في كتابه عادلت واعراف المسلمين عند ما تعرض له .

والزجاج البلورى الرقيق الذى سبقت به مصر
صناعات بروسيا وتشيكوسلوفاكيا اوائل هذا القرن

وقد جعل الموحدون — كما يقول اندرى جولييان فى
تاريخ افريقيا الشمالية — حدا للفوضى المالية التى
كان يتخبط فيها ملوك الطوائف فظهر عنصر جديد
هو التصنيع واصبحت سبقة مركزا دوليا لانتاج الورق
يضاهيه جودة ورق شاطبة فى الاندلس وسامرا فى
العراق وكانت هذه المراكز تمد اوربا الشرقية والغربية
وقد عثر المستشرق كازيرى فى الاسكوريال على
مخطوط عربى من ورق القطن يرجع تاريخه الى عام
1009 م (وهو هذا العصر بالذات) يدل على ان
الورق المقصود كان من القطن وقد سبق المغرب اوربا
الى صنعه ومعلوم ان العرب اول من صنع الكاغد من
الخرق البالية (لوبون — حضارة العرب — ص
519) وقد اصبحت فى فاس وحدها ايام الموحدين
3094 مصنعا للنسيج و 47 للصابون و 12 لتسبيك
الحديد والنحاس واحد عشر معملا للزجاج واربعمائة
لصنع الورق او الكاغد (43) علاوة على الثروة
المعدنية التى اتخذت موادها الاولى من حديد ونحاس
ومضة وتوتيا وغيرها منطلقا لسلسلة مصانع انتشرت
بسرعة فى حواضر المغرب وبواديها بالاضافة الى مصانع
السكر فازدهرت المبادلات بين المغرب ودول اوربا
وخاصة موانئ بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية وكان
المسلمون آنذاك هم اول من نظم الاساليب التجارية
طبقا لمقتضيات التجارة الدولية — كما يقول اندرى
جولييان — الذى اكد ان الاسطول المغربى اصبحت آنذاك
اول اسطول فى البحر الابيض المتوسط .

ونفتح هنا قوسا صغيرة لنؤكد ان هذه الروح
القانونية نجدها متبلورة فى مواقف المغرب الذى كان
يقف دائما فى صف الشعوب التواقفة الى التحرر
كشعب الولايات المتحدة التى كان المغرب اول دولة
اعترفت باستقلاله فى العالم ايام السلطان محمد بن
عبد الله المحدث الفقيه السلفى (المتوفى عام 1204 هـ)
الذى كانت دول اوربية تدفع لاسطوله جزية سنوية
لحمايتها من القرصنة فى البحر الابيض المتوسط كما
برهن عن روح دولية اكد المؤرخ والحقوقي الفرنسى

الاغلاط ومعلوم ان الاقتصاد فى كل امة يعد قواما
جوهريا فى تطورها الحيوى وقد اسهم العامل
الاقتصادى فى بلورة الحضارة المغربية منذ فجر الاسلام
فالامة المغربية قد استقبلت الفاتح العربى كححرر لا
سيما وان العرب حملوا معهم الى افريقيا كما يقول
كوتى « حكومة نظلمية مجهزة بجميع القومات
المسكينة والادارية » فكان فى ذلك الخلاص من
جبايات مرهقة فرضها الرومان الذين احوالوا الشمال
الافريقى الى « مخزن محمولات » لامداد روما فكان
الامبراطور الروماني نفسه اكبر ملاك عقارى فى
المغرب الكبير ومنذ اواخر القرن الثانى الهجرى انطلق
الاقتصاد المغربى من عقاله فانتظم واصبح « منطقيا
قارا » — كما وصفه المؤرخ طيراس فى تاريخ المغرب
وامست عاصمته الادريسية فاس مركزا اقتصاديا
وفكريا رسم الخطوط الاولى للوحدة القومية والتخفيف
من عوامل الانفصالية والتشتت القبلى لا سيما بعد
ان تجمعت فى العاصمة الجديدة ثمانمائة عائلة اندلسية
هاجرت اليها (عام 202 هـ — 818 م) بعد وقعة
الريش وقبلها ثلاثمائة اسرة قيروانية (198 هـ) وقد
شاهد المغرب اول عملة وطنية مستقلة عام 185 هـ
حيث تبلور الاشعاع الحضارى باستقرار اقوى (حتى
فى الصحراء) وتساعد العمران وانبثاق مدة جديدة
وتعززت الفلاحة التى كانت محور الاقتصاد بأعمال
الرى الكبرى وازدهرت الحركة التجارية فكاثرت
سجلهااسة الصحراوية مركزا للقوافل بين المغرب
والبحره وبغداد وكانت الظاهرة الاساسية التى
اتسم بها هذا العصر هى الطبائنية والامن مما شجع
ظهور البواخر الاولى لانتشار الضيع الزراعية وما
لبث هذا الاقتصاد ان تكيف فانتسعت مصادره وموارده
باتحاد الاندلس والمغرب وهكذا فعند ما كشف عباس
ابن فرناس الاندلسى وهو اول طيار عربى بالاضافة
الى الجوهرى استخدم آلة لامتطاء الاثير — طريقة
جديدة لصنع الزجاج من الحجر تكونت آنذاك مجموعة
من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من الكشوف
وعمرت العالم بأصناف المنجزات من اقتداح وعلب
وانابيب وآوان كيمياوية وكانت المصانع تنفخ الزجاج
وتفرغه وتلححه وتعزز بذلك من الترميع فى دمشق

الكبير. جاك كايي أنه سبق بها ما عرفته أوربا في العصر الحاضر .

وكانت هذه الفترة التي استمرت ازيد من ثلاثة قرون اروع فترة في تاريخ وحدة المغرب العربي تفتحت خلالها معالم الحضارة ومراسم العمارة وبدائع الفن انضافت الى قوة التخطيط الاجتماعى الذى تبلور فى تأمين السبل الصحراوية والتفجر الديمغرافى وتكاثر المارستانات وتزايد المدارس والاحياء الجامعية وانطلاق مصانع المراهم والادهان والاكحال (44) ولعل من ابرز مظاهر هذا الازدهار آخر ايام بنى مرين القوة الشرائية للتقود حيث لاحظ ابن بطوطة انها كانت تعدل فى المغرب ثلاثة اضعافها بمصر وبالرغم من النكبات التى بدأت تترى على المغرب بعد نكبة « الفردوس المفقود » فان المنصور السعدى استطاع اواخر القرن العاشر الهجرى فى معركة « وادى المخازن » ايقاف غزو البرتغال للشواطىء المغربية مع تقليص النفوذ الاستعمارى البرتغالى فى البحر الهندى والخليج العربى كما كان اسطوله قبل ذلك رادعا للصليبيين فى سواحل الشام وفلسطين وصعقت اوربا بعد الهزيمة النكراء التى الحقها المغرب بالبرتغال الذى فقد استقلاله من جراء هذه الضربة ازيد من ستين سنة نصارت الدول الغربية تخطب ود السلطان السعدى واقرخت انجلترا عليه التعاون لتأسيس كوندومنيوم الهند ونفق الدينار الذهبى المغربى على الصعيد العالمى وتساعد التصنيع وخاصة تكرير السكر الذى اصبح البلاطان الفرنسى والانجليزى يتنافسان فى اقتنائه كأجود ما ينتجه العالم ويبحث المغرب تقوية لمبادلاته مع اوربا عملاء للدعاية لمنتجاته كما شارك فى المعارض الدولية كمعرض باريز عام 1285 هـ وحى الصناعة الاهلية من المزاحمات الاجنبية وبذلك برهن فى شتى المجالات على تساوقه مع ما يستجد من معطيات الحضارة بأوربا وقد عرف المغرب انظمة اقتصادية واجتماعية سبقت الاحداث والكشوف الاوربية فقد منحت الدولة مثلا القروض للدور التجارية لجلب المحاصيل اعوام الجفاف وبيعها بأثمان فى متناول

الشعب كما كانت تتخذ كل الوسائل لالغاء ما يزيد على الاعشار والزكوات من مكوس وجبايات تخفيفا لوطأتها على الشعب وعلى اقتصاديات البلاد ولعل المغرب كان من اكثر الشعوب ايمانا بفعالية العمل كراس مال قبل ظهور نظرية كارل ماركس التى يمتد انصار الاشتراكية والشيوعية بأنها مكسب جديد للانسانية فقد اكد ابن خلدون فى تاريخه (45) ان « الكسب هو قيمة الاعمال البشرية » فلذلك لاحظ ماسينيون فى احصاء قام به عام 1924 للصناعة المغربية (46) ان عدد رجال الحرف فى المدن المغربية يعادل نصف عدد السكان كما اعترف المؤرخون الاجانب بأن نظام الحناطى عندنا وهو اثنى به عرف اخيرا فى ايطاليا (système des corporations)

كان يعمل فى اطار من الحرية الكاملة لم يفسد الا باحتكاكه بنظريات اوربا وقد امتاز الانتاج الصناعى المغربى بجوده نادرة فتحت له منافذ فى اوربا الى آخر القرن الماضى ويكنى دليلا على ذلك قطن المغرب الذى كان فيه نوعان معروفان فى اوربا « سى - ايسلاند » لهما سدى حريرى طويل من الطراز الامريكى وقد تساوق مع ازدهار التصنيع ازدهار الفلاحة حيث بلغت السوائم وحدها خمسين مليون رأس من الغنم والمعز ستة ملايين رأس من البقر (47) ويرجع التفجر الديمغرافى بالمغرب لثقل الوفيات ولارتفاع معدل الاعمار الى ما بين 65 و 70 سنة فى الحواضر ومائة فى الاطلس بفضل انتشار المارستانات والملاجىء الصحية وخلو المجتمع الاسلامى من امراض العصر الناتجة عن الخمر او الزنا مثل الامراض التناسلية التى عرفت بالمغرب بالامراض الاسبانية او الفرنسية)

اما فى الحقل الجامعى فقد احتفل المغرب منذ سنوات بذكرى مرور احدى عشر قرنا على تأسيس جامعة القرويين التى ما فتئ المؤرخون الغربيون يعتبرونها اول مدرسة فى الدنيا « لا تزال قائمة الى الآن كما اعتبروا مدينة فاس فى افريقيا اثنى به بأثينا عاصمة الفكر بأوربا واعتبرها المشاركة انفسهم وخاصة منهم العراقيين كبغداد المغرب (48) اى

44) المعجب لعبد الواحد المراكشى ص 177

45) م 1 - ق 3 ص 686 و 709 طبعة بيروت

46) النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية رقم 49 - 50

47) كودار صفحة 188

48) المعجب للمراكشى

كعاصمة للغرب الاسلامى بالنسبة لدار السلام فى حاضرة الخلافة وهكذا امتاز المغرب بمدارسه الرائعة التى هى احياء سكنية للطلبة كما امتاز بمعاهد تقنية فى القرن الماضى كمدرسة المهندسين (49) ومدرسة المدفعية (بالجديدة) ومدرسة الفنون وتميز هذا الانبعاث الفكرى بايفاد بعثات من الطلبة الى الخارج لاستكمال معارفهم العلمية والتقنية كما تعزز نتاج العقول بمطبعة حجرية نشرت مئات المخطوطات العربية المختارة من بين آلاف المخطوطات النادرة المكتسة فى المكتبات العامة والخاصة بالمغرب .

واذا كان للشعوب والامم مجال يجب الانصراف اليه تعزيزا للكيان الوطنى ودعما للحضارة القومية فهو هذه المجموعة من المجالات التى تستلزم تخطيطاتها الرصينة درجة عليا من التقدم الفكرى والسمو الاجتماعى والتطور التقنى بالاضافة الى الكفاية الاقتصادية ولذلك عمد الاستعمار — كما يقول اندرى جوليان — الى التعجيل بانتهاء المغرب اقتصاديا للسيطره عليه سياسيا ففرضت فرنسا حمايتها عام 1912 م عن طريق القروض والدبلوماسية المالية ولذلك وجب ان تستفيد نهضتنا الجديدة من هذه العبرة فتتلاقى كل استرهان لقوماتها وتوجه تخطيطها الى دعم سياستها الوحودية العربية فى الاطار العالمى عن طريق تراثها الطبيعى فلو ان العرب استطاعوا خلق وحدة اقتصادية حقيقية تحتجز الثروات وخاصة البترول وارصدة البنوك ومختلف اوجه الاستثمار لتوفر لدينا اكبر ضغط سياسى على الغرب الذى ما زال يستنزف قواها الحيوية ويجرح كرامتنا بمكايده ومن مظاهر حضارتنا الفكرية التى يجب ان ندأب متكاتفين شرقا وغربا على صونها ودعمها لربط الماضى بالحاضر مكانة اللغة العربية التى كان نفوذها فى العصور الوسطى بعيد المدى حتى ان جانبنا من اوربا الجنوبية كان يوقن بأنها هى الاداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب — كما يقول جورج ريفوار — « وقد انطلق المنهج العلمى اول ما انطلق باللغة العربية ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية » بهذا اعترف

الاستاذ ماسينيون الذى اكد « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليا هو العنصر الجوهرى للسلام بين الامم فى المستقبل » فلا يمكن اذن لاية نهضة عربية حديثة ان تكتمل دون ان تستعيد لغة الضاد مكانتها المرموقة فى المحافل الدولية علميا وتقنيا وحضاريا — ولنقتصر نظرنا على مثال واحد يبرز مدى اسهام المغرب العربى فى دعم لغة الضاد فهذا الشيخ مرتضى الزبيدى امام اهل اللغة فى القرن الثانى عشر يتلمذ لآبى عبد الله محمد بن الطيب الشرقى الفاسى (المتوفى عام 1170 هـ) فى اكبر موسوعة لغوية فى العصر الحديث « هى تاج العروس من جواهر القاموس » (كما يتلمذ لمحمد الحسنى البليدى الجزائرى (المقولات العشر للدكتور حقى) وقد كان للاستاذ المغربى اثر عميق فى تكوين تلميذه المصرى حتى انه لا يمر بمشكلا واستند الزبيدى فى حله الى شيخه الذى كان اللغويون يصححون المعاجم من املاءاته وتحليلاته كما فعل ابن القزاز البربرى حيث صحت عليه اللغة فى القرن الرابع الهجرى مع صاعد العراقى اضيف الى ذلك ان الفكر المغربى قد طعمم المعجم العربى بطائفة من المصطلحات النابعة من مصادر الاشتقاق العربية الاصلية (50) والتى اكتملت بها مجالى الحضارة العربية فى الإدارة والقضاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتماع والعمران وقد استعرضنا جوانب من هذه المظاهر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » الذى هو عبارة عن سلسلة محاضرات القاها فى القاهرة باشراف معهد الدراسات العربية العليا فعناصر التكامل هذه لا ينبغي ان تخلق فى حضارتنا العربية ثنائية متنافرة الطرفين بل كيانا متساوق الاجزاء ينطلق من المفهوم العلمى العربى الخاص الى المدرك العلمى الانسانى العام فى تجاوب يحفظ للكيان العربى عالميته التى ظلت طابعه البارز طوال القرون الوسطى الى العصر الحديث وقد فجر الاستعمار بين الاخوة فى الشرق والغرب هذه الثنائية الانفصالية التى ما زلنا نعانى من ويلاتها الامرين فى

(49) المجلة الاسيوية المجلد العاشر ص 152 .

(50) راجع بعضها فى المستدرك على المعاجم العربية لدوزى وبعضها الآخر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغرب الحديث » .

مجانباتنا الهامشية التي تنسينا أحيانا عمق المشاكل المصرية وحتى في ادق مجالات المعرفة كان للمغرب النصيب المرموق فقد استطاع ان يسهم حتى في تكييف الفن المعماري العالمي بروائع ما زالت قائمة الى الآن حيث تجلّى ابداع الموحدين منذ القرن الخامس في روعة وفخامة مرصد الخالدة او الخير الدة (Gerald) باشبيلية ومنجدي حسان بالرباط والكتيبة بمراكش كما امتاز الفن المريني في القرن الثامن برقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقرصنات والترخيمات ونقوش الخشب والادهان البديعة والشناسيات الملونة والنحاس الموه وترصيع المنارات والجدران بالزليجيات ورغم اتجاه الفن المعماري منذ القرن العاشر الى هندسة النحسون والقلاع لمواجهة الغزو الاستعماري الاوربي فقد ظل ينافس اوربا في التجديد حيث لم يكن قصر «الرياض» بمكناس يقل روعة عن قصر «فرساي» بفرنسا وهكذا تبلور في الفن المغربي طابع خاص اضفى على الحضارة في الشرق الغربي للوطن العربي لونا جديدا شكل احدى لبنات انبعاث الانسانية الفكرى منذ العصور الوسطى

ومن هذه العجالة يتجلّى انه اذا كان المغرب العربى قد حقق تطورا رائعا في مجالات الفكر والحضارة المختلفة فما ذلك الا بفضل تساقق النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شقى العروبة فابلق الروابط واعمتها قد استوثق بين الشرق العربى والشمال الافريقى والانطلس على يد رسل الفكر الذين كانوا يهاجرون زرافات ووحدانا في موجات غامرة كل عام للحج او الدج وكان لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت في وفرة الوافدين من علماء المشرق على ملوك المغرب حماة العلم والفكر امثال المنصور السعدى (51) الذى احتضن بلاطه رجالات افذاذا من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراق والهند وكان اقمص جواز يقدمه المواطن المغربى او المشرقى في الحدود المطاطة هو اسلامه وعرويته فكانا يستيقضان ويستسفران في الحواضر

العربية والاسلامية شرقا وغربا دون ميز يتبوّان هنا وهناك المناصب السياسية والدبلوماسية والعلمية فلم يكن للمواطنة الضيقة اى اثر في الحيلولة دون انبثاق هذا الشعور الفياض بالوحدة الثقافية النابضة من وحدة الدين واللغة والتاريخ والمصير وقد ظل اقطاب الفكر المغربى ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات العلمية ووجوه النظر في مختلف المجالات التقنية باطراد ووثوق كما عرف الشرق كيف يقدر في شخص زملائه في الغرب الاسلامى حرية الفكر ونزعة التجديد ولعل ما لاحظته القرى وقبلة ابن خلدون من فروق بين الشقّين في الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية يرجع الى انطباع الشرق بالعمق الكلاسيكى في ملكة العلوم واصطبغ الفكر المغربى بالوان من البحث جديدة تحت تاثير التفاعلات مع الغرب ومن بين المقاربة الذين كان لهم ضلع قوى في دعم هذا التبادل الثرى بين شقى العروبة نجتزىء بالاشارة الى بعض ممن عاشوا في العراق امثال :

1 - جمال الدين محمد بن ابي بكر البغدادي اصله من قصر كتامة وهو صاحب الوترية وقد ورد على مراكش عام 655 هـ ثم للمرة الثانية عام 663 هـ (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 152) .

2 - محمد بن احمد بن ابراهيم البغدادي الفاسى المتوفى بفاس عام 546 هـ (تكملة الصلة لابن البار ج 2 ص 193 الذيل والتكملة لابن عبد الملك ج 4)

3 - ابو الحكم عبيد الله (او عبد الله) بن المظفر المرينى المغربى كان طبيب المارستان بالعراق ايام السلطان محمود السلجوقى (وفيات الاعيان ج 2 ص 307) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهائى (قسم المغرب تونس 1966 ص 289)

4 - عبد الله المراكشى الهنتائى جمال الدين فوض الله عمر البغدادي المعروف بالمجرد توفى عام 795 هـ (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 102 مخطوط)

كما تتلمذ للفرالى صالح بن حرزهم الفاسى (انس الفقير لابن قنفذ ص 12) وابن حنين الكنائى المتوفى

(51) راجع بحثنا حول رسل الفكر بين الشرق العربى والمغرب العربى في مجلة « اللسان العربى » العدد الخامس 1387 - 1967 .

* خصصنا العراق الشقيقة بالذكر لان هذه المحاضرة اعدت للمؤتمر الدولى للمؤرخين الذى انعقد عام 1973 ببغداد .

وشائج شتى وطبعها الاسلام والعروبة بميسهما
النهائى .

ان المغرب الذى يتحلى منذ ازيد من الف سنة
بالحضارة العربية ما زال نقطة وصل بين عالمين
ومحورا جوهريا للروابط الدولية بين الشرق والمغرب

ويقبض المغرب — بفصل طنجة التى كانت عاصمته
الدبلوماسية — على مقاليد غربى المتوسط بيننا
تشرف قناة السويس على شقه الشرقى ولذلك فان
هذين الطرفين العربيين الذين يشرفان على مركز
يتسم بحساسية نادرة فى الوضع الدولى الراهن لا
بد ان يلعبا دورا مهما فى حوض المتوسط الذى لا
يمكن ان يتم فيه شىء بدون مساهمة — ترتكز على
المساواة والسيادة — من طرف جميع الاقطار العربية
التي تمتد حلقاتها من طنجة الى دمشق على طول ثلاثة
اخماس ضفاف المتوسط تلك حقيقة ناصعة كان من
المحتوم ان تفرض وجودها على الافكار الغربية قبل
اليوم .

وبلغ اشباع الفكر العربى عن طريق المغرب اقاليم
افريقية شاسعة تمتد الى تخوم النيجر جنوبا وحدود
مصر شرقا فكان المغرب محور ومصدر حيوية نابغة
عن الاستقلال الذى كان يتمتع به فلم تعد هناك دولة
غربية مستقلة فى افريقيا غير المغرب بعد عام 1250م
حيث سقطت مصر نفسها تحت سيطرة الاتراك فظل
المغرب يواصل طوال الف عام حمل مشعل الحضارة
العربية كولد بار للشرق العربى السرائد موقنا بأن
الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية فى حضارتنا بل هو
القوام الاساسى لكياننا ولهذا شكل المغرب كجزء قائم
من هذا الوطن العربى نقطة وصل مع اوربا وقنطرة
الى العالم الجديد وذلك ضمن التأثير الذى تركته
حضارتنا فى الغرب والذى لم يكن لينصرم — ضمن
تبادل موصول — لولا تلك الآفة الاستعمارية التى
حولت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا
فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد
عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما فى نطاق روابط
حرة وتناسق قار لان التعاون لا يمكن ان يثمر الا اذا
جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة
والكيان فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين
من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبى فى نفوس

بناس عام 569 هـ (الجذوة ص 304 و 322) وعبد
القادر الاندلسى التطوانى التبين المتوفى عام 566 هـ
(تاريخ تطوان — لـ محمد داود ج 1 ص 74)

اما العراقيون بالمغرب فقد الفت فى شلتهم
المصنفات منها « العراقيون الحسينيون بالمغرب »
لمحمد هاشم زيان العراقى (فهرس الفهارس ج 1
ص 246) « والشيعية العراقية بالمغرب » لاحمد بن
عبد الوهاب الوزير الفسانى « ومطلع الاشراف من
الشرفاء الواردين من العراق » لعبد السلام القادري .

كما شارك مغاربة فى كفاح الشرق ضد الاستعمار
منهم :

1 — يوسف بن دوناس الفندلاوى اشتهد فى حرب
الصليبيين فى الشام عام 543 هـ (معجم البلدان ج 6
ص 401) .

2 — العباس بن احمد الفاسى استشهد فى الحروب
الصليبية بالشام عام 595 هـ (الجذوة ص 278)

3 — يوسف بن محمد بن عبد الله البلوى المالى
المتوفى عام 602 هـ غزا مع صلاح بالشام (تكملة ابن
الابرار ص 737 / صلة الصلة لابن الزبير ص 217) .

4 — محمد الجيلانى السباعى المراكشى حارب
الفرنسيين بمصر (عجائب الآثار للجبرتى ج 3 ص
44 — الاعلام للمراكشى ج 5 ص 144)

فهل يمكن لاي توحدة ان تقوم على غير هذه الدعامة من
التكامل بين اجزاء العروبة وهل يتأتى لنهضة عربية
رصينة ان تنبثق فى العصر الحديث دون الارتواء من
هذا المعين الصانق الذى عكسته ولا تزال رواسب
وذبول التخلف الناتج عن انفصال اجزاء الوطن
العربى بعضها عن بعض ربحا طويلا من الزمن تحت
سنة بكيدة الكائدين . وهناك مظهر آخر لحضارة
المغرب يتجلى فى رسالتها فى افريقيا واوربا وامريكا
الجنوبية فالمغرب يحتل موقعا ممتازا فى القارة الافريقية
حيث يشرف على بحرين تركزت فيهما حيوية وحضارة
ولكن هذا الوضع المحظوظ فى قلب العالم الغربى لم
يفت فى اعضاء روح المغرب الشرقية التى عززتها

المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربية في البلاد .

ان النفسية العربية التي تجمع بين النبل والارحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء ما يمس بكبرياتها الوطنية ويهددها في حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربي ليست معناها الفردية الانانية وانما هي توقان طبيعي نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها.

لهذا تبلورت مدنيتنا في اشماع ثقافي ممتاز اكثر منها في نفوذ مادي ومع ذلك فان قوة المغرب المادية ما فتئت سائدة في البحر المتوسط الذي كان رومانيا فاصبح طوال العصور الوسطى (بحرا عربيا) كما يقول م ماكس فنتيجو — بجزره وسواحل واساطيله ونهضة تجارته وازاحت لغة القرآن هي اللغة الدولية للتجارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسي المقتر اندرى سيكفريد عضو اكااديمية باريس ان العرب غرسوا في البحر المتوسط حضارة يانعة فطوروا الري وادخلوا غراسات جديدة كالقطن والارز وقصب السكر والحوامض (وبسببهم فقد البحر المتوسط طابعه المسيحى) .

ان الاشماع المادي للقوة المغربية في المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابرار الرسالة التي اضطلعنا بها في هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدى الذى كان يضم اربعمائة قطعة ما لبث ان اصبح اول اسطول في المتوسط (اندرى جوليان) على ان المغرب قد تزعم العالم الاسلامى والعربى في هذا العصر مما حدا صلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين في طريق الشام وما لبث هذا الاسطول ان ضم ازيد من ستمائة قطعة حربية ايام ابي الحسن المرينى . وسيادة العرب في البحر المتوسط ظهرت بوادرها ولما تهر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاوية بعض جزر المتوسط بألف وسبعمائة سفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز بانتاجها الجديد قوة الشرق العربى البحرية حيث صنعت في بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس

المهجري عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث ادرك عبد المومن بن على الموحدى اهمية جبل طارق الذى هو احد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعدة امامية للدفاع عن افريقيا والاندلس وحتى في خصوص فكرة الجندي المجهول نلاحظ وجود ما سمى في الاندلس بالشهيد الغريب Le martyr inconnu في المخاضة التي بين حصن بالمـ Palma del Rio وهى الجرف Al-Jarf (الاديسى — التزهة ص 208) .

ان رسالة الحضارة المغربية الحق في البحر المتوسط تتجلى في مظهرين اثنين هما التأثير الاقتصادي والاشماع الثقافي على ان الدور الاقتصادي نفسه لم يكن في الواقع سوى نتيجة للتفوذ الادبى فسياسة التسامح التي نهجها المغرب في اغلب عتموره قد ساهمت في توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسى المغربية في سواحل المتوسط مصدر نشاط فياض فهمى التي كانت ينبوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومزسليا وغيرها من موانئ .

وقد اكد مسيو ماكس فنتيجو مؤلف المعجزة العربية (Le miracle arabe) ان الحكومة الموحدية كانت من اشد الحكومات احتراما للحرية وان الاندلس عرفت في عهدها عصرا ماجدا تلاقى فيه نجم المعارف والعلوم العربية التي سرى تيارها المنعش في جنبات اوربا نعم ان من مظاهر تلك المعجزة العربية تحقيق شعوب اوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمان وانجليز لذلك الانقلاب الفكرى العظيم الذى تفق عن عصر النهضة وقد سبق لكوستاف لويون ان قال نقلا عن العالم الايطالى ليبرى Libri (لولا العرب لتأخر انبعاث الآداب في اوربا عدة قرون) .

نعم لم يتصل الاوربيون بالعلوم العربية الا عن طريق اسبانيا المسلمة التى برهن غيا تنافس العناصر العربية والمسيحية عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية وما لبث هذا الاشماع العربى ان غمر شعوب الغرب فبلغ كبريات العواصم ونشل مدن بيزا وبولونى ومونبيللى وسلامانك وانيوني وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتح امامها مجال الفكر والحياة الثقافية كما قال فنتيجو ورغم انهزام

الموحدين السياسى وعودة الاندلس الى حظيرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد فى نظر الغربيين حتى صارت باريس نفسها التى اسس جامعتها الملك فيليب اوجست على اثر عودته من الشرق - تستمد من المغرب والشرق كثيرا من كشوفها

والذى يزيد هذه الظاهرة غرابة ان الفتوح العربية لم تكن حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تبشيرية لا تهدف الى اى لون من الوان الانحاج ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحبيه ضد البابا فى مقابل جزية سنوية واعتراف الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعبا ولكن الملك العربى رفض هذا العرض لان اريحته ايت عليه استغلال الضائقة السياسية التى كان الانجليز يتخطون فيها لحملهم على اعتناق الاسلام .

اليس اذن من الغريب ان لا يتجلى اثر الحضارة العربية فى ذهن الاوربى المتوسط الا فى فتوح اوقف تيارها شارل مارتيل فى بلاط الشهداء ؟

ومنذ القرن السادس عشر امكن للحضارة المغربية التى كانت الى ذلك التاريخ منحصرة فى البحر المتوسط ان تدخل الى امريكا الجنوبية بواسطة الفزاة البرتغاليين الذين اكتسحوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثة قرون متوالية تاثير المدنية الاندلسية فانتسعت جميع مظاهر الحياة الاجتماعية الامريكية بطابع مغربى ينمو ويضعف حسب الاصقاع فتتقنعت المرأة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيف اسلوب حياتها كما فعلت المرأة الصقلية المسيحية فيما حكاه الرحالة ابن جبير تكييفنا - يحضو حضو النمل بالنمل ما عهد فى الاندلسيات

والمغربيات نعم اصبح الشئ الكثير فى البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا فى العصور الوسطى من اناقة النساء الارستقراطيات فى الحواضر واتخاذهن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبية الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والغراسة فى البادية فبالرغم عن اختلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكى اجهزة واساليب الفلاحة المغربية وانتشر استخدام الطواحين الهوائية فى مجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوى عليه نظام الرى عندنا (السواقي والآبار الخ) وقد نقل المعبرون البرتغاليون الى امريكا جميع ما انجزه المغاربة فى القسم الجنوبى من الاندلس من مصانع السكر والقطن الى مزارع الحوامض ودودة القز (كانت 3060 قرية اندلسية تتعاطى تربية دودة القز) على ان اللغة الاسبانية الامريكية تنم عن الآثار التى تركتها حضارتنا فى الميدان الثقافى والاقتصادى والاجتماعى بامريكا فالاصلح الامريكى فى المياه والسقى والرى معظمه عربى وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل فى اسبانيا وامريكا اسماء عربية اضيف الى ذلك ما يمس (مودة) النساء من اسماء الحلى والمصوغات والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية فى

ميدان الهندسة المعمارية حيث لا تختلف فى البلدين اساليب البناء فى الكنائس والاديرة والمنازل والحمامات وقد تآثر الاصطلاح الامريكى ايضا بالمفردات العربية.

ويضيق المجال عن تعداد المناحي التى تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية فحتى اساليب الطبخ واسماء العائلات لا تختلف فى امريكا عنها فى المغرب ووحدة اصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا ورسائلنا الحضارية اصبحت فى الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من اى وقت وابرز عنصر يجب ان تنطلق منه العناصر الحضارية الاخرى عند اخواننا فى الشرق لبناء صرح نهضتنا الحديثة .

في القياس اللغوي

الاستاذ ابراهيم أنيس

طعين (حائق في الطعن) ، المسيح (الرجال لشؤمه) ، ظليم ، فخير ، حريف ، خمير ، هزيل ، متيخ ، (وصف للعود الطويل اللين) لطيف (احق) ، شتير (سوء الخلق) ، رئيس (كثير الرئاسة) ، طليس (اعمى) ، زريع (ما يثبت في الارض المستحيلة) ، القريع (السيد) ، طريق (كثير الطروق) ، غسيل (كثير الضراب) .

وكلها تفيد المبالغة في الفعل . وورد ايضا في اللسان والمحيط نحو 20 مثلا من هذه الصيغة تعبر عن اسماء لاشياء ولعلها كانت في وقت من الاوقات صفات فهي :

سجيل (حجارة) ، كليت (حجر يسد به) ، جريث ، قريث ، زمر ، جنيس (نوع من السمك) بطيخ ، دريج (الطنبور) ، فريج (دويبة) ، خريع (شجر المعصفور) ، عقير (عشبة يتداوى بها) ، طبيع (لب الطلع) ، عريس (ماوى الاسد) ، فطيس (مطرقة) التقليد (الخرانة) القميس (البحر) ، ابل (قطعة من الطير) ، الزيل (القفة) ، التين (الحية العظيمة) ، القنين (الطنبور) .

اي ان ما ورد عن العرب القدماء من هذه الصيغة ليس من القلة على الصورة التي نلاحظها في كلام علماء اللغة .

نشرت مجلة « مجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثا فيها للدكتور ابراهيم أنيس تحت العنوان اعلاه نقتطف منه ما يلي :

امكن لنا في احصاء سريع ان نجيع من معجم لسان العرب ومحيط الفيروز آبادي نحو 71 مثلا رويت عن العرب القدماء هي :

صديق ، صريع ، شريب ، قليب ، (به داء وتعجب) ، خريت ، بريت (دليل حائق) بليت (عاقل لبيب) صميت ، فسيق ، زميت ، عميت ، (الرقيب الظريف) سكيت ، حديث ، خبيث ، عبيث ، عنين ، خريج ، ضليل ، مريح (احق) ، مديخ (عظيم عزيز) مريح (كثير المرح) شرير ، غريد ، سكير ، مريد (طاغية) ، جبير ، جزير (كثير الذبح) ، ختير (غادر) سمر ، شخير ، شغير ، شنير (سوء الخلق) ، شمير (مجتهد) ، ظفير ، غدبير ، فكير (كثير التفكير) اريس (اكار او امير) ، دعيس (ماهر في الطعن) رديس (ماهر الرمي بالحجارة) قسيس ، تطيس ، (طبيب ماهر) ، عقيص (بخيل) ، عريض (يتعرض للناس بالشر) فقيع (شديد البياض) ثقيف (حائق فطن) ، خريق (سخى ظريف) عشيق ، شنيق (شديد الاعجاب بنفسه) طليق ، مسيك (بخيل) ، سجين (دائم شديد) غليم ، قديم (الملك او من يتقدم الناس) ، زين (مدافع الاخبيين) ، سخين (حار) ،

صِيغَةُ «فَعْلُونَ» فِي غَيْرِ اللَّفَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ

الإِسْتِاذُ حَامِدُ عَبْدِ الْقَادِرِ
عَضُوٌّ لِمَجْمَعِ الْقَاهِرَةِ

وفيمَا يلى بيان لذلك :

(أ) النوع الاول : اسماء اعلام الاشخاص . ونمثّل لها بما يأتى :

1 — جدعون : البطل العظيم . وقد اطلق على احد قضاة بنى اسرائيل الذين ساسوا امورهم من بعد موسى .

2 — شمعون : الاستماع او ذو الصيت الحسن او السمعة الطيبة .

وقد اطلق على احد ابناء يعقوب الاثنى عشر .

3 — شمرون — حارس . علم على شخص . او على مكان

4 — صيدون : علم على اول ابناء كنعان بن حام بن نوح وقد قيل انه سُمى باسم مدينة صيدون التى سيأتى الكلام عليها .

ورد فى الجزء الحادى والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا البحث القيم ننشره تميمًا للفائدة :

وردت هذه الصيغة فى بعض اللغات السامية الاخرى بصور مختلفة اكثرها فعْلون بكسر الفاء وامالة الضمة الطويلة :

وقد دل البحث على ان زيادة الواو والنون فى آخر الكلمة تكون فى الغالب للدلالة على المكان او على التعظيم او التكبير . وقد تكون لغير هذا او ذاك كما سيتضح فيما بعد .

ومن الممكن حصر الاسماء المزيّدة بهذه الزيادة فى اربع مجبوعات ، لانها إما ان تكون اسماء اعلام ، وإما ان تكون اسماء اجناس .

والاعلام إما اعلام اشخاص ، وإما اعلام امكّة . ويخّل فى الامكّة الجبال والمدن . واسماء الاجناس إما اسماء نوات وإما اسماء معان .

(1) قدم الاستاذ عبد الله كنون الى مؤتمر المجمع فى دورته الحادية والثلاثين بحثا له فى اسم خلدون وهل هو مكبر على الطريقة الاسباتية . فاحيل الى لجنة الاصول ، وفى اثناء دراستها له قدم الاستاذ حامد عبد القادر بحثه هذا .

5 ، 6 — مجلول وكلبون علمان على ابني اليملك المذكور في قصة راعوث .

(ب) النوع الثاني : اعلام الامكنة . ونمثل لها بما يأتى :

1 — جبعون : مكان الجبل ، وقد اطلق على مدينة في منطقة جبلية في فلسطين على اربعة اميال جنوبى بيت لحم .

2 — حرمون : بارز . علم على اعلى قمة في منطقة جبلية في الشمال الشرقى من فلسطين تعد جزءا من لبنان . وتسمى هذه القمة ايضا جبل الثلج 2 لان الثلوج تكتسوها في فصل الشتاء وقد اطلق عليها حديثا اسم جبل الشيخ .

3 — صيدون : مكان الصيد (مصيد) او مكان التحصن (حصن — قلعة) وهو اسم اطلق على اولى المستعمرات التى اسسها الفينيقيون على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وقد سميت باسم كبرى مدنها وهى صيدون التى تسمى الآن صيدا . وقيل ان اول ابناء كنعان بن حام قد سمي باسمها .

4 — صيون : اسم جبل يقع في الجزء الجنوبى الغربى من اورشليم . وهو اقدم اجزاء المدينة واعلاها ويطلق انبياء بنى اسرائيل وشعراؤهم هذا الاسم على اورشليم نفسها او على سكانها او على اسرى اليهود وسبائهم . وربما اطلق على فلسطين كلها .

وهذا الاسم هو في السريانية والعربية ، صهيون بكسر الساد . ويرجع هذا الاختلاف في التسمية الى الاختلاف في اشتقاق الاسم فهو في العبرية مشتق من فعل مهجور هو صيى بمعنى لمع او اضاء من بعد . اما في السريانية والعربية فهو مشتق من فعل آخر مهجور ايضا هو صها . بمعنى اشتعل واحترق ، يقال صهت الارض اى شريت وجفت من شدة الحرارة .

ومن الممكن التوفيق بين الرايين بأن يقال ان اشعة الشمس المحرقة اذا سقطت على ارض تجعلها جافة ، كما تجعلها تبدو من بعد كأنها مشرقة لامعة لانعكاس اشعة الشمس عليها .

وفى اشتقاق هذا الاسم رأى ثالث هو رأى من يقولون انه مشتق من فعل مات ايضا هو صها يسهو اى ارتفع . ومنه صهوة الفرس . وصهوة كل شىء اعلاه . وحينئذ يكون معنى صهيون « قمة جبل » ولا شك ان هذا الاسم ينطبق على المسمى اشد الانطباق .

5 — شمرون : مكان الحراسة — مراقب . وهو اسم جبل عظيم في وسط فلسطين يسمى جبل الحراسة او المرتب . ثم اطلق على مدينة انشئت في منطقة ذلك الجبل وهى سماريا عاصمة للدولة الشمالية (اسرائيل) التى اسسها بعد وفاة سليمان عليه السلام وانقسام اليهود على انفسهم عشرة من الاسباط او هم من عدا سبطى يهوذا وبنيامين .

6 — حبرون : خليل — صديق امين . وهو اسم لمدينة تقع على بعد 22 ميلا جنوبى اورشليم (بيت المقدس) اتخذها داود عليه السلام مقرا للملكه قبل استيلائه على اورشليم . والمراد بخليل هنا ابراهيم خليل الله عليه السلام . ويسمى « ابو الفداء » هذه المدينة (بيت حبرون) .

(ج) اسماء ذوات (اجناس مادية) ونمثل لها بما يأتى :

1 — حلبون — بياض البيضة .

2 — حلمون — صفار البيضة .

3 — ملون — مكان الكلمات — معجم لغوى .

4 — شاعون : ساعة يد او حائط .

5 — عتون — صحيفة . جريدة .

6 — فعمون — جرس .

(د) اسماء معان (اجناس معنوية) ونمثل لها بما يأتى :

1 — وعيون — فكرة .

2 — غلبون — غلبة او قهر .

3 — حفازون — سرعة .

4 — حازون — روبا صادقة — الهام — وحى .